الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم
مركز البحوث والدراسات القرآنية
قم المقدسة

العلاقة بين القرآن والعلم

تأليف:

د. محمد علي رضائي (الإصفهاني)

تعريب:

السيد حسن علي مطر الهاشمي

محفوظة جميع الحقوق
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم
مركز البحوث والدراسات القرآنية
قم المقدسة

العنوان: ايران . قم المقدسة . شارع جمهوري . فرع ٣٦
مجمع وارث الأنبياء . الطابق الثالث

الهاتف: ٣٢٦١١٦٩٦ ٢٥ ٩٨+
E-mail: im.hu.qu@gmail.com

مركز البحوث والدراسات القرآنية

قسم المقدسة

الطبعة الأولى ١٤٣٦ ـ ٢٠١٥

اسم الكتاب: العلاقة بين القرآن والعلم

تأليف: د. محمد علي رضائي (الإصفهاني)

تعريب: السيد حسن علي مطر الهاشمي

التصميم والإخراج الفني: علي سعدون

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة ـ قسم دار القرآن الكريم

مركز البحوث والدراسات القرآنية ـ قسم المقدسة

عدد النسخ: ١٠٠٠

جميع الحقوق محفوظة للعتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك الذي خلق
علم الإنسان ما لم يعلم
العلق
٥

مقدمة المركز

كان القرآن ومازال معيناً ثرّاً، ونبعاً متدفقا للعلم والمعرفة، ومازلنا نقف مدهوشين كل يوم أمام الآيات القرآنية التي ترجمها العلم إلى حقائق ملموسة في حياة الإنسان، سواءٌ أكان ذلك على نطاق الظواهر الكونية والفلكية، أو البيولوجية والطبية، أو الجيولوجية والجيوديزية، أو النفسية والروحية، أو الرياضية والاقتصادية، وما إلى ذلك من علوم طبيعية وتجريبية وإنسانية أبدع فيها العقل البشري، فكانت مرآة تعكس إعجاز كلمات الله الذي لا مبدل لكلماته.

ومع أنّ جماعة من المستشرقين وثلة من مفكري العالمين العربي والإسلامي وقفوا موقف المناهض والمشكك في وحيانية النص القرآني، إلا أنّ عظمة الكلمة القرآنية، وبلاغة الجملة، وتميز المضمون كانت كلها أدوات متماسكة أفحمت أولئك الخصوم، كما كان دأبها في عصر نزول الوحي عندما جاء التحدي مطالباً بالإتيان ولو بسورة، أو آية من مثله، فبُهت الذي كفر والذي أنكر!

وبتقدم العلوم، وتطور الصناعة، والنمو المطرد لتقنية المختبر والآلة، ونضوج العقل البشري، وانفتاحه على آفاق مترامية من صنوف العلم وألوان المعرفة، كان الله قد قيض لكتابه الحكيم أقلاماً بذلت غاية وسعها لتدبر آيات القرآن بغية الخروج بتفسير علمي يتماشى مع عالم الابتكار ودنيا الاختراع، فحظيت المكتبة القرآنية بصفوف مرصوصة من البحوث والدراسات التي بلغت شأوا لا يستهان به على طريق فهم العلاقة بين القرآن والعلم.

فمن (إحياء العلوم) إلى (العلوم في القرآن)، و(من القرآن محاولة لفهم عصري) إلى (العلوم الطبيعية في القرآن)، ومن (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) إلى (الكون والإنسان بين العلم والقرآن)، ومن (القرآن والعلم الحديث) إلى (الإسلام

والطب الحديث)، ومن (العلم والدين) إلى (العلاقة بين القرآن والعلم).. وهو هذا الكتاب الذي يقع بين هاتين الدفتين.

لقد أنفق المؤلف الوقت والجهد من أجل إنجاز هذا العمل النفيس، وهو بلا شك جهد مشكور، إلا أنّ مادة الكتاب كانت في مجملها مجموعة من المحاضرات التي ألقيت على دارسي العلوم القرآنية في صفوف الدرس، وهو ما جعلنا نتخير منهجية بديلة مناسبة من أجل الحفاظ على رصانة هذه الدراسة التي قدر لها أن تخرج الآن في كتاب، وهو ما نهض به الشيخ ضياء بلاسم سعدون من شعبة البحوث بالمركز بعد التشاور والتنسيق.

هذا إذن هو الإصدار الجديد (لمركز البحوث والدراسات القرآنية) الذي نأمل أن يكون قد حمل على صفحاته فائدة جديدة، وبصمة فريدة.

والله من وراء القصد

معروف عبد المجيد

مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

قم المقدسة

١٨ جمادى الاولى ١٤٣٦هـ

٢٠١٥/٣/٩م

مقدمة المؤلف

إن القرآن محيط هادر يشمل جميع مناحي الحياة، فهو كتاب الله الذي كان ولا يزال وسيبقى يروي ظمأ العطاشى على طول التاريخ.

وقد اغترف المفسرون والمترجمون والباحثون في الشأن القرآني على مرّ العصور من معين بُعدٍ من أبعاد هذا الكتاب السماوي؛ إذ قام كلّ واحد منهم بالنظر إلى جهة من جهاته الأدبية أو الفقهية أو الكلامية أو غير ذلك.

بيد أن القرن الأخير شهد إقبالاً على البعد العلمي في القرآن، وبدأنا نشهد تداول التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وشهد العقد الأخير اهتماماً واسعاً بالتنظير العلمي للقرآن وتوجيهه ناحية العلوم الإنسانية.

وبطبيعة الحال كانت بداية هذا التوجه في مجال العلوم الطبيعية، ثمّ أخذ طريقه شيئاً فشيئاً إلى حقل العلوم الإنسانية، وانتشر عبر عشرات الكتب والمواقع الإلكترونية والمجلات وحتى الأقراص المدمجة[1].

وفي هذا السياق يسعدنا أن نقدّم هذا الكتاب المشتمل على المسار التاريخي لعلم المنهج ومنظومة هذه الحركة العلمية.

على أمل أن يشارك السادة الكرام في إثراء هذا الموضوع.

والحمد لله ربّ العالمين

محمد علي رضائي (الإصفهاني)

بتاريخ: ٤ / ١٢ / ٢٠١١ م

٨/محرم/١٤٣٣ هـ

---

١ – انظر: جدول هذه الموارد في المصادر المذكورة في نهاية الكتاب، أو مجلة (قرآن وعلم) التخصصية، العددان: ٥ و٧.

الفصل الأول

القرآن والعلوم التجريبية

تمهيد:

لقد اهتمّ القرآن الكريم بالعلم والعلماء[1] اهتماماً بالغاً، حتى وردت مفردة «العلم» بمختلف اشتقاقاتها أكثر من سبعمائة مرّة، وقد ذكّر الله العلماء بآياته المبثوثة في جميع مظاهر الطبيعة، وبذلك مهّد الأرضية المناسبة لتطوير العلوم التجريبية، وهو أمر يُعتبر ـ من زاوية تاريخ الحضارة الإسلامية ـ على درجة بالغة من الأهمية.

ومن جهة أخرى فقد ترك تطوّر العلوم التجريبية تأثيراً إيجابياً على فهم وتفسير آيات القرآن الكريم، حتى ظهر «أسلوب التفسير العلمي»، وتبلور في بعض موارد البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. وبذلك فإن دراسة هذا الموضوع من ناحية تفسير القرآن وعلومه تحظى بأهمية كبيرة.

ومن ناحية ثالثة يُدّعى أحياناً وجود تحدّيات بين القرآن والعلوم التجريبية، وهو أمر بحاجة إلى مزيد من البحث والتمحيص، إذ نشهد زوال هذا التحدّي من خلال التأمّل في الآيات، حيث لا وجود للتعارض الحقيقي بين القرآن والعلوم.

بالالتفات إلى ما تقدم تتضح لنا أهمية دراسة العلاقة بين القرآن والعلوم التجريبية.

١ـ مفهوم العلم

إن المفهوم اللغوي لكلمة «العلم» وما بمعناه، من قبيل: الفهم والمعرفة واضح[2].

---

١ – انظر مثلاً: الزمر: ٩.

٢ – عرّف المناطقة العلم بأنه: حضور صورة الشيء عند العقل. وقال العلامة الشيخ محمد رضا المظفر في كتاب المنطق: [إن العلم] المبحوث عنه هنا هو المعبّر عنه في لسان الفلاسفة بالعلم (الحصولي)، أما العلم (الحضوري) ... فلا تدخل فيه الأبحاث الآتية في الكتاب. بيد أن للفلاسفة الغربيين كلاماً آخر في هذا الشأن، وهذا ما سوف نشير إليه في طيّات البحث إن شاء الله.

بيد أن لـ «العلم» معاني اصطلاحية مختلفة، ولذلك نجد أنفسنا مضطرين ـ من أجل بيان مرادنا من هذه الكلمة ـ إلى الخوض في إشارات مختصرة إلى هذه المعاني الاصطلاحية، فنقول: إن مفردة العلم تستعمل في الموارد والمعاني الآتية:

١ ـ الاعتقاد اليقيني المتطابق مع الواقع، في قبال الجهل البسيط والمركّب.

٢ ـ مجموع القضايا التي تقوم بينها بعض الوشائج، حتى وإن كانت من القضايا الشخصية والخاصة، من قبيل: علم التاريخ (علم الحوادث التاريخية الخاصة)، وعلم الرجال وما إلى ذلك.

٣ ـ مجموع القضايا العامة التي تمّ لحاظها ضمن محور خاص، وكل واحد منها يقبل الصدق والانطباق على موارد ومصاديق متعددة، حتى وإن كانت من القضايا الاعتبارية، وبهذا المعنى تأتي العلوم الاعتبارية وغير الحقيقية، من قبيل: اللغة وعلم النحو، من العلوم.

٤ ـ مجموع القضايا العامة الحقيقية (غير الاعتبارية) ذات المحور الخاص، وهذا المصطلح يشمل العلوم النظرية والعملية، ومن بينها الإلهيات وما بعد الطبيعة.

٥ ـ مجموع القضايا الحقيقية التي تقبل الإثبات من طريق التجارب الحسية، وهذا هو المصطلح الذي يستخدمه الفلاسفة الوضعيون، وانطلاقاً من ذلك لا يعتبرون العلوم والمعارف غير التجريبية علماً. وقد شاع هذا المطلح في العالم الراهن، وطبقاً له يضعون العلم في قبال الفلسفة[1].

وعلى الرغم من عدم وجود إشكال في وضع المصطلحات، إلا أن

---

١ – يعتبر العلم من وجهة نظرهم متطابقاً مع المفردة الإنجليزية (Science).

المصطلح الأخير ـ بسبب الرؤية الخاصّة للفلاسفة الوضعيين[١] ـ يدخل في دائرة المعرفة اليقينية للإنسان، بحيث يتمّ حصره بالأمور الحسية والتجريبية، ومن هنا يعتبرون التفكير في ما وراء الطبيعة من اللغو والعبث الذي لا طائل تحته[٢].

٦ ـ استعمل العلم في الروايات الإسلامية في معاني أخرى، ومن بينها مفهوم «النور» أيضاً[٣].

وبطبيعة الحال فإن المراد من العلوم التجريبية في هذا الكتاب، هو مجموع القضايا الحقيقية التي يمكن إثباتها من خلال التجربة الحسية، ولهذه العلوم تبويبات وتقسيمات مختلفة[٤]. غير أننا سنكتفي بتقسيم العلوم على أساس المنهج.

٢ ـ تقسيم العلم على أساس المنهج:

في هذا التقسيم، تنقسم العلوم إلى أربعة أقسام، وذلك على النحو الآتي:

أ ـ العلوم التجريبية[٥]، وتشتمل على قسمين:

---

١ – الفلسفة الوضعية أو المذهب الوضعي (Positivism) مذهب أرسى قواعده الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت (Auguste Conte: ١٧٩٨ - ١٨٥٧)، وتعود جذوره إلى أصالة الحسّ التي نادى بها الفيلسوف ديفيد هيوم حيث حصر المعرفة البشرية بالتجارب الحسية.

٢ – محمد تقي مصباح اليزدي، آموزش فلسفة، ج١، ص٦١، باختصار.

٣ – روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه ...)، بحار الأنوار، ج١، ص٢٢٥.

٤ – انظر: الفارابي، أبو نصر، إحصاء العلوم، ص١١١ ـ ١٢٠؛ مصباح اليزدي، محمد تقي، آموزش فلسفة، ج١، ص٦١؛ سياسي، علي أكبر، مباني فلسفه، ص٢١٢ ـ ٢٥٣، ومباني اقتصاد اسلامي، ص٩، دفتر همكاري حوزه ودانشكاه؛ رضائي الإصفهاني، محمد علي، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص١٥١.

٥ – المصادر أعلاه.

الأول: العلوم الطبيعية[١]، من قبيل: الفيزياء والكيمياء والأحياء وما إلى ذلك.

الثاني: العلوم الإنسانية[٢]، من قبيل: علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وما إلى ذلك.

ويقوم منهج هذه العلوم على أساس المشاهدات والتجارب الحسيّة.

ب ـ العلوم العقلية، وتشتمل بدورها على قسمين أيضاً، وهما:

الأول: علوم المنطق والرياضيات. وحتى ما قبل (برتراند راسل) كان التصور يذهب إلى اعتبار علم الرياضيات أصلاً للمنطق، إلا أنه أثبت العكس، وقال بأن المنطق هو الأصل لعلم الرياضيات.

الثاني: العلم الذي يعود إلى الواقع، بمعنى الفلسفة التي تشتمل على الفلسفات المضافة (من قبيل: فلسفة الأخلاق وفلسفة التاريخ وما إلى ذلك)، والفلسفات غير المضافة (من قبيل: الميتافيزيقا أو الأمور العامة).

ج ـ العلوم النقلية، من قبيل: علم التاريخ، واللغة وما إليهما مما يقوم على الرواية والنقل (ولا نعني بذلك ـ طبعاً ـ العلوم التعبّدية الشرعية).

د ـ العلوم الشهودية، التي يتمّ الحصول عليها بالعلم الحضوري، من قبيل: علوم الأنبياء عليهم السلام والعرفاء. وربما كان هذا التقسيم من أكمل تقسيمات العلوم المذكورة حتى هذه اللحظة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أقسام العلوم الأربعة المتقدّمة، والمصادر المختلفة للعلم، بمعنى: إنه قد اهتم أحياناً بالمنهج العقلي، ودعا الإنسان إلى

---

١ - المصادر أعلاه.

٢ - المصادر أعلاه.

التعقل والتفكر[١]. وأحياناً يُلفت انتباه الإنسان إلى الطبيعة ويشجعه على التعمّق والتأمّل في الكون والطبيعة والإنسان[٢]، وأحياناً يأخذ بقياد الإنسان إلى عمق التاريخ حيث يسرد عليه العبر الكامنة في قصص الأنبياء والأمم السالفة، أو يعيد سرد وقائع تاريخ صدر الإسلام (من قبيل الحروب والغزوات وما إلى ذلك)[٣]، ويتحدّث أحياناً عن الوحي والإلهام الإلهي للناس[٤]، ويتعرّض إلى العلم الإلهي الذي يعطى من قبل الله لبعض الناس، وهو المسمّى بـ«العلم اللدني»[٥].

أجل إن القرآن وإن لم يهدف إلى بيان تفاصيل جميع العلوم الإنسانية[٦]، ولكن يمكننا العثور في القرآن على إشارات إلى مختلف العلوم. وبعبارة أخرى: إن القرآن قد اهتم بالمنهج العقلي والتجريبي والنقلي والشهودي، وذكر نماذج منها في القرآن، وإن اهتمام القرآن بأساليب العلوم ومصادرها يعني ضرورة ممارسة وتطبيق هذه المناهج والمصادر.

٣ـ أهمية العلم والعلماء في القرآن:

استعمل القرآن الكريم مفردة «العلم» بمختلف اشتقاقاتها أكثر من سبعمائة مرّة، مؤكداً عدم المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون[٧]، مفضلاً العلماء على

---

١ – فيما يتعلق بالتعقل، انظر: البقرة: ٧٣ و٢٤٢، يوسف: ٢، الأنبياء: ١٠، المؤمنون: ٨٠، الزخرف: ٣، وفيما يتعلق بالتفكر، انظر: البقرة: ٢١٩، الروم: ٨، آل عمران: ١٩١، النحل: ٤٤، الحشر: ٢١، وغير ذلك.

٢ – انظر: آيات سورة الرعد، من الآية الثانية فما بعد، والحج: ٥، المؤمنون: ١٢ ـ ٢١، النحل: ٣ـ١٧ وغير ذلك.

٣ – انظر: الأنبياء ويونس ويوسف والكهف وغيرها.

٤ – انظر: الشورى: ٥١، المؤمنون: ٢٧، طه: ٣٨.

٥ – قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، الكهف: ٦٥.

٦ – سيكون لنا هناك مزيد من التفصيل بهذا الشأن في البحوث القادمة.

٧ – انظر: الزمر: ٩.

غيرهم[١]. بمعنى أنه جعل من العلم معياراً للتفاضل بين الناس، وأحياناً جعل شهادة «أصحاب العلم» في مستوى شهادة الله والملائكة[٢]. ومن هنا قال الإمام الغزالي: «فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنّى بالملائكة، وثلّث بأهل العلم؛ وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاءً ونبلاً»[٣].

بل هناك من الآيات القرآنية ما يحصر الهدف والغاية من خلق السماوات والأرض في «حصول الإنسان على العلم والمعرفة»[٤]. بمعنى: لو أن الإنسان عمل طوال حياته على تحصيل مزيد من العلم، سيكون سائراً في طريق الغاية من الخلق؛ فيصل عندها إلى السعادة والتكامل، ويغدو أقرب إلى الله سبحانه وتعالى. وبعكس ذلك إذا أهمل المرء تحصيل العلم ولم يسع إلى المزيد من طلب المعرفة، فإنه سيبتعد عن الغاية من خلق العالم، ويبتعد عن الله عزّ وجل.

لقد أشار القرآن الكريم في الكثير من آياته إلى الكون والأرض والحياة والنفس ومراحل خلق الإنسان[٥]، ولفت انتباه الناس إلى مصادر وجذور بعض هذه المسائل، حيث دعاهم إلى التدبّر والتفكر والتعقّل في هذه الظواهر[٦]. فكانت هذه الدعوات نوعاً من الحثّ والتشجيع على طلب العلم، وبذلك خلق أرضية لتطوير العلوم في العالم الإسلامي.

---

١ – انظر: المجادلة: ١١.

٢ –قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، آل عمران: ١٨.

٣ – إحياء علوم الدين، ج١، ص٢٥.

٤ – انظر: الطلاق: ١٢. (وكان لنا كلام في مورد هذه الآية على هامش البحث التطبيقي للعلم في القرآن).

٥ – فيما يتعلق بهذه الآيات، سنذكر بعض المطالب في سياق البحوث القادمة إن شاء الله.

٦ – انظر: آل عمران: ١٩٠، النحل: ٣ ـ ١١، الرعد: ٢ ـ ٤.

وبطبيعة الحال ـ كما تقدم أن ذكرنا ـ فإن اهتمام القرآن بالعلوم، يشمل العلوم الإلهية والعلوم الإنسانية[١].

وقد استعملت مفردة «العلم» في القرآن في معنيين، وذلك على النحو الآتي:

أ ـ العلم بالمعنى الخاص، أي «اللاهوت»:

بيّن الله تعالى في القرآن الكريم أن الهدف والغاية من خلق الكون هي أن يدرك الإنسان ويتعرّف على «العلم والقدرة الإلهية»[٢]. بمعنى أن العلم بصفات الله قد اعتبر بأنه هو العلم الأسمى والغاية من الخلق.

كما تحدّثت بعض آيات القرآن الكريم عن «العلم اللدني» بمعنى العلم الذي يتولى الله تعليمه للإنسان[٣].

وبطبيعة الحال فإن هذا المعنى من العلم هو من أبرز وأهم مصاديق العلم، بل هو من أفضل أنواع العلم على الإطلاق؛ وذلك لأن قيمة كل علم تكمن في المعلومات التي يحصل عليها الإنسان من خلاله[٤]، وعندما يكون المعلوم من خلال العلم عبارة عن إدراك واستيعاب صفات الله تعالى، يكون لهذا العلم قيمة أكبر، وذلك لأنه يقدم للمتعلم أفضل وأسمى المعلومات في العالم.

ب ـ العلم بالمعنى العام:

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ**

---

١ – انظر: مبحث تطبيقات العلم في القرآن.

٢ – انظر: الطلاق: ١٢.

٣ – من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾، الكهف: ٦٥.

٤ – كما روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (قيمة كل امرئ ما يعلمه)، المحجّة البيضاء، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٦.

يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[١].

ويبدو أن المراد من «العلم» في هذه الآية هو مطلق العلم والمعرفة التي تشمل جميع أنواع العلوم والمعارف المفيدة والنافعة[٢].

وقال تعالى في آية أخرى: **﴿يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[٣].

فقد اعتبر «الإيمان والعلم» في هذه الآية بوصفهما معياراً للفرق والتفضيل بين الناس. ومن خلال هذا الفصل يتضح أن «العلم» في حدّ ذاته يستوجب تفضيل الأفراد، ولم يتمّ تقييد هذا العلم بالإلهيات، وعليه فهو مطلق، ويشمل جميع العلماء[٤].

---

١ - الزمر: ٩.

٢ - يرى صاحب التفسير الأمثل أن العلم في هذه الآية ـ لعدم التكافؤ والتساوي بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ مطلق (انظر: ج١٥، ص٢٤)، كما يذهب العلامة الطباطبائي إلى القول بإطلاق العلم في هذه الآية أيضاً، ولكنه بالالتفات إلى مورد الآية يطبقه على العلم بالله (انظر: ج١٧، ص٢٥٧)، وجاء في ذيل الآية روايات مأثورة عن الإمام الباقر عليه السلام التي تبيّن أن المراد من الذين يعلمون في هذه الآية هم أهل البيت عليهم السلام، (انظر: الصافي، ج٤، ص٣١٦). بيد أن المفسرين يحملون هذا النوع من الروايات على أنه حمل على المصداق الأكمل، وإلا فإن الآية تشمل جميع الذين يعلمون، (انظر: الميزان، وأطيب البيان، على هامش هذه الآية).

٣ -المجادلة: ١١.

٤ -ذهب العلامة الطباطبائي إلى القول بأن الآية تدل على انقسام المؤمنين إلى طائفتين: مؤمن، ومؤمن عالم، والمؤمن العالم أفضل [من المؤمن غير العالم]، فيكون التقدير: يرفع الله الذين آمنوا منكم درجة، ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات. (انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص١٦٥). أما الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فيقول: بالرغم من أن الآية نزلت في مورد خاص، إلا أن لها مفهوماً عاماً، بملاحظة أن ما يرفع مقام الإنسان عند الله شيئان: الإيمان والعلم. (انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص٨٦).

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١].

فقد تحدّثت هذه الآية عن نمط من العلماء يعرفون صفات الله، ويدركون عظمته ومنزلته، ولذلك فإنهم يخشونه[٢] ويحذرون من التمرّد على أوامره، والملفت أن الآية التي سبقت هذه الآية والتي قبلها قد تحدّثت عن آيات الله في الطبيعة، من قبيل: نزول المطر، وتبرعم النباتات المختلف ألوانها، وطرق الجبال ذات الألوان المختلفة، والناس والأنعام والزواحف المتنوّعة، ليرسوا على ذكر العلماء. الأمر الذي يثبت بأن المراد من العلم والعلماء في هذه الآية، هي العلوم الطبيعية، بمعنى: العلماء الذين يتوصلون إلى معرفة الله من خلال تدبّرهم في العلوم الطبيعية[٣].

٤ـ العلاقة بين القرآن والعلوم التجريبية:

أ ـ تأريخ الكتابة والتأليف في علاقة القرآن بالعلوم:

فيما يتعلق بالقرآن والعلم على طول تاريخ الإسلام، كان هناك عدة أنواع من التأليف:

١ ـ **كتب التفسير:** حيث تمّ التطرّق أحياناً ـ في هامش الآيات المتعلقة

---

١ – فاطر: ٢٨.

٢ – المراد من الخشية هنا، هي الخوف الذي يشوبه تعظيم [الله]، (انظر: الأمثل، ج١٤، ص٥٢).

٣ – قال آية الله مكارم الشيرازي بعد بيان صلة هذه الفقرة من الآية (فاطر: ٢٨) بالأجزاء السابقة، والآيات التي قبلها، وضرورة تحمّل العلماء للمسؤولية: (إن العلماء ـ بالمنطق القرآني ـ ليسوا أولئك الذين تحوّلت أدمغتهم إلى صناديق للآراء والأفكار المختلفة من هنا وهناك، ومليئة بالقوانين والمعادلات العلمية للعالم وتلهج بها ألسنتهم، أو الذين سكنوا المدارس والجامعات والمكاتب، بل إن العلماء هم أصحاب النظر الذين أضاء نور العلم والمعرفة كل وجودهم بنور الله والإيمان والتقوى، والذين هم أشدّ الناس إرتباطاً بتكاليفهم)، (الأمثل، ج١٤، ص٥٣). أما العلامة الطباطبائي، فيذهب إلى القول بأن المراد بالعلماء هم العلماء بالله، (انظر: الميزان، ج١٧، ص٣٥).

بالطبيعة والكون وما إليهما ـ إلى مطالب من العلوم التجريبية، وقد بدأت هذه الحركة بعد انتشار أعمال ترجمة الكتب العلمية الإغريقية والفارسية والسنسكريتية والسريانية إلى العربية[١]. حيث تعرّض بعض المفسرين، من أمثال: الطبرسي (م: ٥٤٨ ق) في مجمع البيان[٢]، والفخر الرازي (م: ٦٠٦ ق) في التفسير الكبير[٣]، إلى المسائل العلمية في آيات القرآن. واستمرّت هذه الحركة إلى المفسرين المعاصرين، ومن بينهم: الشيخ محمد عبده (١٨٤٨ ـ ١٩٠٥م) في تفسير جزء عمّ[٤]، ورشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) في تفسير المنار[٥]، والطنطاوي الجوهري (المولود في عام ١٨٦٢م) في الجواهر في تفسير القرآن[٦]، وسيد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٣٣م) في تفسيره (في ظلال القرآن)[٧]، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل)[٨]، والتفاسير الأخرى[٩].

---

١ – منذ عام ١٢٥ للهجرة فما بعدها ترجمت الكتب العلمية إلى العربية، وبدأت حركة الترجمة في حقل الفلك والكيمياء والطب والهندسة وما إلى ذلك. وقد ذكر ابن النديم في (الفهرست)، والقفطي في (تاريخ الحكماء) أسماء المترجمين، كما تعرّض لهذه المسألة كل من جرجي زيدان في (تاريخ التمدّن الإسلامي)، ج٣، ص١٥٤ ـ ١٥٥، والدكتور صفا في كتابه (تاريخ علوم عقلي در ايران).

٢ – انظر: هامش البقرة: ٢٩ وغيرها.

٣ – انظر: هامش البقرة: ٢٢ و٢٩ و١٦٤، الأعراف: ٥٤ وغيرها.

٤ – انظر: هامش الشمس: ٥، وهامش سورة الفيل وغيرها.

٥ – انظر: هامش البقرة: ٢٤٣ و٢٦٠ وغيرها.

٦ – انظر: هامش البقرة: ٦٧ ـ ٧٢ وغيرها.

٧ – انظر: هامش المؤمنون: ١٢، والفرقان: ٢.

٨ – انظر: الأمثل، ج٢٧، ص٤٤٠، وج ٥، ص٣٨٧، وج ١٨، ص٤٦٦ وغيرها.

٩ – مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، لكاتب السطور، حيث يحتوي على فهرسة ببلوغرافية لعناوين (٢٠٨) كتاباً في التفسير العلمي للقرآن الكريم.

٢ ـ كتب الإعجاز العلمي في القرآن: حيث تعرّضت إلى أبحاث القرآن والعلوم الحديثة من زاوية الإعجاز، وبيّنت بعض المسائل في هذا الشأن.

ومن بين أولئك عبد العزيز إسماعيل، في كتابه «معجزات القرآن في وصف الكائنات» (طبع في القاهرة عام ١٩٥٤م)، ومحمد سامي محمد علي، في كتابه «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم»، ولكاتب هذه السطور «پژوهشي در اعجاز علمي قرآن»[١] وغيرها من الكتب في هذا المجال.

٣ ـ كتب الأبحاث النظرية في بيان العلاقة بين القرآن والعلم، ومن بينها: «الموافقات في أصول الأحكام»، لأبي إسحاق الشاطبي (م: ٧٩٠ق) والذي خالف فيه قواعد التفسير العلمي. وكتاب «التفسير العلمي في الميزان»، للدكتور أحمد عمر أبو حجر. وكتاب «شناخت جريان علمي نگري به قرآن»[٢]، لمؤلفه: فروغ بارسا. وكتاب «در آمدي بر تفسير علمي قرآن»[٣] لكاتب السطور، حيث تمّ التعرّض إلى المساحة والعلاقة الجدلية بين العلم والدين، وطرق حلها من خلال الاتجاه القرآني. وكذلك كتاب «تفسير علمي قرآن»[٤] لمؤلفه: الدكتور ناصر رفيعي محمدي، والذي تعرّض فيه إلى المسار التاريخي لهذه المسألة، وأولاها اهتماما خاصاً. وكذلك كتاب «قرآن وعلوم طبيعت»[٥]، لمؤلفه الدكتور مهدي گلشني. وكذلك كتاب «القرآن والمنهج العلمي المعاصر»، لمؤلفة المستشار عبد الحليم الجندي. وكتاب «قرآن وعلم روز»،

---

١ - (بحث في الإعجاز العلمي للقرآن) المعرّب.
٢ - (معرفة الاتجاه العلمي للقرآن) المعرّب.
٣ - (مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن) المعرّب.
٤ - (التفسير العلمي للقرآن) المعرّب.
٥ - (القرآن وعلوم الطبيعة) المعرّب.

لمؤلفه: عبد الغني الخطيب، وقد نقله إلى الفارسية الدكتور أسد الله مبشري. وكتاب «مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم»، لمؤلفه: عماد الدين خليل. وكتاب «العلم والدين مناهج ومفاهيم» لمؤلفه: أحمد عروة. وكتاب «العلوم في القرآن»، تأليف: محمد جميل الحبال ومقداد مروي الجواري.

٤ ـ كتب الأبحاث التاريخية في بيان العلاقة بين القرآن والعلم، بمعنى أنها بحثت تأثير القرآن في تطوّر العلوم على طول تاريخ المسلمين. ومن بينها:

كتاب «كارنامه اسلام»[١]، لمؤلفه: الدكتور عبد الحسين زرين كوب، وقد بحث فيه تأثير الإسلام بشكل عام، والقرآن بشكل خاص في تشجيع العلم وتطوير العلوم. وكتاب «الإسلام والهيئة»، تأليف السيد هبة الدين الشهرستاني، وكتاب «قرآن در اسلام»[٢] لمؤلفه: العلامة محمد حسين الطباطبائي، حيث اهتمّ فيه بتأثير القرآن في تأسيس وتطور العلوم الإسلامية والتجريبية والعقلية. وترجمة السيد هادي خسرو شاهي لكتاب «الإسلام والهيئة». وكتاب «العلوم الإسلامية وأثرها في التقدم العلمي للعالم»، لمؤلفه: آلدو ميلي، وقد نقله إلى الفارسية محمد رضا شجاع رضوي والدكتور أسد الله علوي، تحت عنوان: «علوم اسلامي ونقش آن در تحوّل علمي جهان». وكتاب «تاريخ التمدّن الإسلامي»، لمؤلفه: جرجي زيدان. وكتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» لمؤلفه: السيد حسن الصدر. وكتاب «پويائي فرهنگ وتمدن اسلام وايران»[٣] تأليف: علي أكبر ولايتي. وكتاب «علل پيشرفت وانحطاط

---

١ - (رسالة الإسلام) المعرّب.

٢ - (القرآن في الإسلام) المعرّب.

٣ - (أصالة الثقافة والحضارة في الإسلام وإيران) المعرّب.

مسلمين»[١]، لمؤلفه: زين العابدين قرباني، حيث أشار فيه إلى تأثير القرآن في تطوّر الحضارة الإسلامية والعلوم الإنسانية.

٥ ـ كتب الأبحاث التجريبية في بيان العلاقة بين القرآن والعلم.

ومن بينها:

كتاب «الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم» لمؤلفه عبد الحميد أعرابي. وكتاب «قرآن وگياه خواري»[٢]، لمؤلفه جمشيد إيماني راد. وكتاب «باد وباران در قرآن»[٣] لمؤلفه: المهندس مهدي بازرجان. وكتاب «هفت آسمان»[٤] لمؤلفه: محمد باقر بهبودي. وكتاب «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» لمؤلفه: محمد علي الباي. وكتاب «تكامل در قرآن»[٥] لمؤلفه: علي المشكيني. وكتاب «قرآن وروان شناسي»[٦] تأليف: محمد عثمان نجاتي. وكتاب «الألوان في القرآن الكريم» لمؤلفه: عبد المنعم الهاشمي.

وسيأتي المزيد من عرض الاتجاهات المختلفة في بيان العلاقة بين القرآن والعلم وعرض تأريخ هذه الاتجاهات وأصحابها في الفصل الثاني فارتقب.

ب ـ حدود العلاقة بين القرآن والعلوم التجريبية

توجد في هذا الشان ـ بناء على الحصر العقلي ـ أربعة احتمالات:

---

١ – (أسباب تقدّم وانحطاط المسلمين) المعرّب.

٢ – (القرآن والتغذية النباتية) المعرّب.

٣ – (الرياح والأمطار في القرآن) المعرّب.

٤ – (السماوات السبع) المعرّب.

٥ – (التكامل في القرآن) المعرّب.

٦ – (القرآن وعلم النفس) المعرّب.

١ ـ أن لا يكون بين القرآن والعلم أي علاقة أبداً (الانفصال المطلق بين القرآن والعلم).

٢ ـ أن تكون هناك علاقة بين القرآن والعلم، ولكنها علاقة سلبية، بمعنى أن يكون هناك خصومة ومعارضة بين العلم والقرآن.

٣ ـ أن تكون هناك علاقة بين القرآن والعلم، ولكنها علاقة غير سلبية، ويكون هناك تداخل بين القرآن والعلم.

٤ ـ أن تكون هناك علاقة بين القرآن والعلم، ولكنها علاقة غير سلبية، ويكون هناك انسجام بين العلم والقرآن.

بيد أنه من خلال الاستناد إلى الوقائع الخارجية والشواهد الداخلية (في نصوص القرآن)، يتضح أن القرآن الكريم غير منفصل عن العلوم التجريبية، وأن لا خصومة بينه وبين العلوم. ويتضح هذا من خلال الشواهد، ومن خلال اهتمام القرآن بالعلم، وتلميحاته العلمية، وكشفه عن الأسرار العلمية على سبيل الإعجاز[١].

أجل، إن القرآن ليس مرتبطاً بالعلم فحسب، وإنما هو يحث على العلم ويشجع العلماء[٢]، وقد أشار القرآن ـ في أكثر من ألف آية ـ إلى المسائل العلمية في الطبيعة وفي الإنسان أيضاً[٣].

فلا تعارض بين القرآن الكريم ومعطيات العلوم التجريبية، بل إن القرآن قد

---

١ – تقدم ذكر بعض هذه الشواهد، وبعضها الآخر سيأتي في سياق البحوث القادمة إن شاء الله تعالى.

٢ – انظر: المجادلة: ١١؛ الزمر: ٩ و...

٣ – انظر: العلوم في القرآن، محمد جميل الحبال ومقداد مرعي الجواري، ص٣٥ ـ ٣٦، وكذلك في تضاعيف هذا الكتاب.

ساعد على تمهيد الأرضية أمام انتشار العلوم التجريبية. وإذا كان هناك إدعاء أو توهم وجود تعارض ظاهري بين القرآن والعلم، فهو تعارض يزول من خلال التأمل في الآيات أو مقدمات النظريات العلمية.

وأما تداخل القرآن والعلم على أساس نظرية «استخراج العلوم من القرآن»، وعلى أساس المبنى القائل بوجود جميع العلوم البشرية في القرآن الكريم، فيمكن توجيهه من خلال الالتفات إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾[1]. بيد أن هذا المبنى قد تعرّض للنقد في البحوث السابقة، وقد أوضحنا في مورد الآية الشريفة أن القرآن فيه تبيان لكل شيء يقع في إطار الغاية التي نزل القرآن من أجلها، وهي الهداية. وبالالتفات إلى القرينة اللبية، لا يثبت وجود جميع العلوم في ظواهر القرآن الكريم، هذا بالإضافة إلى مخالفة هذا الكلام لبديهة العقل. وعلى هذا الأساس فإن القول بـ«استخراج العلوم من القرآن» الذي هو من أنواع التفسير العلمي لا يقوم على أساس ودليل صحيح، وعلاوة على عدم صحته، فهو يؤدي إلى التفسير بالرأي.

وعليه بعد إبطال الاحتمالات الثلاثة، وهي: الانفصال والتداخل والتعارض بين القرآن والعلم، يثبت الاحتمال الرابع، أي: علاقة الانسجام بين القرآن والعلم، وذلك لأن هذا التقسيم الرباعي قائم على الحصر العقلي؛ لقيامه على أساس الإثبات والنفي.

أجل، إن القرآن من جهة يؤيد ويحث على جميع العلوم البشرية، بل كان عاملاً وسبباً في ظهور وتقدّم بعض العلوم. كما أنه يشتمل على إشارات

---

١ - النحل: ٨٩.

علمية إعجازية، وإلماعات معرفية منتجة للأفكار. ومن جهة أخرى فإن العلوم التجريبية تلعب دوراً إيجابياً في فهم وتفسير الآيات القرآنية، وأحياناً يؤدي التطابق التام بين القرآن والعلوم الحديثة إلى إثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ولابد من عطف الكلام حول إدعاء وقوع التعارض بين القرآن والعلم وبسط الكلام فيه؛ إذ يشكل هذا البحث مفصلاً رئيسياً في تحديد العلاقة بين القرآن والعلوم، ويقع هذا البحث ضمن مبحث أشمل تحت عنوان العلم والدين. وهناك من الباحثين من يرى استحالة وقوع التعارض الحقيقي بين العلم والدين[١]، ويقول: إن ما يُذكر بوصفه تعارضاً بين العلم والدين، لا يعدو أن يكون توهماً للتعارض، أو هو من التعارض البدوي الظاهري الذي يزول بالتأمل والتدقيق في العلم والدين[٢].

ومهما كان فقد ادعي وجود التعارض الظاهري بين القرآن والعلم في بعض الموارد، من قبيل: التعارض المدعى بين آيات «خلق الإنسان»[٣]، و«نظرية التطوّر» للامارك (١٧٧٤ ـ ١٨٢٩ م) وتشارلز داروين (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢ م)، حيث ذهب بعض العلماء المسلمين إلى رفض نظرية التطوّر رفضاً كاملاً، مستدلاً على ذلك بالآيات القرآنية، من قبيل: الآية ٥٩ من سورة آل عمران، وعمل على توجيه الآيات المخالفة[٤].

---

١ – انظر: سبحاني، جعفر، مجلة كلام تخصصي، العدد: ١ (ربيع عام ١٩٩٢ م)، ص٧.

٢ – انظر: رضائي الإصفهاني، محمد علي، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص٢٢٩، وص ٣٩١.

٣ – انظر: آل عمران: ٥٩؛ الصافات: ١١؛ الأنعام: ٢؛ الحجر: ٢٨ ـ ٢٩.

٤ – انظر: مهاجري، مسيح، نظريه تكامل از ديدگاه قرآن (نظرية التطوّر في القرآن)، ص٥٣ ـ ٥٦.

وحيث أن ظاهر بعض آيات القرآن يوافق نظرية التطور وظاهر بعضها يخالفها وظاهر بعضها الآخر يحتمل الانطباق على الموافقة والمخالفة[١]، ذهب بعض العلماء بشأن آية واحدة إلى ادعائين على طرفي نقيض، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾[٢]، إذ ذهب الدكتور مصطفى محمود إلى القول بأنها صريحة في أن الإنسان لم يُخلق من التراب ابتداءً، وإنما هو مخلوق من سلالة شكلت بداية ومقدّمة لظهور الإنسان[٣] (بمعنى أن الآية تثبت نظرية التطوّر الداروينية)، إلا أن البعض الآخر قد جعل من هذه الآية دليلاً على رفض نظرية التطوّر[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لأَدَمَ**﴾[٥]، ذهب المشكيني إلى القول باعتبارها من أوضح الآيات التي يمكن توظيفها في إثبات «نظرية التطوّر»[٦]، مستدلاً بلفظ «ثمّ»، بيد أن بعض المفسرين المعاصرين رفضوا هذا الكلام، من خلال ذكر الاحتمالات القائمة في دلالة لفظ «ثمّ»[٧].

من هنا ذهب بعض العلماء فيما يتعلق بنظرية التطوّر إلى القول بعدم إمكانية

---

١ - انظر: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، لكاتب السطور، ص٢٤٩ ـ ٢٧٦.
٢ - المؤمنون: ١٢.
٣ - انظر: مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، ص٥٣ ـ ٥٥.
٤ - انظر: بسام دفضع، الكون والإنسان بين العلم والقرآن، ص١٥٢.
٥ - الأعراف: ١١.
٦ - انظر: تكامل در قرآن (التكامل في القرآن)، ص٢٥ ـ ٢٦.
٧ - انظر: تفسير نمونة (الأمثل)، ج١١، ص٨٨ ـ ٨٩

نسبة أي واحد من هذين الرأيين إلى القرآن بضرس قاطع[١]، وهناك من ذهب إلى القول بأن نظرية التكامل إذا ثبتت بشكل قاطع، أمكن تأويل الآيات القرآنية بما ينسجم مع هذه النظرية[٢].

الأمر الذي يعني وجود أربعة احتمالات فيما يتعلق بمسألة القرآن والعلم:

١ ـ إن القضايا القطعية العلمية تشكل مقدمة وقرينة على تفسير الآيات القرآنية.

٢ ـ إن القضايا القطعية في القرآن (النص) مقدمة على العلم؛ لأن القطع مقدم على الظن.

٣ ـ إن القضايا الظنية في القرآن مقدمة على العلم؛ لأن ظاهر القرآن حجّة علينا.

٤ ـ إن القضايا التي تنتهي إلى التعارض الحقيقي بين العلم والقرآن مستحيلة، فإما أن يكون سببها هو الخطأ في فهم القرآن، أو يكون هناك خطأ في مقدمات الدليل العلمي.

توضيح ذلك: أن التعارض الواقعي بين القضية القطعية العلمية والقضية القطعية القرآنية يؤدي بنا إلى القول بالتناقض؛ إذ الفرض أن كلتا القضيتين مطابقة للواقع، وإن إحداهما تقول: «إن ألف هي باء»، وتقول الأخرى: «إن ألف ليست باء». وفي الحقيقة والواقع لا يكون في الخارج إلا واحدة منهما. إذن يتعين علينا أن نختار من بين النفي والإثبات أحدهما، وإلا وقعنا في مصيدة التناقض. من هنا قال بعض المفسرين من المتكلمين: «يستحيل وقوع التعارض بين (العلم والدين)، فلا بد أن تكون إحدى هاتين القضيتين باطلة، فإما أن لا تكون

---

١ – انظر: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، لكاتب السطور، ص٢٧٦.

٢ – انظر: سبحاني، جعفر، داروينيسم يا تكامل انواع (الداروينية أو تطوّر الأنواع)، ص٢١.

المعلومة الدينية من الدين، وإما أن لا تكون القضية العلمية من العلم في شيء»[١].

وقد سعى بعض المنظرين الغربيين إلى حلّ التعارض الظاهري بين الآيات ومعطيات العلوم التجريبية، من خلال النظريات اللغوية، والقول بالفرق بين لغة العلم (اللغة الناظرة)، ولغة الدين (اللغة العاملة). وسعى بعض آخر إلى حل التعارض من خلال القول بآلية العلم واعتبار العلم التجريبي أسطورة نافعة، أو من خلال القول بآلية الدين واعتباره سلّماً لارتقاء الإنسان على المستوى الروحي والمعنوي. كما عمدوا أحياناً إلى حل هذا التناقض من خلال الفصل بين حقل العلم وحقل الدين[٢].

وبذل بعض المنظرين من المسلمين والمفسرين والمتكلمين المعاصرين، جهوداً أخرى من أجل حلّ التعارض بين العلم والدين، حيث أشار بعضهم إلى ضرورة الإصرار على ظاهر الآية والتريّث والصبر، ومن بينهم الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني، حيث أشار إلى عدم قطعية النظريات العلمية، وقال بأن الطريق إلى حل التعارض يكمن في الإصرار على ظاهر القرآن والصبر إلى حين، عسى أن ترد نظرية علمية جديدة تثبت ما عليه القرآن الكريم[٣].

وقال الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي في هذا السياق:

«لو أن مفاد آية كان منسجماً مع أسس الحوار، وكان متطابقاً مع النظرية (الفلسفية أو العلمية وما إلى ذلك) فبها ونعمت، بل كلما كان هناك تطابق واضح

---

١ - سبحاني، جعفر، مجله كلام، العدد: ١، ص٧.

٢ - انظر: إيان باربر، علم ودين، نقله إلى الفارسية: بهاء الدين خرمشاهي، ص٩٣ ـ ٩٥، وص ١٤٩ ـ ١٥١، وص ١٥٣، وص ٢٨٣ ـ ٢٨٥.

٣ - انظر: الصافي الكلبايكاني، به سوي آفريدگار، ص٨٥ فما بعد.

في القرآن التزمنا به، وأما فيما عدا ذلك فيجب التريّث»[١].

واختار البعض الآخر طريق التصرّف في ظواهر الآيات لحل التعارض، ومن بين هؤلاء الشيخ جعفر سبحاني حيث قال في معرض إشارته إلى تعارض القرآن والعلم في مورد نظرية التطوّر:

«لو أن نظرية التطوّر اكتسبت الصبغة العلمية في المستقبل، وثبت بالدليل القطعي الواضح أن الإنسان الراهن قد أصبح بعد نقلات جوهرية وتحولات نوعية إنساناً سوي القامة ذا نفس ناطقة، وبلغ هذا الثبوت مرحلة بحيث تغدو نظرية التطور في عداد المسائل البديهية التي لا يمكن إنكارها بحال، فإن ظواهر القرآن عند ذلك لن تكون مستعصية على التأويل»[٢].

وبعبارة أخرى: إن العلم القطعي والبديهي في مثل هذه الموارد سوف يشكل قرينة لبيّة تسوّغ التصرّف في ظاهر الآيات المخالفة لنظرية التطوّر.

وبطبيعة الحال من الواضح أن كل واحد من هذه الحلول يمكنه تغطية جانب من التعارضات المدعاة في القرآن والعلم، وإن التقسيم الرباعي الذي ذكر بهذه الشأن في صدر البحث، يمكنه أن يشكل إطاراً نظرياً لتغطية جميع جوانب التعارضات المدعاة، وبطبيعة الحال فإن كل واحد من التعارضات المدعاة له خصوصيته، وعليه لا بد من دراسة ونقد كل واحد منها على حدة، وتقديم الحلول المناسبة لرفع التعارض الظاهري[٣].

---

١ - مصباح اليزدي، محمد تقي، معارف قرآن، ص٢٢٩.

٢ - سبحاني، جعفر، داروينيسم يا تكامل أنواع، ص٢١.

٣ - إن البحث بشأن تعارض العلم والدين والتحقيق في مصاديق التعارض المدعى في العلم والقرآن من الكثرة بحيث لا يسعنا ذكره واستيعاب جميع جوانبه في هذا المختصر. (انظر: در آمدي بر تفسير علمي قرآن وپژوهشي در إعجاز علمي قرآن، لكاتب السطور).

ج ـ الأهداف الأصلية والفرعية لآيات القرآن العلمية:

يمكن التعرّف إلى أهداف القرآن من خلال آياته التي تبيّن أحياناً أن الهدف من نزول القرآن هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور[١]. وتارة تقول: إن الغاية من نزول القرآن هي «الهداية»[٢].

وبطبيعة الحال يبدو أن الهدف الرئيس من وراء نزول القرآن هو الهداية إلى الله، وهذا الهدف في حدّ ذاته يتمثل بإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال والشرك إلى نور التوحيد والعلم، وإن التعقل والبشارة والإنذار والرحمة الإلهية أمور تخلق الأرضية لهذا الإخراج والحركة في مسير الهداية[٣].

وأما فيما يتعلق بالآيات العلمية في القرآن الكريم، فقد تحدّثت عن عدّة أهداف:

الأول: إن الإشارات العلمية في القرآن إلى الطبيعة والكون وما إلى ذلك، تعدّ من الآيات الإلهية ويتضح معناها في إطار العلم والمعرفة. من هنا نجد أنّ الله سبحانه وتعالى في سورة الرعد بعد الإشارة إلى بسط الأرض والجبال الرواسي والأنهار والثمار وقانون الزوجية وتعاقب الليل والنهار، يصفها بأنها علامات وآيات للذين يتفكرون، ثم ينتقل إلى الحديث عن قطع الأرض المتجاورات والحدائق المثمرة بوصفها آيات لأولي الألباب والعقول[٤].

الثاني: إن الإشارات العلمية في القرآن علامات ودلالات يراد منها بيان

---

١ ـ قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، إبراهيم: ١.

٢ ـ انظر: النحل: ٨٩، البقرة: ٩٧، وغيرهما.

٣ ـ انظر: البقرة: ٢١٣، النساء: ١٠٥.

٤ ـ انظر: الرعد: ٣ ـ ٤.

حقيقة القيامة وإدراكها بشكل أفضل.

من هنا نجد في سورة الحج إشارة علمية إلى مراحل خلق الإنسان بالقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ...﴾[1]، وهكذا في سورة الطارق، حيث يقول بعد بيان خلق الإنسان من ماء دافق: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[2].

الثالث: إن الإشارات العلمية في القرآن تعدّ الأرضية للتفكير والتعقل وتذكير الإنسان. كما أنها تُعدّ من نتائج ذلك أيضاً، وقد تمّت الإشارة إلى هذه الحقيقة في العديد من الآيات القرآنية[3].

وبذلك يتضح أن الهدف الرئيس من وراء نزول القرآن هو «هداية» الإنسان، وإن الآيات العلمية في القرآن ترمي إلى هذا الهدف، بمعنى توجيه الإنسان إلى التوحيد والمعاد ليهتدي، بيد أنه يمكن لنا في الوقت نفسه أن نتصوّر غايات فرعية أخرى بالإضافة إلى هذه الغاية الرئيسة، من قبيل: حثّ الإنسان على التفكير والتعقل أيضاً. بمعنى أن الآيات والإشارات العلمية الواردة في القرآن تهدف إلى تشجيع الإنسان على توظيف طاقته الفكرية ومقدرته العقلية أثناء سيره في هذه الحياة، كيما يبلغ الهداية والوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

من هنا قال بعض الباحثين والمنظرين بأن «البحث بشأن الكون والطبيعة

---

١ - الحج: ٥.

٢ - انظر: الطارق: ٥ ـ ٨.

٣ - انظر: الرعد: ٢ ـ ٣، النحل: ١١ ـ ١٣.

والإنسان في القرآن الكريم، إنما جاء استطراداً وبشكل عرضي»[١]. وبعبارة أخرى: إن القرآن ليس كتاباً في علم الفيزياء أو علم النبات أو علم الجغرافيا أو الكون.

إن القرآن يهدف إلى صنع الإنسان، وقد نزل لكي يعلم الإنسان كلّ ما من شأنه أن ينفعه في طريق التكامل الحقيقي (والتقرّب من الله تعالى). ولذلك فإن الله لم يفصّل في الآيات المتعلقة بالكون أبداً، وإنما اكتفى بالمقدار الذي يلبّي الغاية التي نزل القرآن من أجلها، وهي هداية الناس إلى الله تبارك وتعالى»[٢].

وبطبيعة الحال فإن الإشارات العلمية في القرآن كما تمهّد الأرضية إلى معرفة الله والمعاد، فإنها في بعض الموارد تشير إلى مسائل علمية تهدف إلى إثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أو تدعوا إلى استثارة فضول الإنسان، وتمهّد الأرضية إلى تطوير وتقدّم العلوم. ومن هنا لا يمكن التقليل من شأن المسائل والموضوعات العلمية الواردة في القرآن واعتبارها مجرّد أمثلة بسيطة. بل إن الأشارات العلمية في القرآن هي جزء من المعارف والتعاليم القرآنية، وإنها بالإضافة إلى الهدف الرئيس المتمثل بالهداية، تشتمل في السياق ذاته على أهداف فرعية أيضاً.

---

١ - انظر: مصباح اليزدي، محمد تقي، معارف قرآن، ص٢٢٥ ـ ٢٢٨.

٢ - انظر: المصدر أعلاه.

الفصل الثاني

منهج التفسير العلمي

للقرآن الكريم

المقدمة:

تعود الجذور التاريخية للبحوث المرتبطة بالقرآن الكريم والعلوم التجريبية إلى ألف سنة خلت. ويطلق عليها أحياناً عنوان استنباط العلوم من القرآن، أو التفسير العلمي للقرآن، أو أسلوب الفهم العلمي من القرآن الكريم. وقد واجه هذا التفسير طوال التاريخ منعطفات كثيرة فيما يتعلق باهتمام المفسرين، وعلماء المسلمين، وحتى غير المسلمين.

إن هذا البحث يرتبط من جهة بالتفسير، ويرتبط من جهة ثانية بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كما يرتبط بالعلوم التجريبية من جهة ثالثة. ومن هنا فإنه يُعتبر من الأبحاث الرئيسة التي تتفرّع عنها بحوث أخرى، من قبيل: القرآن والعلوم السياسية، والقرآن وعلم الاقتصاد، والقرآن وعلم الاجتماع، والقرآن وعلم الفلك وما إلى ذلك.

و هناك موافقون ومخالفون لهذا المنهج على طول التاريخ، وقد أدّى الأمر أحياناً بكلا الطرفين إلى الإفراط والتفريط. وفي هذا الفصل سندافع عن المنهج المعتدل، أي توظيف العلوم في فهم القرآن وأساليبه الجديدة، وبيان الاتجاهات المختلفة في بيان أصل وجود العلاقة بين القرآن والعلم، ثم بيان الاتجاهات المتنوعة للقائلين بوجود علاقة بين القران والعلم والمؤيدين للتفسير العلمي، ويتمّ رفض الأساليب الأخرى من قبيل: استخراج جميع العلوم التجريبية من القرآن، أو فرض النظريات العلمية وتحميلها على القرآن.

١ـ مفهوم المنهج والتفسير والعلم

إن عبارة «أسلوب أو منهج التفسير العلمي» تتألف من ثلاث كلمات، وهي:

«الأسلوب» أو «المنهج» بمعنى: توظيف مصدر خاص في التفسير للوصول إلى بيان وإيضاح المعاني المرادة من الآية، والحصول على نتائج محدّدة.

وأما كلمة «التفسير» فقد ذكرت لها تعاريف مختلفة[١]، وحاصلها: «الكشف عن الكلمات والعبارات الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح مقاصدها».

وأما المراد من كلمة «العلم» في العنوان، فهو «العلوم التجريبية»[٢] التي تنقسم إلى: العلوم الطبيعية[٣] (من قبيل: علم الفيزياء، وعلم الطب، وعلم الفلك، وما إلى ذلك)، والعلوم الإنسانية[٤] (من قبيل: علم الاجتماع، وعلم النفس، وما إلى ذلك).

بيد أن العلماء والمفكرين قد أبدوا تعريفات متعددة للتفسير العلمي، نشير إلى بعضها على النحو الآتي:

قال الدكتور محمد حسين الذهبي في تعريف التفسير العلمي: «نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحكّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»[٥].

وبطبيعة الحال فإنه قد اعتبر التفسير العلمي أعم من التفسير الفلسفي. في

---

١ - انظر: الراغب الإصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن؛ تاج العروس، ماد (فَ سَ رَ)؛ محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٤؛ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٩٢؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص١٣ وغيرها.

٢ - Experimental scinces

٣ - Natural scinces

٤ - Humanitles

٥ - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٢١.

حين أنهما تفسيران منفصلان عن بعضهما طبقاً للتعريف المشهور. وعليه فإن العلوم التجريبية المقصودة هنا، تقع في قبال العلوم العقلية (مثل الفلسفة).

كما أشار إلى قسمين من التفسير العلمي، وهما: «تحميل النظريات على القرآن»، و«استخراج العلوم من القرآن». في حين أننا سنثبت أن هناك قسماً ثالثاً من التفسير العلمي، ألا وهو «استخدام العلوم في فهم القرآن».

وقال أمين الخولي في تعريف التفسير العلمي:

«هو تفسير يذهب قائله إلى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن، ويرى في القرآن ميداناً يتسع للعلم الفلسفي والإنساني في الطب والتشريح والجراحة والفلك والنجوم والهيئة ... ويحكّم الاصطلاحات العلمية في القرآن، ويجتهد في استخراج هذه العلوم»[1].

وقد أشار هذا التعريف إلى قسمين من التعاريف فقط، وهما: «تحميل النظريات على القرآن»، و«استخراج العلوم من القرآن» أيضاً، ولم يُشر إلى القسم الثالث، وهو «استخدام العلوم في فهم القرآن».

كما أكد (راترود ويلانت) في دائرة معارف القرآن (ليدن) في مقال «تفسير القرآن في المرحلة الجديدة» في تعريف التفسير العلمي على استخراج العلوم من القرآن أيضاً، وقال:

---

١ – مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، ص٢٨٧؛ كما أورد هذا التعريف السيد محمد أيازي في كتابه (المفسرون حياتهم ومناهجهم)، ج١، ص١٢٧ أيضاً. بيد أني لم أعثر على النص حرفياً كما أورده المؤلف عن كتاب الخولي إلا ما كان من الفقرة الأخيرة؛ فاعتمدنا على نقل نصّ التعريف كاملاً عن محمد إيازي في كتابه: (المفسّرون حياتهم ومناهجهم)، المعرّب.

«يجب التعرّف إلى التفسير العلمي في ضوء فرضية أن جميع أنواع معطيات ونتائج العلوم الطبيعية الحديثة قد تنبأ بها القرآن، وأن بالإمكان العثور على الكثير من القرائن والشواهد الواضحة عليها من خلال آيات القرآن، ابتداءً من الاكتشافات العلمية فيما يتعلق بعلم الفلك في عصر كوبرنيكوس وصولاً إلى خواص الكهرباء، ومن النظم والترتيب الموجود في التفاعلات الكيميائية إلى أسباب الأمراض والالتهابات، حيث يجب أن تكون جميع هذه الأمور موجودة في القرآن مسبقاً».

وقد عرّف عبد الرحمن العك التفسير العلمي على النحو الآتي:

«هذا التفسير يقوم أصلاً على شرح وإيضاح الإشارات القرآنية التي تشير إلى عظيم خلق الله تعالى، وكبير تدبيره وتقديره لتلك الآيات المنظورة في هذا الكون المعمور»[1].

وبطبيعة الحال فإن هذا التعريف قد لامس المراد الأصلي من التفسير العلمي إلى حدّ ما، حيث ابتعد عن تعريفه بالاستخراج والتحميل. ولكنه لم يوضح ما إذا كان يُستفاد في التفسير العلمي من العلوم القطعية أو النظريات الظنية.

وقال الدكتور فهد الرومي في تعريف التفسير العلمي:

«والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن التعريف الأقرب إلى أن يكون جامعاً مانعاً أن يقال: المراد بالتفسير العلمي هو اجتهاد المفسّر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجهٍ يظهر به إعجاز

---

١ – عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص٢١٧.

للقرآن يدلّ على مصدره وصلاحيته لكلّ زمان ومكان»[١].

وقد رأى الدكتور ناصر رفيعي محمدي ـ بعد بيان التعريفات المختلفة ونقدها ـ أن هذا التعريف الأخير هو الأنسب[٢].

وعليه يمكن لنا أن نستنتج أن لأسلوب ومنهج التفسير العلمي للقرآن أنواعاً وأقساماً مختلفة، وأنه قد تمّ على أساسها تقديم تعريفات متفاوتة، فقد تمّ التعبير عنه تارة بـ«استخراج العلوم من القرآن»، وبـ«تحميل النظريات على القرآن» تارة أخرى. بيد أن مرادنا من ذلك في هذا الكتاب هو «توظيف العلوم من أجل فهم أفضل للقرآن. بمعنى استخدام مصادر العلوم التجريبية القطعية بوصفها أداة للتفسير، وإيضاح الإشارات العلمية الواردة في آيات القرآن الكريم، بعد مراعاة جميع معايير وضوابط التفسير الصحيح في هذا الإطار، دون أن يكون ثمّة أدنى تحميل أو استخراج»[٣].

٢ـ أسباب ظهور وتطور التفسير العلمي للقرآن:

بزغ فجر الإسلام في شبه جزيرة العرب، ودعا سكان هذه المنطقة ـ التي كان عدد القارئين والمتعلمين فيها نزراً يسيراً[٤] ـ إلى طلب العلم والمعرفة. ووصف القرآن بأنه معجزة[٥].

---

١ – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج٢، ص٥٤٩.

٢ – انظر: الدكتور ناصر رفيعي محمدي، تفسير علمي قرآن، ج١، ص١٤٠.

٣ – لمزيد من الإيضاح، انظر: رضائي الإصفهاني، محمد علي، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص٢٧٤ و٣٧٨.

٤ – كان هناك سبعة عشر رجلاً وبضعة نساء هم مجموع القارئين في شبه الجزيرة العربية، (انظر: فتوح البلدان، البلاذري، ج٣، ص ٥٨٠).

٥ – انظر: البقرة: ٢٣.

لقد عمد القرآن الكريم ـ من خلال دعوة الناس إلى التفكر والتدبّر في الآيات الإلهية وخلق السماوات والأرض[١] وما إلى ذلك ـ إلى إيقاظ الناس من سبات الجهل والغفلة. وأخذ المسلمون من خلال الفتوحات الكبيرة في القرن الهجري الأول يتعرّفون إلى أفكار جديدة وأديان أخرى. وبعد انحسار الحروب نسبياً، بدأت عملية التبادل الثقافي بين الإسلام والأديان والحضارات الأخرى في إيران والروم واليونان، وارتفعت وتيرة ترجمة الكتب العلمية من الأمم الأخرى إلى اللغة العربية، وبلغت ذروتها في عهد هارون الرشيد والمأمون العباسي[٢].

لقد أخذ المسلمون علوماً من قبيل: الطب والرياضيات والنجوم والعلوم الطبيعية والفلسفة من اليونان، وأضافوا إليها الشيء الكثير من عندهم، حتى تمكنوا بعد فترة وجيزة من امتلاك ناصية العلم، وبلغوا ذروته في بضعة قرون، حيث أنتج المسلمون في القرن الثالث والرابع للهجرة أفضل المؤلفات في حقل الطب (مثل كتاب القانون، لابن سينا)، والفلسفة (مثل كتاب الشفاء، لابن سينا أيضاً)، والرياضيات، والنجوم. وقد أدّت ترجمة كتب ومؤلفات غير المسلمين في مختلف العلوم وانتشارها في مختلف البقاع الإسلامية الواسعة، إلى ما يبدو منه التعارض بين ظاهر بعض آيات القرآن والعلوم الحديثة. وقد لجأ علماء المسلمين منذ القرون الإسلامية الأولى إلى طريقتين من أجل رفع هذا الإشكال، وذلك على النحو الآتي:

أ ـ الردّ على المسائل الباطلة التي اشتملت عليها هذه العلوم، وذلك في إطار تنبيه الناس وإرشادهم وهدايتهم؛ لأن الكثير من الأسس العلمية والفلسفية لدى

---

١ – انظر: الرعد: ٢ فما بعد؛ يس: ٣٨ فما بعد.

٢ – انظر: تاريخ التمدّن الإسلامي، جرجي زيدان، ج٢، ص١٥٣.

اليونان كانت قابلة للنقد والإشكال من ناحية، وكانت تخالف الدين الإسلامي الحنيف من ناحية أخرى. وفي هذا السياق تمّ تأليف كتب من قبيل: «تهافت الفلاسفة» لأبي حامد الغزالي، و«مفاتيح الغيب» للفخر الرازي.

ب ـ تطبيق آيات القرآن الكريم على العلوم التجريبية اليونانية، كي يثبتوا للناس أن القرآن على حق، وأن مسائله العلمية صحيحة. ومن هنا حملوا بعض آيات القرآن، من قبيل قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾[1] على السيارات السبع التي كان قد تمّ إثباتها في علم النجوم لدى اليونان. ومن هنا ظهر منهج التفسير العلمي، وأخذ طريقه نحو التطوّر. بيد أن هذا الأسلوب من التفسير ـ الذي كان يجتذب الشباب والمتعلمين بشكل خاص ـ لم يكتب له التطوّر طوال التاريخ على وتيرة واحدة، بل ارتفع أحياناً إلى الذروة بسبب بعض العوامل والمؤثرات، وفقد بريقه في أحيان أخرى.

وقد كان لهذا المنهج التفسيري بشكل عام ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تبدأ من القرن الثاني تقريباً وتستمر إلى حوالي القرن الخامس[2]، حيث بدأت بترجمة الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. وقد

---

١ – البقرة: ٢٩.

٢ – وبطبيعة الحال قد ورد بعض المسائل العلمية في جانب من الروايات المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير آيات القرآن الكريم أيضاً. كما هو الحال بالنسبة إلى عدد المشارق والمغارب بـ (٣٦٠) مشرقاً ومغرباً (انظر: معاني الأخبار، للشيخ الصدوق، ص٢٢١)، واسم السيارات في تفسير سورة التكوير: ١٥ ـ ١٦ (انظر: مجمع البيان، ج١، ص٦٧٧)، وما إلى ذلك مما يُعدّ من الموارد التفسيرية المروية عن أهل البيت (عليهم السلام)، بيد أن هذا ليس من التفسير العلمي المصطلح في شيء؛ إذ لم يتمّ فيه توظيف المعطيات والاكتشافات العلمية، بل هو من الأسرار العلمية التي حصل عليها أهل البيت (عليهم السلام) بسبب ما يمتلكونه من علم الإمامة، وبذلك يدخل هذا التفسير في حقل التفسير الروائي.

سعى بعض المسلمين إلى تطبيق الآيات القرآنية على هيئة بطليموس (مثل ابن سينا)، حيث نجد نماذج من التفسير العلمي في مؤلفات ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ للهجرة).

المرحلة الثانية: حيث بدأت من القرن الهجري السادس تقريباً، إذ جنح بعض العلماء إلى فرضية توفر القرآن الكريم على جميع العلوم، وأن بالإمكان استخراج جميع هذه العلوم من القرآن (وقد كان أبو حامد الغزالي في مقدمة هؤلاء العلماء). وقد استمر هذا النوع من التفسير العلمي (تطبيق القرآن على العلوم، واستخراج العلوم من القرآن) لقرون من الزمن. وكان ثمّة من خالفه ومن وافقه على مرّ القرون[1].

المرحلة الثالثة: حيث بلغ التفسير العلمي ذروته في هذه المرحلة، وقد ظهرت في القرن الثامن عشر للميلاد فما بعد إثر تطوّر العلوم التجريبية في العالم الغربي، وترجمت مختلف الكتب في حقل الفيزياء والكيمياء والطب وعلم الفلك إلى اللغة العربية. وقد تركت هذه المرحلة ـ وخاصة في القرن الأخير ـ تأثيرها على العالم الإسلامي في مصر والهند، وأخذ العلماء يطبقون القرآن على العلوم التجريبية. وقد تجلّت أهمية هذه المسألة عندما بلغ التعارض بين العلم والدين في القارّة الأوروبية ذروته، وأخذ الكتاب المقدس ـ بكلا عهديه القديم والجديد ـ يتقهقر كل يوم بسبب معارضته للعلوم الحديثة، وكان يخلي الساحة للأفكار الإلحادية والمادية المعارضة للدين، وقد أدّى هجوم هذه الأفكار في البلدان الإسلامية والتفوّق الصناعي الغربي إلى اجتذاب الشباب المسلم نحو الثقافة الغربية.

---

١ - انظر: فصل (تاريخ التفسير العلمي) من هذا الكتاب.

وفي هذا البين برز عدد من علماء المسلمين، وقد حملتهم غيرتهم على القرآن إلى الدفاع عنه من خلال العمل على التوفيق بين العلم والدين من وجهة نظر الإسلام، ليثبتوا أن آيات القرآن ليست منسجمة مع العلوم الحديثة فحسب، بل وإن المعطيات العلمية تثبت الإعجاز العلمي للقرآن أيضاً. ومن هنا بادروا إلى توظيف العلوم في فهم القرآن، وتمّ تأليف التفاسير العلمية[١]. وقد تطرّف البعض في هذا المجال حتى ذاب في الثقافة الغربية تماماً، واستغرق في تأويل الآيات وتفسيرها برأيه[٢]. وحيث أن الأسس التفسيرية لهذا المنهج لم تدرس بشكل كامل، فقد آل الأمر بهؤلاء إلى الانحراف، وعمد بعض المغرضين بغية دعم وإثبات آرائه المنحرفة إلى انتهاج التفسير العلمي والتأويلات الاعتباطية، الأمر الذي أثار حفيظة بعض المسلمين، فاتخذوا موقفاً متشدداً بأزاء التفسير العلمي، وتهجّموا عليه بوصفه نوعاً من التفسير بالرأي أو التأويل الخاطئ لآيات القرآن. وفي البين كان هناك الكثير من العلماء والمفكرين والمفسرين في إيران ومصر من الذين انتهجوا سبيل الانصاف، وقالوا بالفصل بين أنواع التفسير العلمي وغايات القائلين به، وذهبوا إلى القول بالتفصيل. وباختصار كانت الأسباب الرئيسة لظهور وانتشار هذا المنهج التفسيري بين المسلمين كالآتي:

١ ـ اهتمام القرآن بالعلم، حيث أدى ذكر القرآن الكريم للأمثلة العلمية،

---

١ – انظر: المصدر السابق.

٢ – وقد أشار راترود فيلانت في مقالة له تحت عنوان (تفسير القرآن في المرحلة الجديدة والمعاصرة) إلى نماذج من هذه الموارد في تفسير السيد أحمد خان الهندي، الذي أدى إلى التأويل وإنكار معاجز مثل المعراج، وتفسير (الجن) بالبدو وسكان الغابات. (انظر: دائرة معارف ليدن القرآنية، المصدر)، وكذلك تفسير الجن بالمكروب. (انظر: محمد عبده، تفسير جزء عمّ، ص١٥٨).

والحثّ على التفكر والتدبّر في الآيات الإلهية في السماوات والأرض والإنسان إلى تطوير العلوم والمعارف، ومقارنتها بالآيات القرآنية.

٢ ـ ترجمة العلوم الطبيعية والفلسفية من اليونان والروم وإيران، ونقلها إلى اللغة العربية، وانتشارها بين المسلمين، حيث بدأت هذه العملية منذ القرن الهجري الثاني.

٣ ـ فرضية أن جميع العلوم موجودة في القرآن، وأن علينا أن نستخرجها من القرآن الكريم.

٤ ـ الاهتمام بالعلوم الطبيعية والاكتشافات الحديثة، بغية توظيفها في إثبات الإعجاز العلمي في القرآن، الأمر الذي ساهم في تطوير التفسير العلمي.

٥ ـ هيمنة الفكر القائل بأصالة الحس في أوروبا، وتأثير ذلك على أفكار المسلمين، وظهور التيارات الانتقائية أو المنحرفة بين المسلمين، الأمر الذي أدى إلى وقوعهم في مصيدة التفسير بالرأي وتطبيق الآيات القرآنية على متبنياتهم[1].

٦ ـ أدى تصدّي العلماء المسلمين لهجمة الغرب على الدين وترويجهم فكرة التعارض بين العلم والدين إلى تسرّب فكرة التناغم بين آيات القرآن والعلوم التجريبية ومن ثمّ إلى التفاسير والمؤلفات التي صنّفت في هذا الاتجاه.

٣ ـ الاتجاهات في بيان أساس العلاقة بين القرآن والعلم:

هناك عدة اتجاهات مختلفة للمفسرين والمفكرين في العالم الإسلامي فيما يتعلق بأصل وجود علاقة بين القرآن والعلم، أي : التفسير العلمي للقرآن، ونشير فيما يلي إليها مع بيان مسارها التاريخي وذكر أصحابها:

---

١ – انظر: العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧ ـ ٨

الاتجاه الأول: الاتجاه الموافق للتفسير العلمي:

ذهبت جماعة من مفسري القرآن الكريم والفلاسفة والمفكرون والكثير من المتخصصين في حقل العلوم التجريبية إلى القول بالتفسير العلمي، وعملوا على توظيف العلوم التجريبية في تفسير القرآن، ومن هؤلاء:

١ ـ الفيلسوف والطبيب الفارسي الشهير الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ للهجرة). فقد فسّر كلمة «العرش» في قوله تعالى: ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾[١]، بفلك الأفلاك (أي: الفلك التاسع من علم الهيئة لبطليموس)، وفسّر «الملائكة» الثمانية بسائر الأفلاك الثمانية الأخرى، وهي: الشمس، والقمر، والزهرة، وعطارد، وزحل، والمشتري، والمريخ، والأفلاك الثوابت)[٢].

٢ ـ أبو حامد الغزالي (م: ٥٠٥ للهجرة)، إذ قال في كتابه «إحياء العلوم»:

«[في القرآن علوم كثيرة]، وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومئتي علم، إذ كل كلمة علم، ثمّ يتضاعف ذلك أربعة أضعاف؛ إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحدّ ومطلع»[٣].

وقال أيضاً في كتابه «جواهر القرآن»:

«[ولعلك تقول:] إن العلوم وراء هذه كثيرة، كعلم الطب، والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، وعلم السحر، والطلسمات، وغير

---

١ – الحاقة: ١٧.

٢ – انظر: رسائل ابن سينا، ص١٢٤ ـ ١٢٥، طبعة الهند، ١٩٠٨؛ التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ج٢، ص٤٢٦.

٣ – أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٣٤١ (الباب الرابع من أبواب آداب تلاوة القرآن).

ذلك؛ فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم [ثم يذكر أمثلة كثيرة من آيات القرآن ذات الصلة بمختلف العلوم]»[١].

٣ ـ الإمام الفخر الرازي (م: ٦٠٦ للهجرة)، حيث قام بتطبيق بعض المسائل العلمية على آيات القرآن في التفسير الكبير (مفاتيح الغيب).

فقد استدل بقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾[٢]، على سكون الأرض وثباتها[٣].

وبحث الفلكيات القديمة وآراء بطليموس وقدامى علماء الهند والصين وبابل ومصر والروم والشام في معرض تفسير الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

٤ ـ ابن أبي الفضل المرسي (٥٧٠ ـ ٦٥٥ للهجرة)، حيث ذهب إلى الاعتقاد بأن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين. فسعى إلى استخراج علم الطب والجدل والهيئة والجبر والمقابلة من القرآن. بل استشهد ببعض آيات القرآن على فن الخياطة والنجارة والصيد والحدادة والزراعة والملاحة[٤].

٥ ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (م: ٧٦٤ للهجرة)، صاحب كتاب «البرهان في علوم القرآن»، يذهب إلى القول بإمكان استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم أيضاً.

---

١ – أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، الفصل الخامس، ص٥٨، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.

٢ – البقرة: ٢٢.

٣ – انظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢، ص٩٤.

٤ – انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٧٨ ـ ٤٨٢؛ التفسير العلمي للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص١٥٩.

وقد استخرج مثلاً عمر النبي عيسى بن مريم عليه السلام البالغ ثلاثاً وثلاثين سنة، من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[١]، حيث تشتمل هذه الآية على ثلاث وثلاثين كلمة[٢].

٦ ـ جلال الدين السيوطي (م: ٩١١ للهجرة)، صاحب كتاب «الإتقان في علوم القرآن»، فقد اعتقد أيضاً باشتمال القرآن على جميع العلوم. وقد توصّل من باب المثال إلى عمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله البالغ ثلاثاً وستين سنة، من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣]، لكون هذه الآية قد وردت في نهاية السورة الثالثة والستين من ترتيب سور القرآن، وهي سورة (المنافقون)[٤].

٧ ـ العلامة محمد باقر المجلسي (م: ١١١١ للهجرة) صاحب موسوعة بحار الأنوار، وقد ذكر في بعض أجزاء هذا الكتاب مسائل حول السماوات، وقد لجأ في الكثير من الموارد إلى التفسير العلمي، ومن بينها ما قاله بشأن الآية التاسعة والعشرين من سورة البقرة:

---

١ – مريم: ٣٠ ـ ٣٣.

٢ – انظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٨١. وهذا العدد لا يستقيم إلا بعد اعتبار عبارة (عبد الله) أو (ما دمت)، كلمة واحدة. المعرّب.

٣ – المنافقون: ١١.

٤ – انظر: جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٧١ ـ ٢٨٢؛ الإكليل في استنباط التنزيل، ص٢. وفي هذه الفترة الزمنية كان يعيش أبو إسحاق الشاطبي (م: ٧٩٠ للهجرة)، وهو من المخالفين للتفسير العلمي، وسنذكر موقفه في قسم المخالفين للتفسير العلمي إن شاء الله.

«سَبْعَ سَماواتٍ بدل أو تفسير، والسبع لا ينافي التسع التي أثبتها أصحاب الأرصاد؛ إذ الثامن و التاسع مسميان في لسان الشرع بالكرسي و العرش»[١].

٨ ـ الفيلسوف الشهير صدر المتألهين الشيرازي (م: ١٠٥٠ للهجرة)، في تفسيره[٢]، والفيلسوف الملا هادي السبزواري في كتابه «شرح المنظومة»[٣]، حيث أعادا تكرار واحتمال ذات الكلمات السابقة بشأن السماوات السبع والعرش والكرسي.

٩ ـ السيد عبد الرحمن الكواكبي (م: ١٣٢٠ للهجرة)، تعرّض في الكثير من مواضع كتابه «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» لتطبيق القرآن على العلوم التجريبية. واستدل على انفصال القمر عن الأرض (طبقاً للنظريات الكونية)، بالآية الحادية والأربعين من سورة الرعد، والآية الأولى من سورة القمر[٤].

١٠ ـ السير سيد أحمد خان الهندي (١٨١٧ ـ ١٨٩٨ للميلاد)، والسيد أمير علي (١٢٦٥ ـ ١٣٤٧ للهجرة)، من علماء الهند، وقد أسسا كلية للتفسير العلمي في «عليكرة»، وفسّرا الصلاة والصيام والزكاة والحج على أساس الفوائد الجسدية والاجتماعية، بل كانا يعتبران حتى عناصر الطبيعة مثل: الماء والهواء والغيوم من الملائكة، وأنكرا إمكان وقوع المعجزة أو تأثير الدعاء.

وقد أنكر السيد جمال الدين الأسد آبادي تفسيرهما في الهند[٥].

---

١ – العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٤، ص٥.

٢ – انظر: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، ج٢، ص٢٨٩ ـ ٢٩٣.

٣ – انظر: عبد الهادي السبزواري، شرح المنظومة، ص٢٦٩ (قسم الفلسفة).

٤ – انظر: عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص٤٣ ـ ٤٦.

٥ – انظر: بهاء الدين خرمشاهي، تفسير وتفاسير جديد (التفسير والتفاسير الحديثة)، ص٥٩ ـ ٧١؛ تاريخ نهضت هاي ديني اسلامي معاصر (تاريخ الحركات الدينية والإسلامية المعاصرة)، ص١٤٣ ـ ١٤٦.

١١ ـ الدكتور محمد بن أحمد الإسكندراني، في كتابه «كشف الأسرار النورانية القرآنية في ما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية» (طبعة عام ١٨٨٠ للميلاد)، حيث يعتبر من الرواد في التفسير العلمي في العصر الحديث.

١٢ ـ الطنطاوي الجوهري (المولود عام ١٨٦٢ للميلاد)، صاحب تفسير «الجواهر في تفسير القرآن»، حيث يمكن اعتبار تفسيره رأس القمّة في توظيف العلوم في تفسير القرآن الكريم.

فقد استفاد في الكثير من الموارد من مختلف العلوم في تفسير القرآن، ومن ذلك علم تحضير الأرواح في تفسير الآيات التي تتحدّث عن بقرة بني إسرائيل[١]. كما نجد الكثير من العلوم الحديثة في تضاعيف تفسيره عند كل بحث تفسيري[٢].

١٣ ـ عبد الرزاق نوفل من الكتاب المصريين، وله ما لا يقل عن خمسة كتب في حقل التفسير العلمي، من قبيل: «القرآن والعلم الحديث»، و«الله والعلم الحديث»، و«الإسلام والعلم الحديث»، و«بين الدين والعلم».

١٤ ـ السيد هبة الدين الشهرستاني (١٣٠١ ـ ١٣٦٩ للهجرة)، حيث استفاد حركة الأرض في كتابه «الإسلام والهيئة» من قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ مَهْدًا**﴾[٣]. وذهب إلى القول بأن بيان تصديق وتأييد العلوم والاكتشافات

---

١ ـ انظر: البقرة: ٦٧ ـ ٧٢.

٢ ـ الجواهر في تفسير القرآن، ج١، ص٨٤ ـ ٨٩

٣ ـ الزخرف: ١٠.

٤ ـ انظر: هبة الدين الشهرستاني، اسلام وهيئه (الإسلام والهيئة)، ص١١٠، نقله إلى الفارسية: بهاء الدين خرمشاهي.

الحديثة من خلال الدين ولسان العلماء يوجب تعزيز الإيمان لدى الناس[١].

وهكذا آية الله الطالقاني في تفسير «پرتوي از قرآن»[٢]، ومحمد تقي شريعتي، في «تفسير نوين»[٣]، وحجة الإسلام اهتمام، في كتابه «فلسفه أحكام»[٤]، والدكتور باك نجاد في كتابه (اولين دانشگاه وآخرين پيامبر»[٥]، والمهندس مهدي بازركان في كتبه: «راه طي شده»[٦]، و«باد وباران در قرآن»[٧]، و«مطهرات در اسلام»[٨]، ومحمد علي رضائي الإصفهاني في كتبه: «در آمدي بر تفسير علمي قرآن»[٩]، و«پژوهشي در اعجاز علمي قرآن»[١٠]، و«اشارات علمي اعجاز آميز قرآن»[١١]، وناصر رفيعي في كتابه: «تفسير علمي قرآن»[١٢]، وغيرهم.

دراسة وتحليل

يمكن تقسيم هؤلاء الأعلام إلى عدّة مجموعات، حيث أن كلّ مجموعة تنشد هدفاً خاصّاً.

---

١ - انظر: المصدر أعلاه.
٢ - (قبس من القرآن)، المعرّب.
٣ - (التفسير العصري)، المعرّب.
٤ - (فلسفة الأحكام)، المعرّب.
٥ - (الجامعة الأولى وآخر الأنبياء)، المعرّب.
٦ - (الطريق السالك)، المعرّب.
٧ - (الرياح والمطر في القرآن)، المعرّب.
٨ - (المطهّرات في الإسلام)، المعرّب.
٩ - (مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن)، المعرّب.
١٠ - (بحث في الإعجاز العلمي للقرآن)، المعرّب.
١١ - (الإشارات العلمية الإعجازية في القرآن)، المعرّب.
١٢ - (التفسير العلمي للقرآن)، المعرّب.

١ ـ لقد سعى بعض العلماء من خلال العلم التجريبي إلى الحصول على فهم أفضل للقرآن، وعمدوا إلى تحديد ضوابط وشرائط التفسير العلمي أيضاً، وبذلوا جهداً من أجل الابتعاد عن الإفراط والتفريط. من أمثال: الدكتور باك نجاد في كتابه «اولين دانشگاه وآخرين پيامبر»، ومحمد علي رضائي الإصفهاني في كتابه «تفسير علمي قرآن».

٢ ـ هناك من كان يهدف إلى إثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فادعى مثلاً الإعجاز العلمي بالنسبة إلى قانون الزوجية العام وزوجية النباتات[١]. ومن بين هؤلاء: مصطفى صادق الرافعي (م: ١٩٣٨ للميلاد) في «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، وكاتب السطور في «پژوهشي در اعجاز علمي قرآن»[٢].

٣ ـ وهناك من سعى إلى بيان أهمية العلم من وجهة نظر الإسلام. ومن بين هؤلاء الطنطاوي الجوهري، والسيد هبة الدين الشهرستاني.

٤ ـ العلماء الذين سعوا إلى استخراج مختلف العلوم من القرآن، من أمثال: الغزالي، والمرسي، والزركشي، والسيوطي، والطنطاوي الجوهري[٣].

وأهم دليل تمسّك به أكثر هؤلاء العلماء هو استنادهم إلى فرضية وجود جميع العلوم في القرآن. وعليه يمكن من خلال التدبّر في الآيات، وتوظيف الأساليب الخاصة أن نستخرج تلك العلوم منها.

٥ ـ العلماء الذين قاموا بتطبيق النظريات الظنية للعلوم على آيات القرآن

---

١ – تقدّم كلامه في تعريف التفسير العلمي. (انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧).

٢ – ذكرنا في كتابنا هذا (الذي يقع في مجلدين) ما يقرب من ٣٠٠ آية من الآيات التي ادعي كونها من الإعجاز العلمي، ولم يصمد منها أمام النقد سوى ست آيات فقط.

٣ – لا يخفى أن الطنطاوي قد أدرج اسمه ضمن المجموعة الثالثة!

الكريم. ومن بين هؤلاء: الفخر الرازي (فيما يتعلق بإثبات سكون الأرض من خلال الآية الثانية والعشرين من سورة البقرة)، والعلامة المجلسي، وصدر المتألهين، والسيد عبد الرحمن الكواكبي، وعبد الرزاق نوفل[١].

وبطبيعة الحال عمد بعض هؤلاء العلماء إلى تحميل النظريات العلمية على القرآن، كما صنع عبد الرزاق نوفل في مورد قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[٢]، حيث قال: «إن المراد من النفس الواحدة هو البروتون، والمراد من الزوج هو الإلكترون، وهذان العنصران هما اللذان تتكون منهما الذرّة».

وقد ذهب إلى اعتبار هذا الأمر دليلاً على الإعجاز العلمي في القرآن[٣]. ولا يخفى أن هذا النوع من التفسير لا ينسجم مع المعاني اللغوية والاصطلاحية وسياق الآية، وعليه فهو نوع من التفسير بالرأي وتحميله على القرآن.

٦ ـ هناك من سعى إلى إثبات أفكاره المنحرفة، وبذل جهده لتوظيف العلوم التجريبية في تفسير وإنكار معجزات الأنبياء المذكورة في القرآن. ومن بين هؤلاء السير سيد أحمد خان الهندي، والسيد أمير علي، ورشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ للميلاد) في تفسير المنار.

فقد فسّر رشيد رضا الآية ٢٤٣ من سورة البقرة وموت الذين خرجوا من ديارهم باندحارهم وفقدانهم للاستقلال، وفسّر إحياءهم بالاستقلال واستعادة

---

١ – تقدم أن ذكرنا أمثلة المسائل التي ذكرها هؤلاء العلماء.

٢ – الأعراف: ١٨٩.

٣ – انظر: القرآن والعلم الحديث، ص١٥٦.

قوّتهم[١]. وفسرّ إحياء الطيور الأربعة في قصّة النبي إبراهيم عليه السلام في الآية ٢٦٠ من سورة البقرة، بتربيتها والاستئناس بها[٢]. في حين أن هذه التفسيرات مخالفة لظواهر الآيات، وهو نوع من التفسير بالرأي.

وربما لهذا السبب أشكل بعض العلماء من أمثال العلامة الطباطبائي رحمه الله على تطبيق القرآن على العلوم التجريبية[٣].

أدلة الاتجاه الأول : وفي هذا الاتجاه من ذهب بعيداً في إدعاءاته حتى ادعى وجود جميع العلوم في القرآن الكريم، ومنهم من حاول استنباط النظريات العلمية من القرآن، ومنهم من حاول فرض وتحميل النظريات العلمية على القرآن، وسيأتي في المبحث التالي عرض جميع هذه الاتجاهات المختلفة في أسلوب التفسير العلمي للقرآن وإن توافقت في أصل وجود علاقة بين القرآن والعلوم. وقد استند المؤيدين لهذا الادعاء بما يلي:

١ ـ ظاهر بعض آيات القرآن الكريم، إذ يدلّ على اشتمال القرآن على كلّ شيء، من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٤].

٢ ـ الآيات التي تتضمّن الإشارة إلى مختلف العلوم.

من قبيل الآية التي تتحدّث عن الحساب، مما يتضمّن الإشارة إلى علم الرياضيات، قال تعالى: ﴿**وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[٥]. ومن قوله تعالى: ﴿**رَفِيعُ**

---

١ – انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، ج٢، ص٤٥٨.

٢ – انظر: المصدر أعلاه، ج١، ص٥٥.

٣ – تقدّم كلامه في تعريف التفسير العلمي. (انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧).

٤ – النحل: ٨٩.

٥ – الأنبياء: ٤٧.

﴿الدَّرَجَاتِ﴾[١] يُستنبط بحساب الجمل ٣٦٠ درجة من درجات الدائرة في الهندسة. ويُستخرج علم الطب من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٢].

٣ ـ الروايات التي تدلّ على وجود جميع العلوم في القرآن الكريم:

من قبيل المروي عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا نزّله في كتابه، وبيّنه لرسوله»[٣].

٤ ـ الدليل الآخر على وجود جميع العلوم في القرآن الكريم هو اشتماله على البطون المختلفة، كما جاء في صريح الكثير من الروايات[٤].

وهذا هو الذي استند إليه أبو حامد الغزالي في كتابه «إحياء العلوم» وقال بأن عدد العلوم في القرآن يصل إلى ٧٧٢٠٠ علماً. ثم قال: إن هذا العدد يتضاعف إلى أربعة أضعاف؛ لأن لكل كلمة ظاهراً وباطناً وحدّاً ومطلعاً[٥].

تنويه: سوف يكون لنا نقد لأدلة هذا الاتجاه في معرض الحديث عن أدلة الاتجاه الثاني والثالث إن شاء الله تعالى.

الاتجاه الثاني: الاتجاه المخالف للتفسير العلمي:

هناك من العلماء من ذهب إلى رفض التفسير العلمي وأنكر على من قال به، ومنهم:

١ ـ أبو إسحاق الشاطبي (م: ٧٩٠ للهجرة)، فقيه مالكي أندلسي، ذهب في كتابه «الموافقات» إلى إنكار التفسير العلمي، وردّ على أدلة القائلين به، حيث

---

١ – غافر: ١٥.

٢ – الشعراء: ٨٠.

٣ – نور الثقلين، ج٢، ص٧٤.

٤ – انظر: بحار الأنوار، ج٩٢، ص٩٥.

٥ – انظر: إحياء العلوم، ج١، ص٣٤١، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٤.

قال: «[في عصر نزول القرآن] كان للعرب اعتناء بعلوم ذكرها الناس [من قبيل: النجوم، وعلم أوقات نزول المطر (الأنواء)، وعلم الطب، والبلاغة، والفصاحة، وعلم الكهانة، والرمل، والجفر]؛ فصحّحت الشريعة [الإسلامية] منها ما هو صحيح، وزادت عليه. وأبطلت ما هو باطل [من قبيل: الكهانة، والرمل و...]، وبيّنت منافع ما ينفع من ذلك، ومضار ما يضرّ منه». ثمّ ذكر لكل علم أمثلة من القرآن الكريم[١]. وتوجّه باللوم إلى من أضافوا للقرآن كل علوم الأولين والآخرين، مفنداً هذا الزعم، الذي اعتقد أن قائليه قد تجاوزوا الحدود في دعاواهم على القرآن [والقول باشتماله على علوم من قبيل: علوم الطبيعة، والهندسة، والرياضيات، والمنطق، وعلم الحروف]، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم، لم يصحّ. ثمّ صحّح الشاطبي رأيه هذا واحتج له بما عُرف عن السلف، فقال: إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم تبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدّعى، سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة وما يلي ذلك[٢]. ثمّ أخذ الشاطبي بعد هذا في ذكر ما استند إليه أرباب التفسير العلمي من الأدلة، فقال: وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[٤]. ثمّ أخذ

---

١ - انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٢٨، نقلاً عن كتاب الموافقات للشاطبي، ج٢، ص٦٩ ـ ٧٦ (بتصرّف).

٢ - انظر: المصدر أعلاه، ص٣٣٠ (بتصرّف).

٣ - النحل: ٨٩.

٤ - الأنعام: ٣٨.

الشاطبي يفند هذه الأدلة؛ فقال: «فأما الآيات، فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبّد، أو المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ اللوح المحفوظ ... وأما فواتح السور، فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهداً، كعدد الجمل [الحروف الأبجدية وتطبيقها على الآيات] الذي تعرفوه من أهل الكتاب، حسبما ذكره أصحاب السيَر، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى»[1].

٢ ـ محمود شلتوت (١٨٩٣ ـ ١٩٦٤ للميلاد) من علماء الأزهر في مصر، هاجم التفسير العلمي في مقالات له نشرت في مجلة «الرسالة» في عام ١٩٤١ للميلاد، قال فيها: إن هذا النوع من التفسير خاطئ، وذلك أولاً: لأن القرآن لم ينزل لبيان نظريات العلوم والفنون. وثانياً: إن هذا الأسلوب يؤدي إلى تأويل القرآن بشكل متكلف يحتوي على الكثير من التأويل والتمحّل، وهذه التأويلات لا تنسجم مع إعجاز القرآن ولا تناسب الذوق السليم. وثالثاً: إن هذا الأسلوب يُلزم القائل به أن يضطر القرآن إلى متابعة المسائل العلمية في كل زمان ومكان، في حين أن العلوم ليس لها قرار أو ثبات، ولا تجزم في إثبات الحقائق بضرس قاطع، وربما شيء يثبته العلم في هذا اليوم ليأتي فينقضه غداً، وبذلك ستنعكس أخطاء العلم على القرآن، فنضطرّ عندها إلى الدفاع عن القرآن (رغم وجود بعض الإشارات في القرآن إلى العلوم والفنون).

وقد تعرّض ضمناً إلى موارد من أخطاء التفسير العلمي التي أدّت إلى استخراج أمور عجيبة من آيات القرآن[2].

---

١ – انظر: المصدر أعلاه، ص٣٣١.

٢ – انظر العددين: (٤٠٧) و(٤٠٨)، من مجلة الرسالة، عام ١٩٤١ للميلاد، نقلاً عن أحمد عمر أبو حجر في كتابه (التفسير العلمي في الميزان)، ص٢٩٩ ـ ٣٠٢، دار قتيبة.

٣ ـ الدكتور محمد حسين الذهبي من أساتذة علوم القرآن في الأزهر الشريف، صاحب الكتاب المعروف «التفسير والمفسرون». يعتبر من المفكرين المعاصرين في مصر. قال في تعليقه على رأي الشاطبي المخالف للتفسير العلمي:

«أما أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبي رحمه الله؛ لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدعاه قويّة لا يعتريها الضعف، ولا يتطرّق إليها الخلل، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حجّة ولا يبقى معها مدعاهم»[١].

٤ ـ وفي بعض الكتب ذكرت أسماء لبعض العلماء بوصفهم من المخالفين للتفسير العلمي، وهم على النحو الآتي[٢]:

١ ـ الأستاذ أمين الخولي (١٩٥٦ للميلاد).

٢ ـ الأستاذ عباس محمود العقاد (١٩٦٤ للميلاد).

٣ ـ الأستاذ محمد عزّت دروزة (المولود عام ١٨٨٨ للميلاد).

٤ ـ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مؤلف كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن).

ولكننا بعد مراجعة أدلة هؤلاء لا نجدهم قد جاؤوا بشيء مغاير لما جاء به الشاطبي، بيد أن عباس محمود العقاد قد بحث في التفسير العلمي في كتابيه: (الإنسان في القرآن)، و(القرآن ومذهب التكامل)[٣]؛ وعليه لا يمكن أن يكون

---

١ – محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣١، آوند دانش للطباعة والنشر، ط ١، بيروت.

٢ – انظر: التفسير العلمي في الميزان، ص٢٩٧ فما بعد.

٣ – هكذا ورد عنوانه في النص الفارسي، ويبدو أن المؤلف قد اعتمد على ترجمة فارسية لواحد من كتب عباس محمود العقاد، والله أعلم، المعرّب.

مخالفاً للتفسير العلمي بالمطلق.

تحليل ومناقشة: من خلال التدقيق في كلام المخالفين للتفسير العلمي، يتضح أنهم إنما يخالفون أنواعاً خاصة من التفسير العلمي، بمعنى استخراج العلوم من القرآن وتحميل النظريات العلمية على القرآن. وفي هذا المورد تكون إشكالاتهم واردة وصحيحة. بيد أن القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي سعوا من خلال تقديم المعايير والضوابط إلى الفصل بين أنواع التفسير العلمي، والتوصّل إلى القول بالتفسير العلمي المعتدل أو استخدام العلوم القطعية في فهم القرآن، كي ترتفع إشكالات المخالفين.

وقد استدل اصحاب هذا الاتجاه بعدة أدلة تقدمت في مطاوي كلامهم، مضافاً إلى اعتقادهم إن القرآن مجرّد كتاب دين وهداية، وعليه فإنه لم ينزل لبيان العلوم التجريبية.

قال أبو إسحاق الشاطبي (م: ٧٩٠ ق): «نزل القرآن لبيان أحكام التكاليف وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك»[١].

وقال صاحب «مجمع البيان»، و«الكشاف»:

«المراد من أن القرآن تبيان لكل شيء، هو بيان كل شيء يحتاج إليه الناس من أمور الشرع، وكل شيء من أمور الدين»[٢].

ورغم ذلك فإنه لا يمكن القول إنهم لم يكونوا يميلون إلى القول بالتفسير العلمي وإلا فإن ظاهر كلماتهم سوف يصطدم بظاهر الآيات القرآنية؛ حيث نجد في القرآن

---

١ - انظر: الموافقات، ج٢، ص٧٦ ـ ٧٩، نقلاً عن كتاب (التفسير والمفسرون)، ج٢، ص٤٨٥.

٢ - انظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج٦، ص١٤٥؛ الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٥٨٦.

الأحكام والحدود، بل وحتى قوانين الإرث وأساليب الحرب والقتال والحكم والدولة والاقتصاد وما إلى ذلك مما هو مرتبط بحياة الناس في هذه الدنيا[١].

الثالث: الاتجاه القائل بالتفصيل في التفسير العلمي:

هناك من المفسرين والعلماء من قال بنوع من التفسير العلمي وفقاً لبعض الضوابط، ورفض الاعتراف بالنوع الآخر. بمعنى أنهم قالوا بالتفصيل في هذا الشأن. ومن بين هؤلاء:

١ ـ سيد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٣٣ للميلاد) مفكر إسلامي مصري، صاحب تفسير (في ظلال القرآن). وقد أشكل في تفسيره هذا على التفسير العلمي، وقال: «وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها .. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه ..»[٢]. ثمّ تعرّض إلى نوعين من تفسير وفهم الآيات العلمية في القرآن، فأجاز نوعاً ورفض النوع الآخر. وفيما يتعلق بالنوع المرفوض عنده أشار إلى تطبيق نظرية التطوّر على قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾[٣]، مستدلاً لذلك باحتمال عروض التغيّر على هذه النظرية.

ومثّل للنوع الجائز من التفسير العلمي بقوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾[٤]، فلكل شيء مثل: شكل الأرض، والمسافة التي تفصلها عن الشمس

---

١ – تبلغ آيات الأحكام ما يقرب من ٥٠٠ آية، وهي موجودة في كتب تحمل هذا العنوان.

٢ – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٢٦٠.

٣ – المؤمنون: ١٢.

٤ – الفرقان: ٢.

والقمر، وحجم الشمس والقمر، وسرعة حركتها، والنسب القائمة بينهما بهذا المقدار والتناسب الدقيق بحيث لا يمكن أن يكون ناشئاً عن محض الصدفة. وعليه يمكن الاستفادة من هذه الآية، وتعميم مفهومها العلمي دون إشكال[١].

٢ ـ محمد مصطفى المراغي (١٨٨١ ـ ١٩٤٥ للميلاد)، من علماء مصر الكبار، وشيخ الأزهر. وكان له موقفان مختلفان من التفسير العلمي.

إذ قال في مقدّمته على كتاب «الإسلام والطب الحديث»، لعبد العزيز إسماعيل:

«لست أريد من هذا أن أقول إن الكتاب الكريم اشتمل جميع العلوم جملة وتفصيلاً بالأسلوب التعليمي المعروف، وإنما أريد أن أقول إنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته به، ليبلغ درجة الكمال جسداً وروحاً، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتي منها في الزمان الذي هم عائشون فيه».

وقال أيضاً: «[هناك من عمد إلى تأويل القرآن] لبعض النظريات العلمية التي لم يقرّ قرارها، وذلك خطر عظيم على الكتاب ... والنظريات التي لم تستقر، لا يصحّ أن يردّ إليها كتاب الله». وقال في الختام: «يجب على المفسّر أن لا يجرّ الآية القرآنية إلى العلوم، أو العلوم إلى الآية، كي يُفسّرها تفسيراً علمياً يتفق مع نظريات العلم الحديث»، ولكنه مع ذلك كان يرى أن يكون مفسّر كتاب الله على شيء من العلم ببعض نظريات العلم الحديث؛ ليستطيع أن يأخذ منها دليلاً على قدرة الله»[٢].

---

١ – انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٢٦١ ـ ٢٦٣.

٢ – انظر: عبد العزيز إسماعيل، الإسلام والطب الحديث، تقديم: محمد مصطفى المراغي، ص٥، نقلاً عن كتاب: التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٠٦.

وقد لجأ المراغي في الكثير من الموارد في تفسيره إلى التفسير العلمي. فمثلاً فسّر كلمة «العَمَد»، في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[١] بقانون الجاذبية العام[٢].

٣ ـ أحمد عمر أبو حجر، صاحب كتاب «التفسير العلمي للقرآن في الميزان»، ذكر أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير العلمي. وفي نهاية المطاف ذهب إلى القول بالتفصيل في التفسير العلمي، إذ قال:

«والذي تطمئن إليه النفس ـ بعد النظر في وجهة نظر الفريقين ـ هو أن الذين ينادون بإبعاد القرآن عن التفسير العلمي مصيبون كلّ الإصابة إذا كان هذا التفسير قائماً على الظن والوهم أو التعسّف في التأويل. أما إذا كان مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على اليقين الثابت من العلم، فليس هناك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القرآن»[٣].

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب:

«وإنما نذهب مذهب الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط؛ لأنه ما دام القرآن كلام الله، والكون خلق الله، فلا بدّ من أن تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم»[٤].

٤ ـ العلامة محمد حسين الطباطبائي (م: ١٩٨١ للميلاد)، من كبار المفكرين والفلاسفة الشيعة في القرن العشرين، صاحب كتاب «الميزان في تفسير القرآن». قال بشأن التفسير العلمي: «وقد نشأ في هذه الأعصار مسلك جديد في التفسير،

---

١ – لقمان: ١٠.

٢ – انظر: الدروس الدينية، ص٦١ ـ ٦٤، نقلاً عن التفسير العلمي في الميزان، ص٢٣١.

٣ – أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص١١٣، دار قتيبة، ط ١، بيروت، ١٩٩١.

٤ المصدر أعلاه، ص١١٨.

وذلك أن قوماً من منتحلي الإسلام في إثر توغلهم في العلوم الطبيعية وما يشبهها المبتنية على الحسّ والتجربة ... مالوا إلى مذهب الحسيين من فلاسفة أوروبا سابقاً، أو إلى مذهب أصالة العمل (لا قيمة للإدراكات إلا ترتب العمل عليها)؛ فذكروا أن المعارف الدينية لا يمكن أن تخالف الطريق الذي تصدّقه العلوم، وهو أن لا أصالة في الوجود إلا للمادة وخواصها المحسوسة، فما كان الدين يُخبر عن وجوده مما يكذب العلوم ظاهره ... يجب أن يؤوّل تأويلاً ... وما يُخبر عن وجوده مما لا تتعرّض العلوم لذلك كحقائق المعاد يجب أن يوجّه بالقوانين المادية. وما يتكئ عليه التشريع من الوحي والملك والشيطان والنبوة والرسالة والإمامة وغير ذلك، إنما هي روحية، والروح مادية ونوع من الخواص المادية، والتشريع نبوغ اجتماعي خاص يبني قوانينه على الأفكار الصالحة، لغاية إيجاد الاجتماع الصالح الراقي. كما ذكروا: أن الروايات لوجود الخليط فيها لا تصلح للاعتماد عليها، إلا ما وافق الكتاب. وأما الكتاب فلا يجوز أن يبنى في تفسيره على الآراء والمذاهب السابقة المبتنية على الاستدلال من طريق العقل الذي أبطله العلم بالبناء على الحس والتجربة. بل الواجب أن يستقل بما يعطيه القرآن من التفسير إلا ما بينه العلم.

وقال في الختام: «إنما الكلام في أن ما أوردوه على مسالك السلف من المفسرين (أن ذلك تطبيق وليس بتفسير)، وارد بعينه على طريقتهم في التفسير»[1].

بيد أن العلامة نفسه في تفسير بعض آيات القرآن، يستفيد من العلوم

---

١ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٨ دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦.

التجريبية واستنتاجاتها، كما في الآية الشريفة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١]؛ إذ يقول: «والمراد أن للماء دخلاً تاماً في وجود ذوي الحياة ... وقد اتضح ارتباط الحياة بالماء بالأبحاث العلمية الحديثة»[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٣]، قال: «من المحتمل أن يكون ﴿موسعون﴾ من أوسع في النفقة، أي: كثّرها؛ فيكون المراد: توسعة خلق السماء كما تميل إليه الأبحاث الرياضية اليوم»[٤].

سنوضح في البحوث القادمة أن هذين النوعين من المواقف التي اتخذها العلامة تجاه التفسير العلمي، يعود سببه إلى أن للتفسير العلمي أنواعاً مختلفة، ولا يمكن الحكم على أجمعها بحكم واحد. من هنا فإن العلامة الطباطبائي يُعدّ من القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي.

٥ ـ آية الله مكارم الشيرازي، صاحب تفسير «الأمثل»، يُعدّ سماحته من الموافقين على التفسير العلمي، ولكن بشكل معتدل، حيث وافق على التفسير العلمي في نوع من أنواعه، وقد استفاد منه في العديد من مواطن تفسير «الأمثل» لإثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم[٥]. وخالف نوعاً من التفسير العلمي، معتبراً إياه تفسيراً بالرأي[٦]. وحيث يوافق على التفسير العلمي، يقول:

---

١ – الأنبياء: ٣٠.

٢ – الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٢٢٨، دار إحياء التراث العربي.

٣ – الذاريات: ٤٧.

٤ – الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٣١١.

٥ – انظر: تفسير نمونه (الأمثل)، ج١، ص١٣١، وج ١١، ص٤١٠، وج ١٢، ص٢٧٥، وج ١٥، ص٥٦٨.

٦ – انظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير برأي (التفسير بالرأي)، ص٦٩ ـ ٧٩.

«نجد أحياناً توظيف العلم في تفسير القرآن، وهنا نؤكد بأن مرادنا من العلم هو الاكتشافات الثابتة والعلوم القطعية، دون الفرضيات، فلا يُشكل علينا بأن الفرضيات عرضة للتغيير بمرور الزمن، ولا يمكن تطبيق القرآن الثابت على الفرضيات المتغيّرة .. فمثلاً: إن قانون الزوجية العام في عالم النباتات، والذي تمّ اكتشافه في القرن السابع عشر للميلاد، أو حركة الأرض حول نفسها، لم تعد فرضية، حتى يقال بأنها عرضة للتغير»[١].

٦ ـ آية الله محمد هادي معرفت، فقد قال:

«ليست الشريعة دراسة طبيعة، ولم يكن القرآن كتاب علم بالذات سوى إشارات عابرة في عرض الكلام، وإلماعات خاطفة وسريعة إلى بعض أسرار الوجود، وإلى طرف من كوامن أسباب الحياة. لكن إجمالاً وفي غموض تام يعرفها العلماء الراسخون، إذ لم تصدر على سبيل القصد والبيان، وهي في نفس الوقت تنمّ عن خضمّ بحر لا ينفد، وعن مخزون علم لا يتناهى»[٢].

وقد ذهب إلى الاعتقاد بأن العلوم القطعية ضرورية لفهم القرآن الكريم، وأن القرآن يشتمل على إشارات علمية، وإنه ليس بالإمكان فهم حقيقتها إلا من خلال الاستفادة من العلوم[٣]. بيد أن القرآن قطعي والعلوم غير قطعية، وعليه يجب تطبيق العلوم على القرآن دون العكس. بمعنى أننا من خلال الاكتشافات العلمية نتوصل إلى فهم أمر من الآية، ولكن لا نقول أن هذه الآية تثبت هذه

---

١ – مجلة (پيام قرآن)، العدد التجريبي، ص٤٨، انتشارات دار القرآن كريم، قم المقدسة.

٢ – انظر: محمد هادي معرفت، التمهيد، ج٦، ص١٣ ـ ١٤، مؤسسة التمهيد، ط ١، قم المقدّسة، ٢٠٠٦.

٣ – انظر: المصدر أعلاه، ص٣١ فما بعد.

المسألة بضرس قاطع، وإذا نسب شخص هذا الأمر إلى القرآن بشكل قاطع وجازم، كان ما يقوله من التفسير بالرأي، وهو غير جائز[١].

وعليه فإن سماحته يُفرّق بين إسناد العلوم التجريبية إلى القرآن بشكل قطعي وبين تفسير القرآن بالعلوم التجريبية بشكل محتمل. من هنا فقد ذكرناه في عداد القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي للقرآن. وقد أفرد سماحته الجزء السادس من كتاب «التمهيد» للتفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن. وبحث في هذه المسائل بالتفصيل.

٧ ـ آية الله جعفر سبحاني، يُعد سماحته من المعتدلين في التفسير العلمي، إذ قال في بيان شرائط المفسّر:

«إن التعرّف على الآراء الفلسفية والعلمية التي تشحذ الذهن وتساعد على فهم القرآن، بشكل أفضل (يُعدّ من شرائط تفسير القرآن بالمعنى الحقيقي للكلمة). لقد خطى الإنسان المعاصر خطوات جبّارة على صعيد اكتشاف حقيقة الأرض والكون والحيوان والإنسان، وفتح آفاقاً جديدة في علم النفس والاجتماع. صحيح أنه لا يمكن القول بصحّة جميع ما قاله العلم في هذا المجال، بيد أن العلم بهذه الاكتشافات العلمية يشحذ الذهنية الفلسفية والعلمية لدى الإنسان، ويفتح ذهنية المفسّر، ويمنحه القدرة الخاصة ليستفيد من القرآن بشكل كامل. ليس المراد أن نعمل على تفسير القرآن من خلال الاستعانة بالفلسفة اليونانية أو الإسلامية، أو من خلال الاعتماد والتعويل على العلوم الحديثة، أو أن نطبّق القرآن على الأفكار غير المصونة من الخطأ؛ إذ لا يعدو هذا الأمر أن يكون

---

١ – انظر: در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن)، ص ٣٤٠.

تفسيراً بالرأي، وهو ممنوع عقلاً وشرعاً»[١].

وقد أشار سماحته في كتاب «برهان رسالت» إلى القرآن والعلم فيما يتعلق بقانون الجاذبية العام، وكروية الأرض، وحركة الأرض، والأجرام السماوية، وزوجية النباتات، واستدلّ بها على إثبات إعجاز القرآن[٢]. ورغم أنه يخالف تطبيق القرآن على العلوم الحديثة، غير أنه يؤكد على ضرورة الاستفادة من الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن؛ (إذن يبدو أنه يوافق على توظيف العلوم في فهم القرآن)، وهذا يعتبر من القول بالتفصيل في التفسير العلمي.

٨ ـ التفصيل بين ثلاثة أنواع من التفسير العلمي، وهي: استخراج العلوم من القرآن الكريم، وتحميل النظريات العلمية على القرآن، وتوظيف العلوم في فهم القرآن. وقد بيّن كاتب السطور ذلك في كتابه «در آمدي بر تفسير علمي قرآن». وسنقوم في الكتاب الراهن بمزيد من الإيضاح في هذا الشأن.

وقد استند أصحاب هذا الاتجاه إلى أدلة نستعرضها من خلال الرد على أدلة الاتجاه الأول والذي ذهب بعض القائلين به إلى القول بوجود جميع العلوم في القرآن الكريم:

١ ـ إن القرآن الكريم كتاب هداية وأخلاق وتربية ودين. وقد نزل لكي يهدي الناس إلى الفضيلة ومعرفة الله. وعليه لا توجد هناك ضرورة لكي يبيّن القرآن جميع مسائل العلوم التجريبية والعقلية والنقلية بجميع تفصيلاتها

---

١ – تفسير صحيح آيات مشكله قرآن (التفسير الصحيح لمشكل آيات القرآن)، جعفر سبحاني، إعداد: هادي خسرو شاهي، ص٣١٥.

٢ – انظر: برهان رسالت (برهان الرسالة)، ص٢٥٣ ـ ٢٨٣، انتشارات كتابخانه صدر، طهران، ١٣٩٨ للهجرة.

ومعادلاتها العلمية. وفي الوقت نفسه فإن هذا لا يعني عدم وجود إلماعات وإشارات صريحة وصادقة إلى بعض القوانين العلمية.

وهذا ما يؤكد عليه قدامى المفسرين[١] والعلماء المعاصرون أيضاً[٢].

٢ ـ لا يمكن الأخذ بظهور الآيات القائلة باشتمال القرآن على «جميع الأمور»؛ وذلك للأمور الآتية:

أ ـ إن هذا الظهور مخالف للبديهة؛ لعدم اشتمال القرآن الكريم على المعادلات الكيميائية والقواعد الفيزيائية.

ب ـ لقد أنكر بعض المفسرين ظهور هذه الآيات صراحة، وقالوا: إن المراد من كل شيء، هو كل ما يرتبط بشأن هداية الإنسان، فكل شيء يعني (الأمور الدينية)[٣].

ج ـ إن لفظ «الكتاب» في الآيات مورد البحث، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٤]، قد يقع على معانٍ، مثل: «القرآن الكريم، واللوح المحفوظ، والأجل، والعلم الإلهي، والإمام المبين»[٥]، إذن لا يمكن القول بضرورة أن يكون المراد منه هو القرآن وكل ما جاء فيه.

---

١ – انظر: مجمع البيان، ج٣، ص٢٩٨؛ الكشاف، ج٢، ص٦٢٨.

٢ – انظر: الميزان، ج١٤، ص٣٢٥؛ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، معارف قرآن، ص٢٢٩؛ تفسير نمونه (الأمثل)، ج١١، ص٣٦١ ـ ٣٦٢.

٣ – انظر: تفسير القرآن الحكيم (المعروف بتفسير المنار)، ج٧، ص٣٩٥؛ تفسير الجواهر للطنطاوي، ج٨، ص١٣٠؛ التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٨٩.

٤ – النحل: ٨٩.

٥ – انظر: مجمع البيان، ج٤، ص٢٩٨، وج ٦، ص ٣٨٠؛ الكشاف، ج٢، ص٦٢٨؛ الميزان، ج١٤، ص٣٢٥؛ تفسير نمونه (الأمثل)، ج١١، ص٣٨١ و...

ورابعاً: إن هذه الآيات تخصص بالدليل العقلي (القرينة اللبية) ويتم تقييدها به. فإن عقل الإنسان يحكم بأن القرآن إنما يكون بياناً لكل شيء في إطار الهدف الذي نزل من أجله، وهو (الهداية المعنوية للإنسان)، دون الأمور الخارجة عن دائرة هذه الغاية.

٣ـ إن الآيات القرآنية المشتملة على إشارات للعلوم الطبيعية، لا تهدف إلى الكشف عن معادلات في الهندسة أو الكيمياء أو غيرهما من العلوم، وإنما هي إشارات استطرادية. بمعنى أنها مجرد أمثلة (وهي بطبيعة الحال أمثلة واقعية وحقيقية)، وليس الهدف منها تعليم هذه العلوم.

هذا بالإضافة إلى أن بعض هذه الآيات التي يستشهد بها أنصار الاتجاه الأول، لا تصمد أمام النقد بلحاظ الموازين التفسيرية. فإن قوله تعالى: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ**﴾ لا شأن له بدرجات الدائرة، وإن حمل الآيات على أمر دون قرينة عقلية أو نقلية معتبرة، يدخل في باب التفسير بالرأي.

خلاصة واستنتاج:

طبقاً لما ذكرناه نستنتج أن ظاهر آيات القرآن لا تدل على جميع العلوم البشرية (بجميع معادلاتها وتفاصيلها).

أجل، هناك في القرآن إشارات إلى بعض العلوم والمسائل العلمية التي ذكرت استطراداً وبشكل عرضي. ولكن ليست جميع العلوم مذكورة في القرآن بالفعل، وإن الآيات الواردة في هذا الشأن (مثل الآية ٨٩ من سورة النحل، والآية ٣٨ و٥٩ من سورة الأنعام) إنما تدل على أن جميع ما يحتاج إليه الناس في أمور

دينهم وهدايتهم مذكور في القرآن على نحو التفصيل أو الإجمال[١].

٤ـ أنواع التفسير العلمي للقرآن

إن للتفسير والفهم العلمي للقرآن أساليب فرعية مختلفة، يُفضي بعضها إلى التفسير بالرأي، ويؤدي بعضها إلى التفسير الصحيح والمعتبر، وينتهي بعضها إلى التنظير العلمي للقرآن في حقل مختلف العلوم.

أ ـ استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم

سعى القدامى من أنصار التفسير العلمي للقرآن، من أمثال: ابن أبي الفضل المرسي، وأبي حامد الغزالي وغيرهما إلى استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم[٢]؛ لاعتقادهم بوجود كل شيء في القرآن، وفي هذا السياق كانوا يبيّنون الآيات التي يبدو ظاهرها منسجماً مع قانون من القوانين العلمية. وحيثما لم تكن ظواهر الآيات كافية، عمدوا إلى التأويل وإرجاع ظواهر القرآن إلى النظريات والعلوم المنظورة لهم. ومن هنا قاموا باستخراج علم الهندسة والحساب والطب والهيئة والجبر والمقابلة والجدل من القرآن الكريم.

فمثلاً: استفادوا علم الطب[٣] من قوله تعالى حكاية عن النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٤]. واستفادوا علم الجبر من الحروف المقطعة في

---

١ – لمزيد من الاطلاع في هذا الشأن، والوقوف على تفصيل آراء الطرفين، انظر: در آمدي بر تفسير علمي قرآن، (مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن) لكاتب السطور، انتشارات أسوة، ١٣٧٥ للهجرة الشمسية، قم.

٢ – تقدّم الحديث عن آراء هذه الجماعة في مبحث الجذور التاريخية.

٣ – انظر: أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، ص٢٧، الفصل الخامس.

٤ – الشعراء: ٨٠

أوائل بعض السور[١]. وتوقعوا الزلزال في عام ٧٠٢ للهجرة[٢] من قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[٣].

واضح أن هذا النوع من التفسير العلمي، يؤدّي إلى الكثير من التأويلات في آيات القرآن دون رعاية للقواعد والضوابط الأدبية وظواهرها ومعانيها اللغوية.

من هنا ذهب الكثير من المخالفين إلى اعتبار التفسير العلمي نوعاً من التأويل والمجاز، وبطبيعة الحال فإن الإشكال على هذا النوع من التفسير العلمي وارد.

الاتجاه الأول: جميع العلوم البشرية موجودة في القرآن:

وقد لوحظ هذا الاتجاه أول مرّة في كتاب «إحياء العلوم» و«جواهر القرآن» لأبي حامد الغزالي (م: ٥٠٥ ق). حيث سعى إلى إثبات إمكانية استنباط واستخراج جميع العلوم من القرآن الكريم، حيث قال:

«فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عزّ وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها»[٤].

ثم جاء دور أبي الفضل المرسي (٥٧٠ ـ ٥٧٠ هـ) وله تفسير، حيث تبنى هذا الرأي بقوة، فقد ذكر عنه أنه قال في تفسيره: «جمع القرآن علوم الأولين والآخرين»[٥].

---

١ – انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج٢، ص٤٨١، نقلاً عن ابن أبي الفضل المرسي.

٢ – انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٨١ ـ ١٨٢.

٣ – الزلزلة: ١.

٤ – أبو حامد الغزالي، إحياء العلوم، ج١، ص٣٤١، الباب الرابع من كتاب آداب تلاوة القرآن، دار المعرفة، بيروت.

٥ – الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٢٤.

ثم تبنى بدر الدين الزركشي (م: ٧٦٤ هـ) هذه النظرية في كتابه «البرهان في علوم القرآن»[١].

وتلاه جلال الدين السيوطي (م: ١٠٩١ هـ) في كتاب «الاتقان في علوم القرآن» و«الإكليل في استنباط التنزيل»، حيث تبنى رأي الغزالي والمرسي، وعمل على تقويم دعائمه[٢].

كما أن الفيض الكاشاني (م: ١٠٩١ هـ) قد تبنى هذا الرأي في مقدمة تفسير «الصافي» في قسم من العلوم بشكل خاص[٣].

وفي المرحلة المعاصرة تعزز هذا الرأي بالتزامن مع تقدّم العلوم بشكل ملحوظ، وقد سعى بعض العلماء، من أمثال الطنطاوي الجوهري (المولود في عام ١٨٦٢م) في تفسيره الشهير «الجواهر في تفسير القرآن» إلى نسبة الكثير من العلوم الحديثة إلى القرآن.

أما أحدث رأي في هذا الاتجاه وهذه النظرية، فهو المنسوب إلى شخص اسمه رضا نيازمند، حيث قال في مقال له نشر في السنة الماضية (١٩٩٦ للميلاد):

«إن على من يؤمن بالقرآن، أن يؤمن أيضاً باشتماله على جميع العلوم، حيث يحتوي القرآن تفصيل كل شيء على أساس العلم والمعرفة»[٤].

---

١ - انظر: البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٨١، دار المعرفة، بيروت.

٢ - انظر: الإكليل في استنباط التنزيل، ص٢؛ الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٧١ ـ ٢٨٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣ - انظر: تفسير الصافي، ج١، ص٥٧.

٤ - انظر: مجلة (بينات)، السنة الثالثة، العدد: ١٠، ص٢١، صيف عام ١٩٩٦ للميلاد (١٣٧٥ للهجرة الشمسية).

ب ـ تطبيق وتحميل النظريات العلمية على القرآن الكريم

شاع هذا الأسلوب في التفسير العلمي في القرن الأخير، وسعى الكثير من الذين آمنوا بصوابية القوانين والنظريات العلمية إلى البحث عن الآيات التي توافقها في القرآن الكريم، وحيثما أخفقوا في العثور على آية توافق النظرية العلمية، بادروا إلى تأويلها أو تفسيرها برأيهم، وحملوا الآيات على خلاف معناها الظاهري.

ومثال ذلك ما قدّمناه من تفسير عبد الرزاق نوفل للآية ١٨٩ من سورة الأعراف، إذ فسّر «النفس» بالبروتون، و«الزوج» بالإلكترون. وقال: إن مراد القرآن هو أننا خلقناكم جميعاً من البروتون والإلكترون التي تمثل الأجزاء الموجبة والسالبة من الذرّة[١]. وفي هذا التفسير لم يراعِ حتى المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفس.

وقد شاع هذا النوع من التفسير العلمي في القرن الأخير في مصر وإيران، وأدّى إلى سوء ظن بعض علماء المسلمين بمطلق التفسير العلمي، وخالفوا التفسير العلمي جملة وتفصيلاً، بوصفه تفسيراً بالرأي، وتحميلاً للنظريات والعقائد على القرآن، كما قال العلامة الطباطبائي بأن التفسير العلمي هو نوع من التطبيق[٢].

وبطبيعة الحال فإن الحق في هذا النوع من التفسير العلمي مع المخالفين له؛ وذلك لأن المفسّر عندما يباشر عملية التفسير، يجب أن يكون خالياً من جميع الأحكام المسبقة، كي يتمكن من القيام بالتفسير الصحيح. وأما إذا اختار نظرية علمية وقام بتحميلها على القرآن، فإنه يكون قد فسّر القرآن برأيه، وهو أمر تمّ التوعّد عليه بالعذاب.

---

١ – انظر: عبد الرزاق نوفل، القرآن والعلم الحديث، ص١٥٦.

٢ – انظر: مقدمة تفسير الميزان، ج١، ص٦ فما بعد.

ج ـ توظيف العلوم في فهم وشرح القرآن بشكل أفضل

في هذا الأسلوب من التفسير العلمي، يقوم المفسّر ـ الذي يتحلى بالشروط اللازمة، ويراعي ضوابط التفسير المعتبر ـ بتفسير القرآن علمياً.

بمعنى أنه يسعى من خلال توظيف مسائل العلوم القطعية ـ المدعومة بالدليل العقلي ـ والتي تنسجم مع ظاهر آيات القرآن ـ طبقاً للمعنى اللغوي والاصطلاحي ـ إلى التفسير العلمي، واكتشاف المعاني المجهولة في القرآن، ويضعها بين أيدي المتعطشين إلى الحقيقة. إن هذا الأسلوب من التفسير العلمي هو من أفضل أنواعه، بل هو وحده النوع الصحيح من التفسير العلمي.

ونحن في البحث المقبل سنبيّن معيار هذا النوع من التفسير بشكل كامل، بيد أننا نؤكد هنا وجوب أن يخلو هذا النوع من الأسلوب التفسيري من أي نوع من التأويل والتفسير بالرأي، وأن يتمّ الحديث فيه عن مراد القرآن بشكل احتمالي فقط؛ لأن العلوم التجريبية تقوم على الاستقراء الناقص وعلى قاعدة الإبطال، ولذلك قلما تستطيع بيان مسألة علمية بضرس قاطع.

من باب المثال، عندما نزل قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**﴾[1] في صدر الإسلام، فهم منها الناس ـ في عصر النزول ـ الحركة الحسّية المعهودة لهم من الشمس، حيث تبدأ من المشرق وتسلك طريقها باتجاه المغرب طوال النهار، في حين أنها حركة كاذبة ناشئة من خداع البصر؛ لأن الذي يتحرّك في الحقيقة هو الأرض وليس الشمس، تماماً كما يحصل بالنسبة إلى راكب القطار عندما يرى البيوت تتحرك في الاتجاه المخالف لحركة القطار. وبعد تقدّم العلوم

---

١ ـ يس: ٣٨.

البشرية، واكتشاف حركة الأرض والشمس، اتضح أن للشمس حركة خاصة بها (وليست حركة كاذبة، بل حركة حقيقية)، بل إن المجموعة الشمسية برمّتها، وحتى مجرّة درب التبانة في حركة[١]. وعليه نقول: إذا ثبت بالدليل القطعي أن للشمس حركة، وظاهر الآية القرآنية يقول: (إن الشمس تجري)، إذن يكون مراد القرآن هو الحركة الواقعية (التي تنتقل الشمس فيها من مكان إلى آخر). علاوة على أن القرآن يتحدّث عن «جريان» الشمس، وليس حركتها. وقد ذكرت علوم الفلك الحديثة أن الشمس كتلة غازية وهي في حالة من التغيّر المستمر[٢] نتيجة للانفجارات الذرّية الحاصلة فيها وهي في قلب الفضاء، وليست كرة جامدة تتحرك، وإنما يحدث فيها جريان مثل الجريان الذي يحصل للتيارات المائية[٣].

د ـ الاكتشافات العالمية في أسس العلوم الإنسانية

تتعرض بعض الآيات العلمية في القرآن إلى بيان بعض المسائل التي لم يتوصّل العلم حتى الآن إلى اكتشافها، من قبيل: أسس الإدارة في القرآن، وقواعد الاقتصاد في القرآن، وأصول السياسة في القرآن، والمباني التربوية في القرآن، وإذا تمّ التحقيق في هذه الموارد بشكل جيّد، أمكن تحقيق ثورة في حقل العلوم، وتغيّر واقع العالم في القرن الحادي والعشرين، وأن تضع حدّاً

---

١ – انظر: الدكتور أريك أوبلاكر، فيزيك نوين (الفيزياء الحديثة)، نقله إلى الفارسية: بهروز بيضائي، ص٤٥ ـ ٤٨.

٢ – انظر: المصدر أعلاه، ص٤٥ ـ ٤٨.

٣ – لمزيد من الاطلاع والحصول على مزيد من الأمثلة، انظر: محمد علي رضائي الإصفهاني، در آمدي بر تفسير علمي قرآن.

للهيمنة الثقافية من قبل الغرب على الشرق.

أجل، إن الكثير من آيات القرآن تشتمل على إشارات صريحة وغير صريحة إلى أسس العلوم الإنسانية التي يخرج عدّها عن الإحصاء، ويحتاج بيانها إلى مقالات كثيرة، إذا لم نقل كتباً متعددة[1]، وسيأتي التعرض إلى تفاصيل ذلك في الفصل الثالث.

٥ـ أسس وقواعد الفهم العلمي للقرآن الكريم

هناك أسس ووقواعد تفسيرية عامة حاكمة في منهج التفسير العلمي للقرآن، وهذه الأسس جارية في جميع المناهج التفسيرية، من قبيل: جواز وإمكان تفسير القرآن، والمنع من التفسير بالرأي، وحجية الظواهر والنصوص القرآنية. كما له أسس وأصول خاصّة تمثل فرضيات هذا المنهج، وحيث يتمّ إثبات هذه الأسس في موضعها، فإننا نشير إليها على النحو الآتي:

أ ـ عدم قطعية أكثر مسائل العلوم التجريبية

إن العلوم التجريبية هي حصيلة البحث والتجارب البشرية المتراكمة عبر القرون. وحتى ما قبل النصف الثاني من القرن العشرين كانوا يقسّمون العلوم التجريبية إلى قسمين: نظريات علمية غير ثابتة، وقوانين علمية ثابتة. وإذا تمّ تأييد النظرية العلمية من

---

١ – في هذا الشأن، انظر: محمد عثمان نجاتي، قرآن وروان شناسي (القرآن وعلم النفس)؛ مباني اقتصاد اسلامي (أسس الاقتصاد الإسلامي)، دفتر همكاري حوزة ودانشگاه؛ نوروزي، نظام سياسي اسلام (النظام السياسي في الإسلام)؛ محمد حسن نبوي، مديريت اسلامي (الإدارة الإسلامية)، وما إلى ذلك من الكتب.

خلال المشاهدة وتكرار التجربة اعتبرت ثابتة وأضحت قانوناً علمياً[١].

وأما بعد ذلك حيث ظهرت النظريات الحديثة في فلسفة العلم، اتضح أن العلوم التجريبية لا تعدوا أن تكون أساطير نافعة يتم تطبيقها على رقعة الطبيعة والحياة، ولا يمكن أن ترقى إلى مستوى القانون أبداً.

بمعنى أننا فيما يتعلق بالنظرية العلمية نقوم أولاً بمواجهة المسألة والمشكل، وفي المرحلة الثانية نتوصل إلى حل هذا المشكل من طريق الحدس، وفي المرحلة الثالثة نستنتج طرق الحل من خلال القضايا القابلة للمشاهدة والتجربة، وفي المرحلة الرابعة نعمد إلى العمل على إبطال هذه القضايا. فإن لم نتمكن من إبطالها تبقى تلك النظرية على حالها، ويكون لها مكانتها ومنزلتها في الحقل العلمي، وتكون هي الأساس في أعمالنا، إلى حين استبدالها بنظرية أفضل منها[٢].

وعليه فإن العلوم التجريبية غير قابلة للإثبات، وإنما هي قابلة للإبطال، حيث لا وجود للقانون القطعي في العلوم.

وبطبيعة الحال فإنّ هناك القول بعدم قطعية مسائل العلوم التجريبية (بمعنى

---

١ – وقد توجّهت إشكالات كثيرة في هذا الشأن على طريقة الاستقراء الناقص في العلوم، وأجيب عنها أيضاً (انظر: د. علي أكبر سياسي، مباني فلسفه (أصول الفلسفة)، ص٢١٠ ـ ٢٤٤؛ إيان باربر، علم ودين (العلم والدين)، نقله إلى الفارسية: خرمشاهي، ص٣ و٢١٣ ـ ٢١٤؛ محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص١٣٥ و٣٨٣ ـ ٤٠٠؛ كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن)، ص١٨٥ ـ ٢٠٠.

٢ – هذا هو رأي بوبر (المتوفى عام ١٩٠٤ للميلاد)، انظر: حدس ها وإبطال ها ومنطق اكتشافات (الحدس والإبطال ومنطق الاكتشافات)، تأليف: بوبر، نقله إلى الفارسية: أحمد آرام؛ كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص٢٠٠ ـ ٢٠٤.

القطع المعرفي)، أي أنه لا يمكن القول إن هذه القضية العلمية لا بدّ أن تكون مطابقة للواقع ولا يمكن أن تتغيّر. إلا أن بعض مسائل العلوم التجريبية قطعية (بمعنى القطع النفسي) أي أن القضية العلمية تصبح أحياناً من الأمور البديهية من خلال المشاهدة أو القرائن الأخرى. كما هو الحال بالنسبة إلى «حركة الأرض» التي أضحت في عصرنا من الأمور البديهية. كما يصل الإنسان أحياناً من خلال القرائن الخارجية أو الأدلة العقلية إلى القطع بالقضية العلمية.

في التفسير العلمي يتمّ التفريق بين العلوم التجريبية القطعية والنظريات الظنية. ولا يصحّ توظيف النظريات الظنية في التفسير العلمي للقرآن؛ وذلك لأن النظريات الظنية قد تعمّر مئات السنين وتبقى هي المتبعة في حقل العلم، ثمّ يتضح بطلانها[1]. إذن لا يمكن أن نبني تفسير القرآن عليها.

بيد أن المشكلة تنشأ من أن الاستقراء التام غير ممكن في اختبار العلوم التجريبية عادة، ونتيجة لذلك، لا نحصل على علم تجريبي قطعي ويقيني إلا في موارد نادرة، وبذلك لا يمكن لنا أن نلغي احتمال الطرف المقابل أبداً.

وبعبارة أخرى: إن مشاهدة الأمور وتبويب المعلومات واستعراض الفرضيات وتجريبها إنما ينتهي إلى تأسيس «قانون» إذا اجتاز مرحلة الاستقراء الاستدلالي، وهذا الأمر يقوم على تعميم نتائج الاختبار والوصول إلى القانون الكلي من الموارد الجزئية. بمعنى أننا نحكم على الموارد التي لا نشاهدها من

---

١ - كما هو الحال بالنسبة إلى نظرية بطليموس (ptolemaic ـ في القرن الثاني للميلاد) القائلة بأن الأرض هي مركز الكون الثابت وأن الشمس والقمر والكواكب السيارة تدور كلها حولها. وقد هيمنت هذه النظرية على الذهنية البشرية لما يقرب من أربعة عشر قرناً، ليتمّ تفنيدها من قبل كابلر وكوبرنيوكس وغاليلو، وحلت محلها النظرية الراهنة (أي حركة الأرض حول الشمس).

خلال قياسها على الموارد الجزئية التي نشاهدها، ونصدر حكماً كلياً يسري حتى على الأجيال القادمة[١].

من هنا سعى علماء العلوم التجريبية وفلاسفة العلم إلى العمل على حل مشكلة «الاستقراء الناقص»، بيد أن عالماً إنجليزياً قام بتقديم جدوله الشهير[٢]. ثم عمد (ستيوارت ميل) بعد ذلك إلى إتمام نظريته[٣]. وفي هذا السياق تمّ اقتراح حلول مختلفة، من قبيل: تأسيس الاستقراء على مبدأ السبب الكافي[٤]، والاستقراء الناقص في المشهودات القائمة على التعليل[٥]، والاستقراء القائم على الحكم العقلي البديهي[٦]، والاستقراء القائم على المماثلة الكاملة بين الجزئيات[٧]، والاستقراء القائم على حساب الاحتمالات[٨]. ولكن لم يفلح أيّ منها في حلّ مشكلة الاستقراء الناقص، وأورد الكثير من الإشكالات على كل واحد من هذه المقترحات[٩].

ثم جاء دور كارل بوبر ـ فيلسوف العلم المعاصر ـ ليطرح إشكالات أخرى

---

١ – للمزيد من الاطلاع بشأن إشكالات الاستقراء الناقص، انظر: الصدر، محمد باقر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص٢٥ ـ ٢٧.

٢ – انظر: سياسي، علي أكبر، مباني فلسفه (أسس الفلسفة)، ص٢١٠ ـ ٢٤٤.

٣ – انظر: المصدر أعلاه.

٤ – انظر: المصدر أعلاه، ص٢٤٤.

٥ – انظر: المظفر، محمد رضا، المنطق، ص٢٦٤.

٦ – انظر: المصدر أعلاه.

٧ – انظر: المصدر أعلاه.

٨ – انظر: الصدر، محمد باقر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص١٣٥ و٣٨٣ ـ ٤٠٠.

٩ – انظر، رضائي الإصفهاني، محمد علي، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص١٩١ فما بعد.

على أسلوب الاستنتاج التقليدي في العلوم التجريبية. واعتبره مخالفاً لروح الكشف والإبداع، وقال: لا يمكن حتى لآلاف القضايا الشخصية أن تؤدي إلى نتيجة كلية أو تتحول إلى قانون. وعليه لا يكون الاستقراء حجّة.

وطبقاً لهذه الرؤية لا وجود لـ «القانون» في العلوم التجريبية، بل إن العلم عبارة عن مجموعة من النظريات، لها قابلية بيان وتوقع الظواهر، وإنها بحسب الاصطلاح «أساطير مفيدة ونافعة»[١].

من هنا فإن إيان باربر الفيزيائي الأمريكي من خلال طرحه الكثير من الإشكالات[٢] بشأن معطيات العلوم التجريبية، يقول: «يرى بعض الباحثين أن النظريات العلمية ليست بديلة عن الحقائق، بل هي من مختلقات الذهن، أو هي أساطير مفيدة تساعد المعطيات والاكتشافات المخبرية لا أكثر»[٣].

وعلى هذا الأساس فإن العلوم التجريبية مجرد ادعاءات تبدو واقعية، في حين أنها لا تبلغ درجة القطع واليقين فيما يتعلق بأمور الطبيعة، فما ظنك بإثبات أو نفي موارد ما وراء الطبيعة.

من هنا فإن العلوم التجريبية لا تقدم لنا يقيناً مطابقاً للواقع. إلا في بعض الموارد الخاصة التي يقوم فيها عامل خارجي بنجدة وإسعاف نتائج العلوم التجريبية. كأن تبلغ معطيات العلم التجريبي مرحلة البداهة الحسية، كما هو الشأن في قانون الجاذبية

---

١ - انظر: إيان بوبر، حدس ها وإبطال ها (التوقع والإبطال)، ترجمه إلى الفارسية: أحمد آرام؛ ومنطق اكتشافات علمي (منطق الاكتشافات العلمية)، للمؤلف نفسه أيضاً.

٢ - انظر: إيان باربر، علم ودين (العلم والدين)، نقله إلى الفارسة: بهاء الدين خرمشاهي، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

٣ - انظر: المصدر أعلاه، ص٣.

مثلاً، أو قام دليل قطعي ـ كالبرهان العقلي ـ على تأييدها[١].

ب ـ اشتمال القرآن على إشارات علمية تلزمنا بتوظيف العلوم التجريبية لفهمها

هناك في القرآن ما يربو على ١٣٢٢ آية، تتحدّث عن المسائل العلمية والطبيعة والإنسان وما إلى ذلك[٢]، ويمكن تقسيم هذه الآيات في الحدّ الأدنى إلى ثلاثة أقسام، وهي كالآتي:

الأول: الإشارات العلمية إلى الظواهر الطبيعية[٣]، من قبيل: الحيوانات والطبيعة، وهي بظاهرها لا تحتوي على جانب مذهل أو إعجازي. بيد أن هذه الإثارات العلمية قد شدّت انتباه الإنسان إلى الطبيعة والكون وما إليهما، وذللت الطريق إلى تقدّم العلوم التجريبية في العالم الإسلامي.

الثاني: الإشارات العلمية المذهلة في القرآن، بمعنى الآيات التي تشير إلى المسائل العلمية الخاصّة التي يُستبعد صدورها من شخص أميّ يسكن في شبه الجزيرة العربية في صدر الإسلام. من باب المثال: الإشارة إلى حركة الأرض[٤] على خلاف النظام البطليموسي وهو الرأي الذي كان سائداً في ذلك العصر بشأن المنظومة الكونية.

وبطبيعة الحال فإن هذا النوع من الآيات لا يُعد من الإعجاز العلمي في القرآن؛ وذلك لوجود آراء حول حركة الأرض عند الإغريقيين ـ قبل الإسلام ـ أيضاً، ولكنها لم تكن مشهورة[٥].

---

١ ـ انظر: در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص٢٠٥ و٣٩٨ و...

٢ ـ انظر: محمد جميل الحبال ومقداد مرعي الجواري، العلوم في القرآن، ص٣٥ ـ ٣٦.

٣ ـ انظر: الغاشية: ١٧، والنحل: ٥ ـ ١٤ وغير ذلك من الآيات.

٤ ـ انظر: النحل: ٨٩.

٥ ـ إن أول من قال بحركة الأرض هو: فيثاغورس، ثم جاء بعده فلوته خوسيه وأرخميدس (انظر: هبة الدين الشهرستاني، الإسلام والهيئة، ص٤٤.

الثالث: الإشارات القرآنية العلمية الإعجازية، بمعنى أن في القرآن إشارات إلى قانون الزوجية العام في الكائنات[١]، وقوّة الجاذبية[٢]، وحركات الشمس[٣]، ومراحل خلق الإنسان[٤]، ودور الرياح في تلقيح النباتات[٥]، مما لم يتمّ التوصل إليه واكتشافه إلا بعد قرون من ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية. وعليه يعتبر هذا النوع من الإشارات نوعاً من الكشف عن الأسرار والإخبار عن المغيّبات في القرآن الكريم. وإن التفسير العلمي للقرآن هو شرح لهذا النوع من الإشارات العلمية في القرآن.

ج ـ عدم كفاية ظواهر الآيات القرآنية لفهم جميع العلوم

على الرغم من وجود الكثير من الإشارات العلمية في القرآن الكريم، علاوة على تعبير القرآن في وصف نفسه بالقول ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٦]، بيد أنه يشتمل في ظواهره على جميع العلوم؛ لأن هذا الادعاء يخالف البديهة، وأما الآية الشريفة، فهي تحتوي على قيد لُبّي يثبت اشتمال القرآن على جميع الأمور ذات الصلة بهداية الإنسان فقط[٧].

---

١ - انظر: يس: ٣٦.

٢ - انظر: الرعد: ٢، ولقمان: ١٠.

٣ - انظر: يس: ٣٨.

٤ - انظر: الحج: ٥، والمؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

٥ - انظر: الحجر: ٢٢.

٦ - النحل: ٨٩.

٧ - صرّح بعض المفسّرين بأن المراد من الآية التاسعة من سورة النحل، هي المسائل التي تتعلق بالهداية، ومن بينهم: العلامة محمد حسين الطباطبائي، في الميزان، ج١٤، ص٣٢٥؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٢٩٨؛ الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٢١ و٣١.

من هنا ـ وكما تقدّم أن ذكرنا ـ لا يصحّ القول باستخراج العلوم من القرآن؛ لأنها تقوم على فرضية «وجود جميع العلوم في ظواهر القرآن»، وهو أول الكلام[١].

د ـ وجود علاقة ايجابية بين القرآن والعلم

دعا القرآن الكريم الناس إلى طلب العلم مراراً وتكراراً، كما شجّع العلماء والمفكرين وامتدحهم[٢]. وكما تقدّم أن ذكرنا فإن القرآن قد أشار إلى المسائل العلمية المذهلة والإعجازية في الكثير من آياته. من هنا ندرك أن القرآن لم يعلنها حرباً على العلم والعلماء، بل على العكس من ذلك تماماً حيث العلاقة بين القرآن والعلم علاقة إيجابية وبناءة. وإن التفسير العلمي للقرآن يأتي في سياق بيان هذا المبنى.

وبطبيعة الحال قد يدّعى أو يتوهّم وجود بعض التعارضات الظاهرية والبدوية بين العلم والقرآن، ولكن مثل هذه الأوهام والادعاءات تزول بالتأمل والتدبّر في الآيات والعلوم، فلا وجود للتعارض الحقيقي المستقر بين القرآن والعلم. وهذا ما يتضح في سياق التفسير العلمي.

هـ ـ وحدة الهدف بين القرآن والعلم

لقد كرّر القرآن الكريم مراراً وتكراراً أنه كتاب لهداية الناس[٣]، وإخراجهم من الظلمات إلى النور[٤]. وعليه فإذا اشتمل القرآن على إشارات علمية، فإنها تأتي في هذا السياق. بمعنى أن الإشارات العلمية في القرآن تأتي في

---

١ – وهذا ما سنشرحه بتفصيل أكبر في تضاعيف هذا الكتاب إن شاء الله.

٢ – انظر: الزمر: ٩، فاطر: ٢٨، المجادلة: ١١ وغير ذلك من الآيات.

٣ – انظر: البقرة: ٢ و٩٧ و١٨٥، آل عمران: ١٣٨، الأعراف: ٢٠٣، يونس: ٥٧ وغيرها من الآيات الأخرى.

٤ – انظر: إبراهيم: ١.

إطار الحديث عن آيات الله[١]، وأحياناً تثار المسائل العلمية بهدف إثبات المعاد[٢]. من هنا فإن بيان المسائل العلمية لا يُمثل الهدف الرئيس للقرآن، وإن القرآن ليس كتاباً في علم الفيزياء أو الهيئة وما إلى ذلك.

٦ـ معايير الفهم العلمي من القرآن

هناك نوعان من المعايير في المناهج والأساليب التفسيرية :

النوع الأول: المعايير العامة التي تجب مراعاتها في جميع الأساليب التفسيرية.

والنوع الثاني: المعايير الخاصّة التي تجب مراعاتها في أسلوب خاص من التفسير. وغايتنا في هذا الكتاب تنحصر في بيان المعايير من النوع الثاني، بيد أننا نشير إلى معايير القسم لأول أيضاً من باب التذكير فقط.

أ ـ المعايير العامة في التفسير العلمي للقرآن

إن هذه المعايير تشتمل على خصائص وشرائط المفسّر والتفسير، وعمدنا إلى تلخيصها ضمن مجموعتين:

١ ـ يجب أن يتولى عملية التفسير العلمي مفسّر تتوفّر فيه الشرائط الضرورية، وهي: معرفته بالأدب العربي، وشأن النزول، وسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتاريخ صدر الإسلام بما يرتبط بفهم الآيات، والاطلاع على علوم القرآن، من قبيل: معرفة الناسخ والمنسوخ، والرجوع إلى الروايات وأصول الفقه، وفهم الآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية، وتجنّب جميع الأحكام المسبقة

---

١ – انظر: الرعد: ٢ ـ ٤.

٢ – انظر: الحج: ٥.

والتطبيق والتحميل، والإبداع في التفسير وعدم تقليد المفسّرين الآخرين[١].

٢ ـ أن تراعى المعايير المعتبرة في التفسير، من قبيل: اتباع المنهج الصحيح في التفسير، وعدم منافاة التفسير للسنة القطعية، وتجنب إصدار الأحكام المسبقة وغير الضرورية، وعدم تنافي التفسير مع الآيات الأخرى والأحكام العقلية القطعية، والاستفادة من المصادر الصحيحة في التفسير، مما يجب مراعاته في التفسير العلمي أيضاً[٢].

٣ ـ تجنّب التفسير بالرأي، واستقلال الرأي في تفسير القرآن، بمعنى أن على المفسّر قبل التفسير أن يراجع القرائن العقلية والنقلية. ومن ثم يقوم بعملية التفسير انطلاقاً من ذلك.

ب ـ المعايير الخاصة في التفسير العلمي للقرآن

١ ـ أن يتمّ التفسير العلمي من خلال العلوم التجريبية القطعية.

وقد تقدّم أن أوضحنا المراد من قطعية العلوم التجريبية، ونضيف هنا ما يأتي:

أولاً: إذا كانت العلوم التجريبية يقينية وقطعية، أمكن تفسير القرآن على أساسها.

ثانياً: إذا كانت مسائل العلوم التجريبية على شكل نظريات مقبولة في العلم، يمكن بيانها كاحتمال، والقول بأن الآية قد تشير إلى هذه النظرية العلمية. دون نسبة شيء إلى القرآن بشكل قطعي؛ لأن الفرض أن هذه العلوم لم تبلغ درجة القطع واليقين.

---

١ – انظر: جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص٢١٣ ـ ٢١٥؛ كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص٥٣ ـ ٧٤.

٢ – المصدر أعلاه.

ثالثاً: إذا كانت مسائل العلوم التجريبية مبيّنة في العلم على شكل فرضيات محتملة، ولم يتمّ احتضانها في الأروقة العلمية بشكل عام، لن يمكن تفسير القرآن على أساسها[١]؛ وذلك لأن هذه الفرضيات عرضة للتبديل والتغيير، وسوف تترتب عليها ذات الإشكالات التي أوردها المخالفون على التفسير العلمي[٢].

٢ ـ أن تكون دلالة ظاهر الآية على مسائل العلوم التجريبية المنشودة واضحة، دون أن يحصل أي تحميل للآية، بمعنى أنه يجب أن نراعي في التفسير العلمي التناسب بين ظاهر الآية والمسائل العلمية المنشودة، بحيث تنسجم معاني ألفاظ الآية مع المسائل العلمية، دون حاجة إلى تحميل الرأي على الآية. بعبارة أخرى: يجب أن نعمل في التفسير العلمي بحيث لا يكون هناك حاجة إلى

---

١ – هناك عدّة احتمالات في القضايا العلمية، ومن بينها:

أ ـ القضية العلمية التي تستتبع يقيناً مطابقاً للواقع، لأنها تجربة علمية مقرونة بالدليل العقلي (وتصل إلى مرحلة البداهة).

ب ـ القضية العلمية التي تستتبع يقيناً بالمعنى الأعم، بمعنى الذي يحصّل الاطمئنان، دون أن يبلغ الاحتمال المقابل درجة الصفر، كما هو الحال بالنسبة إلى أكثر القضايا الثابتة في العلوم التجريبية.

ج ـ القضية العلمية التي تكون على شكل نظرية ظنية دون أن تبلغ مرحلة الإثبات. وعليه ففي الصورة الأولى (أ)، يكون التفسير العلمي جائزاً؛ وذلك لعدم وجود التعارض بين القرآن الكريم والعلوم القطعية (التي تعود إلى القطع العقلي)، بل إن القرائن القطعية (النقلية والعقلية والعملية) ضرورية لتفسير القرآن. وعليه، بناء على الصورة الثانية (ب) إذا ذكر التفسير العلمي كاحتمال، فإنه يبدو صحيحاً. كأن يقال مثلاً: حيث أن ظاهر القرآن يتطابق مع الحركة الانتقالية للشمس، يحتمل قوياً أن يكون مراد القرآن هو هذه الحركة. وفي الصورة الثالثة (ج) فلا يكون التفسير العلمي صحيحاً؛ لأنه يستدعي الإشكالات التي أوردها المخالفون للتفسير العلمي، من قبيل: تطبيق القرآن الثابت على العلوم المتغيّرة، وتشكيك الناس في صحة القرآن.

٢ – ذكر آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي مضمون هذا المعيار في كتاب: قرآن وآخرين پيامبر (القرآن وخاتم الأنبياء)، كما يوجد في كلمات الكثير من القائلين بالتفسير أيضاً.

التبرير واللجوء إلى التفاسير المخالفة للظاهر[١].

٣ ـ أن توظيف الأنواع الصحيحة من التفسير العلمي، يعني توظيف العلوم في فهم وتبيين وتفسير القرآن، وتجنّب جميع الأنواع غير الصحيحة من قبيل: استخراج العلوم من القرآن، وتطبيق وتحميل النظريات العلمية على القرآن.

تنبيه (٣): ذكر بعض المنظرين معايير أخرى للتفسير العلمي، ومن بينها:

٣ / ١ ـ أن يكون تفسير الآيات مطابقاً لمعنى النظم القرآني.

٣ / ٢ ـ أن لا يضع القرآن في معرض النظريات العلمية المتنافرة.

٣ / ٣ ـ أن يكون المفسر بصدد إثبات الإشارات العلمية للقرآن من خلال النظريات العلمية.

٣ / ٤ ـ أن يجعل آيات القرآن هي الأصل والمحور للتفسير (دون المسائل العلمية).

٣ / ٥ ـ أن يكون المفسّر ملتزماً بالمعاني والقواعد اللغوية الواردة في كلام العرب مما هو مستعمل في الآيات القرآنية.

٣ / ٦ ـ أن يكون التفسير العلمي مخالفاً للمسائل والأحكام الشرعية.

٣ / ٧ ـ أن يكون التفسير العلمي مطابقاً للآية، دون زيادة ولا نقصان.

٣ / ٨ ـ مراعاة التأليف والتناسب بين الآيات ووحدتها الموضوعية[٢].

وبطبيعة الحال فإن بعضاً من هذه المعايير يعود بنحو من الأنحاء إلى واحد

---

١ – انظر: المصدر أعلاه، وكذلك انظر: عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص٢٢٤؛ عميد زنجاني، مباني وروش هاي تفسير قرآن (أسس ومناهج تفسير القرآن)، ص٢٥٦.

٢ – انظر: عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص٢٢٤.

من المعايير الثلاثة المتقدّمة. من قبيل: الرقم ١ و٤ و٧ و٨، فإنها تعود إلى المعيار الثاني، ومن قبيل: الرقم ٢، فإنه يعود إلى المعيار الأول.

والبعض الآخر من الشرائط العامة للتفسير، من قبيل: الرقم ٦ و٥، وفي الرقم ٣ إذا كان المراد من النظريات العلمية، الفرضيات غير الثابتة، فلا يكون كلاماً صحيحاً، وإن كان المراد منها المسائل القطعية من العلوم التجريبية (مع إصلاح في العبارة) فيكون كلاماً مقبولاً.

٧ـ امتيازات التفسير العلمي للقرآن

هناك الكثير من الامتيازات للتفسير العلمي للقرآن الكريم، ويمكننا أن نشير إلى جملة منها رغم أن الكثير منها قد تعرضنا لها في مطاوي البحوث السابقة:

١ ـ بيان الإشارات العلمية الموجودة في القرآن، من خلال توظيف العلوم في تفسير كتاب الله تعالى، ومن باب المثال: عندما يتحدّث القرآن عن منافع الخمر وأضرارها في قوله تعالى: ﴿**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾[1]، تعمل المعطيات الطبية على توضيح مفاد هذه الآية، وتبيّن مراد الله من هذه المنافع والآثام والأضرار، وتضع بين أيدينا تفسيراً واضحاً لهذه الآية.

بل يصعب تفسير القرآن في بعض الأحيان دون الاستعانة بالعلوم الجديدة. من باب المثال: إن فهم وتفسير الآيات ١٢ ـ ١٤ من سورة المؤمنون، والآية الخامسة من سورة الحج، بحاجة ماسّة للاستعانة بعلم الطب. وكما أننا نحتاج إلى علم اللغة لفهم معاني الآية، نفتقر أيضاً إلى علم الأجنة من أجل فهم مراحل خلق الإنسان أيضاً.

---

١ - البقرة: ٢١٩.

٢ ـ إثبات الإعجاز العلمي في القرآن[١]، بمعنى أن القرآن الكريم قد نزل قبل ما يزيد على الأربعة عشر قرناً، ومع ذلك فقد تحدّث عن مسائل علمية لم يتوصل الإنسان في عصر النزول إلى اكتشافها، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها، إلا بعد ذلك بقرون حيث اكتشفت من طريق العلوم التجريبية.

وعليه يتضح من هذا أن القرآن الكريم معجزة إلهية، لا قبل للإنسان أن يأتي بمثلها، ولا يمكن للقرآن أن يكون من كلام البشر أبداً.

وقد استدل للإعجاز العلمي في القرآن بآيات فيما يتعلق بقانون الزوجية العام بين الموجودات (وزوجية النباتات)[٢]، وقوّة الجاذبية[٣]، وحركة الشمس[٤]، وفلسفة حرمة الخمر والمسكرات[٥]، ومراحل خلق الإنسان[٦]، واللقاح بواسطة الرياح والنباتات[٧]، وما إلى ذلك[٨].

كما قال راترود فيلانت بهذا الشأن:

«إن أنصار التفسير العلمي يسعون إلى إثبات تقدم القرآن على علماء الغرب قروناً طويلة من الزمن؛ وذلك لاشتماله على مسائل لم يكتشفها علماء الغرب إلا بعد قرون. إن أكثر المنبهرين بالتفسير العلمي يتغنون بهذا التفوّق الزمني للقرآن في مجال

---

١ – انظر: محمد هادي معرفت، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص٤٤٣.

٢ – انظر: يس: ٣٦.

٣ – انظر: الرعد: ٢، لقمان: ١٠.

٤ – انظر: يس: ٣٨.

٥ – انظر: البقرة: ٢١٩.

٦ – انظر: الحج: ٥، المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

٧ – انظر: الحجر: ٢٢.

٨ – انظر: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، لكاتب السطور.

المعارف العلمية بوصفه مثالاً بارزاً على إعجاز القرآن، وإنهم يؤكدون على هذا الإعجاز القرآني على الدوام في براهينهم ومجادلاتهم العلمية في مواجهة الغرب»[١].

٣ ـ إن التفسير العلمي للقرآن يساعد على زيادة إيمان المسلمين، ويكون سبباً في إسلام غير المسلمين. بمعنى أنه عندما يثبت أن القرآن الكريم يشتمل على إشارات علمية لم يتمّ التوصل إلى اكتشافها إلا بعد ذلك بقرون، يزداد إيمان المسلمين ـ وخاصة الشباب منهم ـ بصدق القرآن، كما يذعن غير المسلمين لعظمته ويقرّون ويعترفون بإعجازه.

من هنا نجد بعض المفكرين في العالم الغربي، من أمثال «موريس بوكاي»[٢] قد كتب دراسة مقارنة بين الكتب المقدسة، وقد قارن في دراسته بين المسائل العلمية الموجودة في القرآن والتوراة والإنجيل، واعترف مراراً بأن معطيات التوراة والإنجيل تخالف النتائج التي توصلت لها العلوم التجريبية، في حين يخلو القرآن من المسائل المخالفة للعلم، بل إن القرآن يحتوي على مسائل إعجازية في هذا الشأن[٣].

---

١ – راترود فيلانت، مقالة: تفسير قرآن در دوره جديد ومعاصر (تفسير القرآن في المرحلة الجديدة والمعاصرة)، (انظر: دائرة معارف ليدن القرآنية)، مصدر سابق.

٢ - Maurice Bucaille.

٣ – عنوان كتابه في الإنجليزية (The Bible the Quran and Science)، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية والفارسية لأكثر من مرّة، وإليك عناوين ترجماته باللغتين الفارسية والعربية:

ـ حسن حبيبي، (عهدين، قرآن وعلم)، انتشارات سلمان، ١٩٧٨.

ـ ذبيح الله دبير، (مقايسه اي ميان تورات، انجيل وقرآن وعلم)، انتشارات فرهنگي واسلامي، ١٩٨٦.

ـ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث.

ـ دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة.

٤ ـ التنظير العلمي للقرآن. كما تقدم أن أشرنا، فإن إحدى الثمار المترتبة على الفهم العلمي من القرآن، هو ظهور النظريات الجديدة في مجال العلوم الطبيعية (من قبيل: وجود الكائنات الحية في السماء)[١]، وفي حقل العلوم الإنسانية (من قبيل: نظرية الاقتصاد اللاربوي).

٥ ـ توجيه العلوم الإنسانية. كما تقدم أن أشرنا، فإن إحدى الثمار المترتبة على الفهم العلمي للقرآن، هو ظهور المباني والأسس الجديدة للعلوم الإنسانية، الأمر الذي يساعد على توجيه هذه العلوم.

من باب المثال: مراعاة أصل العدالة الجوهري في الاقتصاد، والاهتمام بمكافحة الفقر في الاقتصاد والإدارة، وكذلك مراعاة الأخلاق الإسلامية في الإدارة، والاهتمام بكلا بعدي الإنسان (الروح والجسد) في علم النفس، وبدلاً من محورية الإنسان (في النزعة الإنسانية)[٢] يمكن لمحورية الله في العلوم الإنسانية أن تلعب دوراً كبيراً في إيجاد الأسس الجديدة لهذه العلوم، وتعمل على توجيهها بحيث تظهر علوم إنسانية جديدة في العالم.

٨ـ آفات الفهم العلمي للقرآن الكريم

في الوقت الذي يحتوي التفسير العلمي على امتيازات ذات أهمية بالغة يحتوي في الوقت نفسه على آفات ابتلي بها التفسير العلمي نتيجة اختلاف المناهج والأساليب المتبعة، ونشير إلى جملة من تلك الآفات والآثار السلبية لبعض المناهج في التفسيرات العلمية:

---

١ – انظر: الشورى: ٢٩.

٢ – الفلسفة الإنسانية (humanism): فلسفة تؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات من طريق العقل.

١ ـ إن العلوم التجريبية غالباً ما لا تكون قطعية، وإن نظرياتها غير ثابتة، وإنها عرضة للتغيير بعد فترة من الزمن. وعليه فإذا عمدنا إلى تفسير القرآن [الثابت] بمثل هذه العلوم غير الثابتة وغير القطعية، فإن الناس سيرتابون في بيان القرآن فيما إذا تغيّرت تلك النظريات التي فسّرنا القرآن على أساسها، وسوف يتزعزع إيمانهم. من باب المثال: قام بعض المفسرين بتفسير القرآن على أساس النظام البطليموسي، وطبّقوا الأفلاك التسعة على آيات القرآن، وبعد ذلك بقرون ثبت بطلان هذه النظرية، الأمر الذي أدّى بالبعض إلى الظن بأن علم الهيئة الحديث (الذي صدع به كوبرنيكوس) يتعارض مع القرآن[1].

٢ ـ إن التفسير العلمي يفضي في الكثير من الموارد إلى التفسير بالرأي، وذلك لأن الذين يسعون إلى تفسير القرآن على أساس العلوم التجريبية يسقطون في هذا الفخ للأسباب الآتية:

أ ـ إن بعض الأفراد ليس لديهم التخصص الكافي في القرآن والتفسير، ويقومون بممارسة عملية التفسير العلمي للقرآن دون أن يتحلوا بالشرائط التي يجب أن تتوفر لدى المفسّر، فيكون هذا واحداً من أسباب سقوطهم في فخ التفسير بالرأي.

ب ـ قد يعمد بعض المغرضين إلى توظيف الآيات الناظرة إلى مختلف العلوم، فيسعون إلى إثبات نظرياتهم من خلالها، وأحياناً تكون هذه النظريات منحرفة، وقد تكون إلحادية أيضاً. إلا أنهم يقومون بتنظيم أفكارهم هذه من خلال توظيف التفسير العلمي للقرآن، الأمر الذي يؤدّي إلى تحميل آرائهم على

---

١ – انظر: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج٢، ص٤٩١ ـ ٤٩٤.

القرآن، وهذا من أبرز المصاديق على تفسير القرآن بالرأي. من باب المثال: هناك من حاول ربط الحقائق الغيبية وما وراء الطبيعية في القرآن بالأمور المحسوسة والملموسة، وقد ذهب بهم الأمر إلى حدّ القول بأن مراد القرآن من الملائكة هي المكروبات التي تقبض روح الإنسان[١]. وفي موضع آخر تمّ حمل قابيل وهابيل على المجتمع الطبقي واللاطبقي، أو المجتمع الفلاحي والإقطاعي؛ ليكون ذلك مطابقاً لمراحل التكامل الاجتماعي في المذهب الماركسي[٢].

ج ـ هناك من الأفراد من يروم استخراج جميع العلوم من القرآن (كما تقدّم بشأن أبي حامد الغزالي)، ويعمدون في هذا السياق إلى تطبيق كل مسألة علمية على القرآن، وقد يبلغ ذلك أحياناً حدّ التحميل، الأمر الذي يؤدّي إلى التفسير بالرأي. في حين تقدّم أن ذكرنا بأن هذا الأمر باطل.

٣ـ إن التفسير العلمي للقرآن ينتهي أحياناً إلى التأويل غير الجائز. كأن يعمد بعض المفسرين في تفسيرهم العلمي للقرآن إلى تجاوز حدود ظواهر الألفاظ والآيات، ويقوم بتأويل الآيات التي تخالف النظرية أو القانون العلمي (الذي يتبناه)؛ ليتمكن من نسبة تلك النظرية إلى القرآن[٣]. وبعبارة أخرى: يتمّ حمل النظريات غير الثابتة على القرآن، وهذا نوع من التفسير بالرأي.

وقد حدث هذا النوع الغريب من التأويل فيما يتعلق بنظرية التطوّر لداروين،

---

١ – انظر: دروس سنن الكائنات، ص٤٥١، نقلاً عن: التفسير العلمي في الميزان، لأحمد عمر أبو حجر، ص٢٢٨.

٢ – انظر: ناصر مكارم الشيرازي، التفسير بالرأي، ص٧٨.

٣ – وبطبيعة الحال فإن هذا النوع من التأويلات غير الجائزة، تعتبر تحميلاً على القرآن، ونوعاً من التفسير بالرأي.

حيث قام شخص بتأليف كتاب في إثبات هذه النظرية، وأخذ يستشهد بكلّ آية توافق هذه النظرية، ثم عمد إلى الآيات المخالفة لهذه النظرية وقام بتأويلها على خلاف ظاهرها، كي يجعلها تنسجم مع نظرية التطوّر. وقام شخص آخر بتأليف كتاب في إبطال نظرية التطور، فأورد الآيات التي تخالف نظرية التطور، ثم عمد بعد ذلك إلى تأويل الآيات الموافقة لهذه النظرية[١]. وبذلك يقوم كلاهما بتفسير القرآن برأيه، ويُصرّ على ذلك أحياناً.

كما نشاهد مثالاً آخر لهذا الأمر في بحث «العرش» و«الكرسي» وتأويلهما بالفلك الثامن والتاسع. ونجد ذلك في تأويل قصّة إبراهيم عليه السلام، وموت وحياة المجتمعات في تفسير المنار على ما تقدّم[٢]. وربما كان مراد العلامة الطباطبائي من تسمية هذا النوع من التفسير بـ«التطبيق»، هو هذا النوع من التحميل والتأويل للآيات[٣].

٤ ـ إن الاستغراق في التفسير العلمي، من خلال ذكر الكثير من المسائل العلمية والتركيز عليها في تضاعيف التفسير، يُخرج القرآن عن موضوعه الرئيس الذي هو عبارة عن تربية الإنسان وتزكيته وهدايته. كما نرى ذلك في بعض التفاسير المعاصرة، من قبيل: «الجواهر في تفسير القرآن»، للطنطاوي. وعليه ينبغي تجنّب التفسير العلمي للقرآن، والاقتصار على الغايات الرئيسة والأهداف الأساسية للقرآن عند تفسيره.

---

١ – لمزيد من الاطلاع، انظر: مسيح مهاجري، نظريه تكامل از ديدگاه قرآن (نظرية التطوّر في القرآن)؛ علي مشكيني، تكامل در قرآن (التطوّر في القرآن)؛ يد الله سحابي، خلقت انسان در بيان قرآن (خلق الإنسان في كلام القرآن).

٢ – انظر: مبحث الآراء في هذا الكتاب، نظرية ابن سينا، والعلامة المجلسي، ورشيد رضا في المنار.

٣ – انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٦.

وبعبارة أخرى: إن التفسير العلمي يوجب سوء الفهم، والابتعاد عن ذات القرآن ووظيفته (لأن ذكر المسائل والأمور العلمية في القرآن، يُبعد الإنسان عن الهدف الرئيس الذي ينشده القرآن في إطار التربية والهداية)، ويذهب التصوّر بالقارئ إلى أن القرآن إنما نزل لغرض بيان المسائل العلمية فقط[١].

٥ ـ إن التفسير العلمي يؤدّي إلى تحوّل الحقائق القرآنية إلى مجازات، الأمر الذي يخلّ ببلاغته، أي أنه يفقده مفاهيمه ومعانيه، (ويفضي إلى عدم تفسير القرآن على أساس لغة العرب في صدر الإسلام)، وعليه لا يكون التفسير العلمي صحيحاً. وقد قال الدكتور الذهبي في هذا الشأن:

«من الناحية اللغوية لا يمكن للتفسير العلمي أن يكون معقولاً؛ وذلك لأن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنى واحد من لدن استعمالها إلى اليوم. بل تدرّجت حياة الألفاظ وتدرّجت دلالتها، فكان للكثير من الألفاظ دلالات مختلفة ... نستطيع أن نقطع بأن بعض المعاني للكلمة حادث باصطلاح أرباب العلوم والفنون. فهناك معان لغوية، وهناك معان شرعية، وهناك معان عرفية. وهذه المعاني كلها تقوم بلفظ واحد، بعضها عرفه العرب وقت نزول القرآن، وبعضها لا علم للعرب به وقت نزول القرآن، نظراً لحدوثه وطروّه على اللفظ. فهل يُعقل بعد ذلك أن نتوسّع هذا التوسّع العجيب في فهم ألفاظ القرآن، وجعلها تدلّ على معان جدّت باصطلاح حادث، ولم تعرف للعرب الذين نزل القرآن عليهم؟ وهل يعقل أن الله تعالى إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية، هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال؟! ... أعتقد أن هذا أمر لا يعقله إلا من سفه نفسه وأنكر عقله»[٢].

---

١ – انظر: تفسير في ظلال القرآن، ج١، ص٢٦١ ـ ٢٦٣ (بتصرّف).

٢ – محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج٢، ص٣٣٢ (بتصرّف).

أجل، إن التفسير العلمي يؤدّي إلى الإخلال ببلاغة القرآن؛ لأن البلاغة عبارة عن: (مطابقة الكلام لمقتضى الحال). في حين أننا طبقاً للتفسير العلمي، يجب أن نقول: إن المعاني والمفاهيم التي أرادها الله من ألفاظ القرآن، لا يستطيع العرب فهمها. وهذا يعني سلب واحدة من أهم خصائص القرآن، وهي (البلاغة ومراعات حال المخاطب)[1].

وبطبيعة الحال كما تقدّم أن ذكرنا في معرض بيان آراء الموافقين والقائلين بالتفصيل العلمي، فإن من الممكن الحيلولة دون هذه الآفات؛ لأن أكثر الإشكالات ترد على نوعين من التفسير العلمي، وهما: «استخراج العلوم من القرآن»، و«تحميل النظريات العلمية على القرآن». وعليه فإن مفسّر القرآن إذا اقتصر في تفسيره على توظيف العلوم التجريبية القطعية في فهم القرآن، سوف تنتفي أكثر تلك الإشكالات والآفات. وكما تقدّم أن ذكرنا فإن للتفسير العلمي أسساً ومعايير يجب على المفسّر مراعاتها، وإذا تمّ تفسير القرآن على أساسها فإن البعض الآخر من الآفات سيرتفع بدوره أيضاً.

وبعبارة أخرى: إن توظيف العلوم التجريبية القطعية، يعمل على إزالة الآفة الأولى. وإن التفسير العلمي من قبل المفسّر الذي يتحلى بالشرائط والصفات المؤهّلة للتفسير، وتوظيفه للنوع الصحيح من التفسير العلمي، يرفع الآفة الثانية والثالثة. وإن رعاية الاعتدال في توظيف منهج التفسير العلمي، يرفع الآفة الرابعة.

وبطبيعة الحال فإن سوء توظيف الأساليب التفسيرية، أو إفراط وتفريط بعض المفسرين فيما يتعلق بأسلوب تفسيري خاص، لا يقتصر على التفسير

---

١ - انظر: مبحث الآراء في هذا الكتاب، نظرية ابن سينا، والعلامة المجلسي، ورشيد رضا في المنار.

العلمي فقط. بل إن هذه الآفة موجودة بشكل وآخر في سائر الأساليب التفسيرية الأخرى أيضاً. ومن خلال رعاية الاعتدال وضوابط وشرائط التفسير والمفسّر، يمكن رفع الإشكال أو التقليل من وطأته.

وعلى كلّ حال، فإن التفسير العلمي لا يخالف بلاغة القرآن، ولا يؤدّي إلى المجاز؛ وذلك لأن القرآن لم ينزل لزمن خاص أو مجتمع بعينه، وإن الألفاظ والمفاهيم القرآنية تتجدّد في كل عصر، وتكون لها مصاديق جديدة، من قبيل: مفردة «العَمَد» في قوله تعالى ﴿**رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[1] التي تعني ما يقوم عليه السقف، ويكون لها في كل عصر مصداق مختلف، مثل: عمود الخيمة، والأعمدة الفولاذية، والقوى التي تكون بمثابة الأعمدة، من قبيل: قوى الجاذبية وما إلى ذلك. وعليه فإن العثور على مصاديق جديدة لمفاهيم القرآن، يشكّل دليلاً على عظمة القرآن وذروة بلاغته، ويثبت أنه ليس حبيس فترته الزمنية. نعم قد يقوم البعض بحمل ما يخالف المعنى اللغوي على القرآن الكريم، وهذا هو المخالف لبلاغة القرآن ولغته.

خلاصة واستنتاج

اتضح من مجموع ما تقدّم أن التفسير العلمي هو أسلوب من أساليب تفسير القرآن، وأن من الضروري توظيفه من أجل فهم وتفسير الآيات العلمية للقرآن. وأن لهذا الأسلوب التفسيري أنواعاً متعددة، منها ما لا يصح، من قبيل: استخراج العلوم من القرآن، وتحميل النظريات العلمية على القرآن؛ لأن ذلك ينتهي إلى التفسير بالرأي، وهناك نوع صحيح، وهو المتمثل بتوظيف العلوم في فهم وتفسير

---

١ - الرعد: ٢.

القرآن. واتضح أيضاً أن التفسير العلمي يشتمل على مزايا خاصّة، من قبيل: فهم الآيات العلمية بشكل أفضل، وإثبات الإعجاز العلمي. ولكنه يحتوي أيضاً على بعض الآفات. بيد أننا إذا التزمنا بمراعات تلك المعايير، وعملنا على توظيف النوع الصحيح من التفسير العلمي (أي: توظيف العلوم التجريبية القطعية في فهم القرآن)، فإن أغلب تلك الآفات سوف ترتفع وتزول.

الفصل الثالث

القرآن والعلوم الإنسانية

المقدمة:

نزل القرآن الكريم لهداية الناس إلى السعادة والكمال المطلق، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وإن هذه الهداية تشمل جميع الأبعاد الوجودية للإنسان ـ الأعم من الأبعاد الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإدارية والنفسية والحقوقية وما إلى ذلك ـ وعليه فإن هذه الأبعاد الوجودية تشكل من جهة موضوعات للهداية القرآنية، كما تشكل موضوعات للعلوم القرآنية من جهة أخرى. وعليه هناك ارتباط وثيق بين هدف القرآن (المتمثل بالهداية) وبين العلوم الإنسانية، بمعنى أن الموضوع في كلا الحالتين هو الأبعاد الوجودية للإنسان.

أجل إن العلوم الإنسانية تدّعي هداية الإنسان في الأبعاد الوجودية المتقدمة، كما يتولى القرآن الكريم قيادة الإنسان في هذه الأبعاد أيضاً. من هنا فإن العلاقة القائمة بين القرآن والعلوم الإنسانية هي علاقة متبادلة، بمعنى أن القرآن مؤثر في العلوم الإنسانية من جهة، كما يمكن للعلوم الإنسانية أن تخدم القرآن من جهة أخرى.

إن التعرف على هذه العلاقة المتبادلة يحظى بأهمية كبيرة في العصر الراهن؛ وذلك لأن مصير الثقافة البشرية رهن بالعلوم الإنسانية، وإن هذه العلوم تقوم في الغرب على أسس وأهداف خاصة قد تنسجم أحياناً مع التعاليم القرآنية، وقد لا تنسجم معها في بعض الأحيان الأخرى، وعليه فإن مصير الإنسان وسعادته في القرن الحادي والعشرين رهن بإيجاد الحلول

---

١ - البقرة: ٢.

الصحيحة لهذه العلاقة الثنائية.

رغم أن مشكلة العلوم الإنسانية المنبثقة عن الثقافة الغربية هي مشكلة تعاني منها جميع البلدان الشرقية، بيد أن هذه المشكلة تبدو أشدّ وطأة على المسلمين من بين الشعوب الشرقية، وذلك لأن الكثير من أسس وأهداف وأساليب العلوم الإنسانية الحديثة تعارض الثقافة والعقيدة الإسلامية. ويُعدّ القرآن الكريم في هذه المعمعة أفضل كتاب يمكنه أن يكون مصدراً لحل هذه المشكلة؛ لأنه صادر عن الخالق الحكيم والعليم والمحيط بجميع أبعاد الإنسان الوجودية، وهو يحتوي على جميع الحلول الجوهرية والحكيمة التي يمكن لها أن تغطي كافة هذه المجالات.

من هنا يجب دراسة حقيقة وماهية هذه العلاقة من أجل تقديم الحلول الناجعة والكفيلة بهداية الإنسان والأخذ بيده إلى حيث السعادة المنشودة.

١ـ مفهوم العلوم الإنسانية

إن المراد من العلوم الإنسانية (Humanities Sciences) هي العلوم التي شكل الإنسان موضوعاً لها، من قبيل: علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الإدارة، وعلم السياسة وما إلى ذلك. في قبال العلوم الطبيعية (Natural Sciences) التي تشكل الطبيعة موضوعاً لها، من قبيل: علم الأحياء والجغرافيا والفلك وما إلى ذلك.

وعلى الرغم من أن كلا هذين العلمين يندرج في تقسيم آخر ضمن مجموعة العلوم التجريبية التي هي بدورها متفرّعة عن العلوم البشرية، من قبيل: (العلوم التجريبية، والعلوم العقلية، والعلوم النقلية، والعلوم الشهودية)، إلا أن هناك بطبيعة الحال فيما يتعلق بتقسيم العلوم وتعريف كل واحد فيها وبيان

ماهيتها وأساليب تكوينها، نظريات علمية كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا[١].

٢ـ الجذور التاريخية لعلاقة القرآن بالعلوم الإنسانية

تعود جذور العلاقة بين القرآن والعلوم إلى ما يقرب من ألف سنة، وكان يعبّر عن هذه العلاقة بالتفسير العلمي. بيد أن الغالب في هذه العلاقة كان يعود إلى العلوم الطبيعية[٢].

كان عدد من يعرفون القراءة والكتابة في المجتمع الجاهلي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لا يتجاوز العشرين شخصاً[٣]. ولكن هذا المجتمع الأمي سرعان ما تحوّل في ظل تعاليم القرآن والإسلام إلى أمة حضارية كبرى بحيث تمكن المسلمون في القرن الهجري الثاني من التقدّم في الكثير من العلوم، وقد أهدى هارون الرشيد لملك فرنسا شارلمان ساعة ذات جرس، فأدرجت في القارّة الأوروبية في عداد عجائب الدنيا السبع[٤].

يقول الدكتور علي أكبر ولايتي في بحثه حول تقدّم العلوم والحضارة الإسلامية:

«بدأ المسار الحضاري وبلورة العلوم الإسلامية من خلال التمحور حول

---

١ – انظر: كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي في القرآن)، ص٢٠٠؛ وكذلك انظر: كارل بوبر، حدس ها وابطال ها وكتاب منطق اكتشافات (الحدس والإبطال وكتاب منطق الاكتشافات)، نقله إلى اللغة الفارسية: أحمد آرام.

٢ – انظر: المصدر أعلاه، لكاتب السطور؛ وسير تطور تفسير علمي، د. ناصر رفيعي؛ التفسير العلمي في الميزان، د. عمر أبو حجر.

٣ – كان هناك سبعة عشر رجلاً وبضعة نساء هم مجموع القارئين في شبه الجزيرة العربية، (انظر: فتوح البلدان، البلاذري، باهتمام صلاح الدين المنجد، ج٣، ص٥٨٠).

٤ – تاريخ علوم (تاريخ العلوم)، بيير روسو، ص١١٧، أمير كبير.

القرآن الكريم، وحُسن توظيف العلوم والمعارف المنقولة عن (اليونان، وإيران، والهند، و...). وقد كانت بداية ذلك منذ نهاية القرن الهجري الثاني وتمام القرن الثالث، وبلغ ذروته في القرنين الخامس والسادس للهجرة. فإن علم الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والطب مثلاً، قد بلغ الذروة في هذه الفترة الزمنية. وبالتدريج ظهرت الفروع الأخرى عن هذه الحضارة، من قبيل: الأدب والفن والعرفان وما إلى ذلك»[١].

كما أكد بعض الباحثين في مجال تاريخ العلوم الإسلامية على الدوافع التي قام بها القرآن في جذب وتنمية العلوم بين المسلمين، وقال:

«اتجه اهتمام المسلمين شيئاً فشيئاً إلى العلوم والصناعات التي كانت حتى ذلك الحين حكراً على الحضارات غير المسلمة، الأمر الذي أدّى إلى تنمية وتسهيل سبل حياتهم المادية. حيث أنهم بعد أن بلغوا ـ بفضل تعاليم الإسلام والاستفادة من العلوم التي جاء بها القرآن الكريم ـ مستوىً متقدّماً من الكمال من الناحية الفكرية، وجدوا في أنفسهم عطشاً كبيراً إلى مختلف العلوم الموجودة عند سائر الأمم والحضارات العالمية. وكان المصدر الرئيس الذي زرع هذه الرغبة إلى العلم في نفوس المسلمين، هو القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الكثيرة التي حثّت المؤمنين على طلب العلم والإبداع في مختلف الفنون»[٢].

وفي العقود الأخيرة برزت العلاقة المتبادلة بين القرآن والعلوم الإنسانية بشكل

---

١ - انظر: ولايتي، علي أكبر، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٢٥ (باختصار).
٢ - ولايتي، علي أكبر، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٩٣.

واضح، وظهرت كتب منفردة في حقل الاقتصاد والسياسة والإدارة وما إلى ذلك[١]. ولكنها قلما تعرّضت للمسائل النظرية للقرآن والعلوم الإنسانية. رغم أن المجلات والمقالات التي كُتبت في العقد الأخير، قد تعرّضت لهذه المسائل بشكل خاص، وطرحت دراسات وتفاسير وسيطة بين مختلف الحقول فيما يتعلق بالقرآن والعلوم، من قبيل: التفسير التربوي في القرآن وما إلى ذلك[٢]. وكتبت مؤخراً كتب منفردة في الإعجاز في حقل العلوم الإنسانية، من قبيل: الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، للدكتور مصطفى رجبي، والإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم، للدكتور يونس رفيق.

٣ـ أثر القرآن في العلوم الإنسانية

هناك تأثير واضح من قبل القرآن الكريم في نشوء وتطوير وتعميق العلاقة بين العلوم الإنسانية وبين آياته العلمية على مر العصور، وقد أشرنا إلى مدى تأثيره في الحقول الإنسانية من خلال استعراض تاريخ العلاقة بين القرآن والعلوم الإنسانية، وقد اتضح لنا عمق تأثيره فيها،يقول الدكتور علي ولايتي بشأن تأثير القرآن في صنع الحضارة:

«إن من بين الخصائص التي يمكنها التأثير في مسار ظهور الحضارات، هي مسألة الاتحاد الذي حظي باهتمام الإسلام منذ البداية. وقد أمر القرآن

---

١ – انظر: مديريت از منظر قرآن وسنت (الإدارة من زاوية القرآن والسنة)، السيد قوام الدين صمصامي؛ قرآن وسياست (القرآن والسياسة)، قاضي زاده؛ آيات اقتصادي قرآن (آيات القرآن الاقتصادية)؛ وكذلك: كتب القرآن والاقتصاد، والسياسة وما إلى ذلك، الصادرة عن مركز پژوهشهاي حوزه ودانشگاه.

٢ – انظر: مجلة تخصصي قرآن وعلم (العدد: ١ ـ ٥) الصادرة عن مركز تحقيقات المهدي للدراسات القرآنية، ومجلة الدراسات الوسيطة للقرآن والعلوم، الصادرة عن الجهاد الجامعي.

الكريم المسلمين بالاتحاد فيما بينهم، معتبراً الاعتقاد بـ «التوحيد» محوراً لتوحيد المجتمع الإسلامي[١]. وإن ذات الباري تعالى هي مركز الثقل في هذه المسألة»[٢].

كما أشار الدكتور عبد الحسين زرّين كوب إلى الدور التوحيدي الذي لعبه القرآن الكريم في تطوير العلوم والحضارة الإسلامية أيضاً، وقال في إطار طرحه لمسألة «الوطنية العالمية» في الإسلام:

«في مثل هذا العالم (صدر الإسلام) الذي كان حبيس العصبية الوثنية والقبلية، نفخ الإسلام روحاً جديدة في جسد الإنسانية المتهالك. حتى أن تأسيس «دار الإسلام» الذي مثل «القرآن الكريم» عاصمتها الحقيقية ـ دون الشام والعراق ـ قد عالج العصبيات القومية والعرقية وقضى عليها، واستبدلها بنوع من «المواطنة العالمية». وفي مواجهة العصبية الدينية لدى النصارى والمجوس، نصح بانتهاج سياسة التسامح مع أهل الكتاب، وشجّع على طلب العلم وممارسة الحياة ...»[٣].

كما أن المجتمع الإسلامي الوريث لهذه الحضارة الكبرى التي استوعبت (الشرق والغرب) كان مجتمعاً متجانساً عاصمته القرآن، وليس الشام أو العراق. وعلى الرغم من الخلافات التي نشبت بين مختلف القادة والزعماء على مرّ العصور، كان هناك على الدوام دستور ثابت يحكم الجميع، ألا وهو القرآن الذي لم تحدّه حدود، ولم يعترف بعرق دون عرق، ولم يوجد في قاموسه شرقي ولا غربي. وكان

---

١ - قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾، آل عمران: ١٠٣.
٢ - ولايتي، علي أكبر، المصدر السابق، ص٣٦.
٣ - زرين كوب، عبد الحسين، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٢٢.

الذي يحكم مصر شخصا من خراسان، والذي يحكم الهند شخصا تركيا[١].

وأكد أيضاً بأن: (الإسلام والقرآن) من خلال حثّ المسلمين على «انتهاج الوسطية»[٢]، قد ساعدا على التنمية والتكامل الصناعي، الأمر الذي ساعد على تطوير العلوم البشرية[٣].

كما أنه يفرّق بين دوافع المسلمين وغيرهم فيما يتعلق بطلب العلم، ويشير إلى دور القرآن في هذا المجال، ويقول:

«في مصر وبابل كان تطوّر علم الحساب والفلك يأتي في سياق إشباع الحاجة المعيشية في الحياة، من قبيل: التجارة والزراعة، في حين أن الاتجاه اليوناني والإغريقي في العلم والفلسفة كان نقياً في الغالب، وكان يهدف إلى إشباع الحاجة النفسية إلى المعرفة، ... أما بين المسلمين فقد كان السبب الرئيس فيما يسمى بالمعجزة الإسلامية (القفزة العلمية لدى المسلمين)، هو حبّ المعرفة والاستطلاع الذي دعا إليه القرآن الكريم والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله»[٤].

أجل، إن القرآن الكريم لم يلعب دوراً محورياً في تأسيس وتطوير بعض العلوم لدى المسلمين فحسب، بل لعب دوراً بناءً في خلق بيئة صالحة لترجمة ونقل العلوم من غير المسلمين أيضاً.

كان من بين الأمور التي قدّمها القرآن لعلوم المسلمين، الكثير من العلوم

---

١ - انظر: المصدر أعلاه، ص٢٩ ـ ٣٠.

٢ - قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾، البقرة: ١٤٣.

٣ - انظر: زرين كوب، عبد الحسين، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٣٠.

٤ - المصدر أعلاه، ص٣٥.

التي تمثل مقدمة لفهم وتفسير القرآن الكريم، أو كان من الضروري استيعابها لتطبيق أحكام القرآن. من هنا اتجه المسلمون إلى دراسة تلك العلوم، وتمّ إعداد الأرضية المناسبة لتعرّف المسلمين على العلوم البشرية وترجمة وتطوير هذه العلوم بين المسلمين. وقال الدكتور زرّين كوب في هذا الشأن:

«صحيح أن العلم الذي تمّت الدعوة إليه في بداية الأمر كان عبارة عن معرفة الدين والقرآن، بيد أنه شمل بعد ذلك جميع الأمور الأخرى؛ بسبب الضرورة التي كان يستشعرها المسلمون بين حين وآخر من أجل فهم وتفسير القرآن وتعاليم الإسلام ومناسكه، وخاصة فيما يتعلق بعلم الأبدان (الطب) وفروعه ومقدماته أيضاً، حيث حظيت باهتمام خاص من قبل المسلمين»[١].

وأضاف «هناك إشارات في القرآن الكريم إلى حركة الشمس والقمر وعدد السنين والحساب»، من هنا لم يتمّ اعتبار علم الحساب والفلك أمراً مذموماً، بل إن أحكام الفلك والتنجيم الذي كان يعتبر من الأمور غير المجدية، والتي تعتبر مذمومة لأنها لا تؤدي لغير إتلاف الوقت والعمر[٢]، وكذلك الشعر والتاريخ وعلم الأنساب حيث لا تؤدي إلا إلى العبث والفساد، لم تكن مذمومة ولا واجبة، ... ومع ذلك أضحت هذه العلوم ـ فيما بعد ـ بسبب الفائدة المترتبة عليها في فهم وتفسير القرآن والحديث أموراً مرغوبة، وأصبح الأدب وعلم التاريخ والأنساب من العلوم المطلوبة أيضاً[٣].

لقد أثّر القرآن الكريم أو بإمكانه أن يؤثّر في العلوم الإنسانية ضمن عدّة

---

١ – عبد الحسين زرين كوب، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٢٦ ـ ٢٧.

٢ – انظر: المصدر السابق، ص٢٧.

٣ – انظر: المصدر السابق، ص٢٨.

حقول وعلى مختلف الأنحاء، من قبيل:

أ ـ توسيع نطاق بعض العلوم الإنسانية:

من خلال الرؤية التاريخية يتضح أن بعض العلوم الإنسانية قد تأثر بعضها بالقرآن بشكل مباشر وبعضها الآخر بشكل غير مباشر. وقد أكد العلامة الطباطبائي رحمه الله على هذا الدور، وأورد بحوثاً تفصيلية بهذا الشأن في كتابه «القرآن في الإسلام»، فإنه بعد أن أشار إلى تعظيم القرآن للعلم والدعوة إلى تحصيله[1]، ذكّر بدوره المحوري في اجتذاب العلوم وتطويرها، وقال: «يمكن القول بصراحة إن القرآن هو الدافع الأول لاشتغال المسلمين بالعلوم العقلية من طبيعية ورياضية بشكل نقل من اللغات الأخرى في البداية، ثمّ استقلال وابتكار في مسائلها»[2]. من قبيل:

١ ـ تأثير القرآن في تأسيس وتطوير بعض العلوم بشكل مباشر:

إن لدى المسلمين علوماً يشكل القرآن الكريم موضوعاً لها، بمعنى أنها ظهرت بعد نزول القرآن، والارتباط به مباشرة، ثمّ اتسعت رقعتها بالتدريج وأضحت علماً مستقلاً. وهي تعنى بألفاظ القرآن أحياناً، وبمفاهيمه وتعاليمه أحياناً أخرى[3]. من قبيل:

أ ـ علم تجويد القرآن: حيث يُعنى بكيفية تلفظ الحروف وحالاتها وقواعدها.

---

١ ـ العلامة محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، تعريب: السيد أحمد الحسيني، ص١١٩ ـ ١٢٣، مكتبة فدك، ط ١، قم، ٢٠٠٤.

٢ ـ المصدر أعلاه، ص١٢٥.

٣ ـ انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص٩٥ ـ ٩٦.

ب ـ علم القراءات: وهو علم يُعنى بضبط القراءات السبع (أو الإحدى عشرة، أو الأربع عشرة)، مع بيان تاريخها وأدلتها وأصحابها.

ج ـ علم رسم الخط القرآني: وهو يعنى بقواعد الخط العربي بشكل عام، والخط القرآني بشكل خاص، وأنواع الخط (النسخ والكوفي وغيرهما)، وبيان خصائصها.

د ـ علوم القرآن: ويعنى بالمعلومات المتعلقة بالقرآن في حقل المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والتأويل، والباطن والظاهر وما إلى ذلك.

هـ ـ فقه القرآن: وهو علم يبحث في مسائل آيات الأحكام وأدلتها، والآراء الواردة فيها.

و ـ علم التفسير: وهو علم يُعنى ببيان معاني ومقاصد آيات القرآن، وهو على نحوين: التفسير الترتيبي، والتفسير الموضوعي. وطوال تاريخ الإسلام تمّ تأليف آلاف الكتب في هذا المجال.

ز ـ علم الحديث: لقد عرّف القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وآله بوصفه مبيّناً ومفسّراً للقرآن؛ إذ قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[1]. وعليه فإن سنّته تلعب دور المفسّر للقرآن الكريم. ومن هنا تمّ التأسيس للأحاديث التفسيرية، وتمّ تأليف عشرات الكتب في حقل التفسير الروائي، وهي تشتمل على روايات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام[2].

---

١ – النحل: ٤٤.

٢ – من قبيل: تفسير العياشي، وتفسير نور الثقلين، وتفسير البرهان، وتفسير الصافي عند الشيعة، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور عند أهل السنة.

٢ ـ تأثير القرآن في تأسيس وتطوير بعض العلوم بشكل غير مباشر:

ثمّة علوم ظهرت بين المسلمين إثر حثّ القرآن لهم على طلب العلم، أو خدمة لعلوم المجموعة الأولى (مثل التفسير)، حتى تطوّرت بالتدريج وأصبحت علوماً مستقلة، وتمّ تصنيف الكثير من الكتب في موضوعها على مرّ التاريخ الإسلامي، ومن بينها:

أ ـ علم الدراية: وهو علم يُعنى ببيان المصطلحات المتعلقة بالحديث وتطوّر هذه المصطلحات.

ب ـ علم الرجال: وهو علم يبحث في بيان حالات الرواة وسند الروايات[1].

ج ـ علم الكلام: وهو علم يبحث في المسائل الاعتقادية، ويتصدّى للدفاع عنها، وقد كان في بداية أمره عبارة عن بحث في آيات وروايات العقيدة الإسلامية، حتى تحوّل بالتدريج إلى علم مستقل منسجم الفروع والتشقيقات.

د ـ علم الفقه: وهو علم يسعى إلى استنباط الأحكام والقوانين الشرعية من آيات الأحكام والأحاديث الفقهية، حتى استقل بالتدريج، واتسعت رقعته في العالم الإسلامي.

هـ ـ علم أصول الفقه: وهو علم يبحث في القواعد المرتبطة بالاستنباط من القرآن الكريم والسنة الشريفة. وهو في حقيقته يمثل منطق فهم القرآن والسنة. ولكنه في الواقع مقدمة لعلم التفسير والحديث أيضاً. وقد تحوّل هذا العلم ـ على مرّ العصور ـ إلى أحد أكثر علوم المسلمين تطوّراً.

و ـ علوم الأدب العربي: وهي تشمل علم النحو والصرف والاشتقاق

---

١ ـ انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الإسلام في القرآن، ص٧ ـ ٩٦.

والمعاني واللغة والأشباه والنظائر. وقد تمّ التأسيس لهذه العلوم من أجل فهم آيات القرآن وضبطها بشكل أفضل، ومن أجل نطق الآيات بشكل صحيح أيضاً[١]. ولكن حيث ترتبت فوائد جمّة على هذه العلوم بالنسبة إلى سائر العلوم الأخرى، فقد أضحت مقدمة لفهم وتلفظ كل أنواع النصوص، ثمّ تحولت بالتدريج إلى علوم مستقلة، وأضحت تراثاً قيّماً للشعوب العربية. وقد بادر العلماء والمتخصصون إلى تأليف الكثير من الكتب في هذا المجال. وقد تركت هذه العلوم تأثيراتها الإيجابية حتى على الأدب الفارسي والتركي وغيرهما أيضاً[٢].

زـ علم التاريخ: وقد بدأ هذا العلم في الإسلام من «قصص القرآن»، والأنبياء عليهم السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأحاديث. ثمّ ظهر على شكل تاريخ ما قبل الإسلام وما بعده، وتاريخ العالم. وقد عمد المؤرخون الكبار إلى تأليف الكتب التاريخية[٣].

٣ـ العلوم التي ساعد القرآن على تأسيسها وتطويرها:

يتمّ التأسيس لبعض العلوم في ثقافات وحضارات الشعوب المختلفة، وتنتقل أحياناً من شعب إلى شعب آخر، وتتكامل على هذه الشاكلة.

ولم يكن المسلمون استثناءً من هذه القاعدة، فقد ترجموا بعض العلوم بعد أن أخذوها من اليونان وإيران والهند، وعملوا على توسيعها وتعميقها[٤]، من قبيل:

---

١ – انظر: السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ترجمه إلى الفارسية: السيد محمد مختاري تحت عنوان (شيعه پايه گذار علوم اسلامي).

٢ – انظر: علي أكبر ولايتي، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٣٢١ فما بعد.

٣ – انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الإسلام في القرآن، ص٦ ـ ٩٥.

٤ – انظر: آلدوميه لي، علوم اسلامي ونقش آن در تحول علمي جهان (العلوم الإسلامية ودورها في التقدم العلمي في العالم)؛ علي أكبر ولايتي، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، عبد الحسين زرين كوب، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام).

أ ـ علم الفلسفة: وقد كان في بدايته علماً تمّ استيراده إلى العالم الإسلامي من اليونان، حتى إذا تمّ استيعابه واحتواؤه، أدخل عليه الكثير من الأفكار والتعاليم الإسلامية، وغدا بالإمكان الحصول على جميع مسائله ونصوصه وأدلته وبراهينه من القرآن الكريم والسنة المطهّرة[١].

ب ـ المنطق: على الرغم من أن أصل هذا العلم مأخوذ من اليونان أيضاً، ولكن بالالتفات إلى اهتمام القرآن الكريم بالبرهان والاستدلال والجدال بالتي هي أحسن[٢]، فقد اهتم المسلمون بدورهم بعلم المنطق أيضاً. وقد تطوّر هذا العلم على يد العلماء المسلمين إلى حدّ كبير، وتمّ تأليف الكثير من الكتب في هذا المجال.

ج ـ علوم الطب: ثمّة في القرآن الكريم كثير من التعاليم المرتبطة بعلم الطب. من هنا اضطرّ المفسرون وعلماء المسلمين إلى دراسة العلوم الطبية بغية فهم القرآن وتفسيره. الأمر الذي أثار فضولهم تجاه علم الطب ودعاهم إلى ترجمة الكتب اليونانية في الطب، وأضافوا إليها المزيد من تحقيقاتهم.

وإن بعض الآيات المتعلقة بعلم الطب على النحو الآتي:

أولاً: الصحة الغذائية، والدعوة إلى تناول الأطعمة الطاهرة (البقرة: ١٧٢ و٧٥، والمائدة: ٤ ـ ٥، وغيرها من الآيات)، وحرمة أكل الأطعمة غير الصحية (الأعراف: ١٧٥)، وحظر الإسراف (الأعراف: ٣١)، وحرمة أكل الميتة والدم والخنزير (الأنعام: ١٤٥، والنحل: ١١٥، وغيرها من الآيات)، وحرمة شرب الخمر

---

١ – انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الإسلام في القرآن، ص٩٧.

٢ – انظر: النحل: ١٢٥.

(البقرة: ٢١٩، والمائدة: ٩٠، ٩١).

وثانياً: النظافة الشخصية، من خلال الوضوء والغسل (المائدة: ٦، والبقرة: ٢٢٢).

وثالثاً: الصحة الجنسية، من قبيل حرمة الجماع أثناء فترة الطمث والمحيض (البقرة: ٢٢٢)، وحرمة الزنا (الإسراء: ٣٢، والفرقان: ٦٨، والنور: ٢ ـ ٣)، وحرمة اللواط والزواج المثلي (الأعراف: ٨٠ ـ ٨١، العنكبوت: ٢٨ ـ ٢٩).

ورابعاً: الصحة الروحية والنفسية، من خلال ذكر الله (الرعد: ٢٨)، والحيلولة دون اليأس والقنوط (يوسف: ٨٧)، والدعوة إلى الصبر (البقرة: ١٥٣ ـ ١٥٥، وآل عمران: ٢٠٠)، وما إلى ذلك.

وخامساً: الاستشفاء بالقرآن (الإسراء: ٨٢، ويونس: ٥٧، وفصلت: ٤٤)، وتأثير التعاليم الواردة في علاج الأمراض، كما في الاستشفاء بالعسل (النحل: ٦٨ ـ ٦٩)، والصوم (البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥).

وسادساً: بيان مراحل خلق الإنسان في الرحم، والإشارة إلى أسرار ذلك (المؤمنون: ١٢ ـ ١٣، والحج: ٥، وغافر: ٦٧ وغيرها).

لقد أدى اهتمام القرآن الكريم بعلم الطب إلى تطوّر هذا العلم بين المسلمين، وشهدت الكتب اليونانية والهندية في الطب إقبالاً من المسلمين وأخذت طريقها إلى التعريب. ومن بينها كتاب ديوسكوريدوس حول المفردات الطبيّة (Materia medica)، ورسائل روفس الأفسيسي المتعلقة بفصل الجراحة من الموسوعة اليونانية، تأليف (بولس الأجانيطي)، ومؤلفات وشروح جالينوس بشأن الطب الأبقراطي[1].

---

١ – انظر: فؤاد سزغين، تاريخ نگارش هاي عربي، پزشكي، داروسازي، جانور شناسي، دام پزشكي، ج٣، ص٨٢ـ ٤٩ و٧ ـ ٩٥ و٢٠٣ ـ ١٠٨؛ ديمتري غوتاس، تفكر يوناني فرهنگ عربي، نقله إلى الفارسية: محمد سعيد حنائي كاشاني، ص٢١٧؛ علي أكبر ولايتي، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٢١٧.

بحيث قام إسحاق بن حنين بترجمة أربعة وثلاثين مؤلفاً من مؤلفات جالينوس ونقلها إلى العربية، وألف كتباً رائعة في علم الطب، من قبيل: «كتاب المسائل في الطب للمتعلمين»، و«رسالة في طب العيون»[١].

بل ظهر في القرن الهجري الثالث نوع جديد من المؤلفات الطبية. وقد عرف هذا النوع من الكتب بـ«الطب النبوي»، وكان الهدف من تأليفها تقديم بديل عن النظام الطبي الذي كان قائماً في حينه على أسس الطبّ اليوناني.

إن مؤلفي هذا النوع من الكتب كانوا علماء دين أكثر من كونهم أطباء. وكانوا يقدّمون الأساليب الطبية في عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأساليب المذكورة في القرآن والسنة على النظريات العلاجية المقتبسة عن المجتمع اليوناني. وكانوا يمزجون بين الأسلوبين أحياناً. وإن من بين أقدم نماذج هذه المجموعة طبّ الأئمة الشيعة، الذي يعود إلى القرن الهجري الثالث[٢].

ومنذ القرن الهجري الرابع والخامس بدأ تأليف الموسوعات الطبية الشاملة باللغة العربية، من قبيل: كتاب المنصوري في الطب، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، والقانون في الطب، لابن سينا، والكثير من الكتب الأخرى غيرهما، وسلكت العلوم الطبية مسارها التكاملي في العالم الإسلامي لقرون من الزمن[٣].

---

١ - انظر: علي أكبر ولايتي، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٢١٧.

٢ - انظر: المصدر أعلاه، ص٢١٨؛ وانظر أيضاً: مختصر في الطب، طبعة ألوارث دمرالس وخيرون ايروسته، مدريد، ١٩٩٢؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي، طبعة حسن مقبولي، بيروت، ١٩١٨.

٣ - انظر: علي أكبر ولايتي، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٢١٩.

وبالتدريج تعرّضت مؤلفات جالينوس للنقد من قبل علماء المسلمين[١]، بل وانتقلت المؤلفات الشرقية في الطب إلى الغرب وتمّت ترجمتها وحظيت بإقبال واسع[٢].

د ـ علم الفلك: لقد تحدّث القرآن الكريم في الكثير من الآيات عن السماء[٣]، وعمل على إثارة انتباه الإنسان إلى التدبّر في النجوم والكواكب[٤]، ودعاه إلى التفكير في حركة الشمس ومكان استقرارها[٥]، وأشار إلى منازل القمر ومراحل انتقاله من مكان إلى آخر[٦]، ودعا الإنسان إلى التفكّر في خلق السماوات والأرض[٧]، وتحدّث أحياناً عن السماوات السبع[٨].

وكان ذلك كافياً لاستثارة فضول المسلمين نحو علم الفلك، واندفاعهم في طلب هذا العلم، ومع ذلك كانت هناك دوافع دينية أخرى من وراء إقبالهم على هذا العلم، من قبيل: تحديد القبلة للصلاة، ومعرفة بداية شهر رمضان من خلال رصد هلال ليلته الأولى من أجل الصيام، الأمر الذي لعب دوراً كبيراً في تقدّم علم الفلك عندهم.

---

١ – انظر: المصدر أعلاه، ص٢٣٥؛ عبد الحسين زرين كوب، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٥٢ ـ ٥٩.

٢ – انظر: عبد الحسين زرين كوب، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٥٣؛ آلدوميه لي، علوم اسلامي ونقش آن در تحول علمي جهان (العلوم الإسلامية ودورها في التقدم العلمي في العالم)، ص٤٧٥ فما بعد.

٣ – ورد ذكر السماوات في القرآن الكريم لعشرات المرّات، انظر: البقرة: ٢٢ ـ ٢٩، و١٤٤ و...

٤ – انظر: النحل: ١٦، النجم: ١، الطارق: ٣، الأنعام: ٩٧ و...

٥ – انظر: يس: ٣٨، الرعد: ٢.

٦ – انظر: يس: ٣٩.

٧ – آل عمران: ١٩٠.

٨ – البقرة: ٢٩، الطلاق: ١٢ و...

وهناك من المنظرين من ذهب إلى اعتبار الأمور التالية عاملاً مشجعاً للمسلمين في الإقبال على علم الفلك والنجوم:

أولاً: الآيات القرآنية التي شجّعت المسلمين على التدبّر والتفكّر في خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم.

ثانياً: أهمية بعض الظواهر السماوية، من قبيل: الكسوف والخسوف، مما يستدعي وجوب بعض التكاليف والأحكام الخاصة.

ثالثاً: الدور الهام الذي يلعبه موقع القمر والشمس وبعض النجوم والأجرام السماوية في الكثير من الأحكام الدينية والشرعية، من قبيل: الصلاة، والصوم، والحج، وتحديد القبلة، وحرمة القتال في الأشهر الحُرُم[١].

ومن هنا أخذت كتب الفلك الهندية تأخذ طريقها بالتدريج إلى العالم الإسلامي من خلال نقلها من السنسكريتية إلى العربية[٢]. كما تمّت ترجمة زيج شهرياري الذي يعود إلى عصر الملك أنوشيروان إلى العربية في عهد المنصور العباسي[٣]. وأمر هارون الرشيد (م: ١٩٣ للهجرة) بترجمة كتاب «المجسطي» لبطليموس من اللغة اليونانية إلى العربية[٤].

---

١ - انظر: علي أكبر ولايتي، پوياپي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٩٦؛ وانظر أيضاً: سائر الكتب الفقهية، من قبيل: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، للنجفي، والمكاسب المحرّمة، للشيخ الأنصاري، وتحرير الوسيلة، لسماحة الإمام الخميني و...

٢ - انظر: علي أكبر ولايتي، المصدر أعلاه، ص٩٥.

٣ - انظر: المصدر أعلاه، ص٩٥؛ ديمتري غوتاس، تفكر يوناني فرهنگ عربي، نقله إلى الفارسية: محمد سعيد حنائي كاشاني، ص٣٩ ـ ٤٠.

٤ - انظر: علي أكبر ولايتي، المصدر أعلاه، ص٩٨؛ ديلسي أونز أوليري، انتقال علوم يوناني به عالم اسلامي، نقله إلى الفارسية: أحمد آرام، ص٦ ـ ٢٤٤.

وتواصلت هذه الحركة العلمية من خلال تنشيط أعمال الترجمة في عصر المأمون العباسي (١٩٨ ـ ٢١٨ للهجرة)، وبالتدريج ظهر علماء مسلمون من أمثال: محمد بن موسى الخوارزمي (م: ٢٣٤ للهجرة) الذي برع في علم الفلك والرياضيات، وعمل على تطوير هذين العلمين بين المسلمين وعلى مستوى العالم، وأبدع ثلاثة مؤلفات في علم الفلك فيما يتعلق بصورة زيج الفلكية في القرن الرابع للهجرة، وتمّ فيما بعد بناء مرصد مراغة، وتمّ تنظيم التقويم الجلالي الذي هو أدق وأنسب من التقويمات الأوروبية، وتمّ نقد آراء بطليموس وعلماء الإغريق من قبل علماء المسلمين ومن بينهم الخواجة نصير الدين الطوسي. وبدأ علماء المسلمين يتكلمون عن حركة الأرض، وبادر أبو سعيد السجزي (في نهاية القرن الرابع للهجرة) إلى صنع اسطرلاب يعمل على فرضية حركة الأرض، وقد تحدّث البيروني عن هذا الاسطرلاب، وقد أدى هذا الأمر إلى تمهيد الأرضية لطرح نظرية كوبرنيكوس وكابلر وغاليلو[١]. وهناك من لا يستبعد وصول آراء العلماء المسلمين إلى كوبرنيكوس عبر بيزنطة[٢].

كانت هذه نماذج عن تأثير القرآن الكريم في ظهور العلوم وتطويرها، وهناك عشرات الأمثلة الأخرى في هذا المجال لا يستوعبها هذا المختصر، وقد تمّت الإشارة إليها في تاريخ علم الباحثين والمحققين، ومن بينها:

تأثير القرآن في تطوير علم الجغرافيا والآثار، وعلم الأخلاق والسياسة، وتأثير القرآن في ظهور العرفان الإسلامي والأدب العربي، من قبيل: النحو

---

١ – انظر: عبد الحسين زرين كوب، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٦٨ ـ ٦٩؛ تقي زادة، تاريخ علوم در اسلام (تاريخ العلوم في الإسلام)، ص٩٩.

٢ – انظر: عبد الحسين زرين كوب، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٦٩.

والصرف والخط والإملاء، وحتى صناعة الورق والطباعة، وكذلك تطوير حتى اللغات غير العربية من قبيل: الفارسية والتركية مثلاً[١].

كما يمكن لنا حالياً ـ من خلال الاستفادة من القرآن الكريم في توجيه دفّة قواعد العلوم الإنسانية، والقيام بالتنظيرات العلمية في القرآن ـ أن نحقق تطويراً جديداً في العلوم، وأن نبدع علوماً إنسانية ـ قرآنية جديدة[٢].

ب ـ توجيه دفة قواعد العلوم الإنسانية وأهدافها

إن من بين التأثيرات التي يتركها القرآن الكريم على العلوم الإنسانية هي أنه يُحدّد لها غايات وقواعد جديدة تغيّر صورة العلم تماماً، على سبيل المثال:

١ ـ تأثير القرآن في أسس الأهداف الاقتصادية:

لقد تحدّث القرآن الكريم في بيان المقاصد الاقتصادية عن تداول الأموال بين جميع الناس، وعدم جعلها حكراً على طبقةٍ من الطبقات الاجتماعية دون أخرى، وعدم استئثار الأغنياء بها في المجتمع، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنْكُمْ ...﴾[٣]، و﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٤]، و﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٥].

---

١ ـ انظر: عبد الحسين زرين كوب، كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، ص٧٩ و٨٠ و١٣٠ و١٣١ و١٥٥ و١٥٩ و١٦٠؛ علي أكبر ولايتي، پويايي فرهنگ وتمدن اسلام وايران، ج١، ص٧٥ و٧٧ و٨٠ و٨١ و١٢٨ و٢٨١ و٢٨٢ و٢٩٧ و٣٢١.

٢ ـ سيأتي توضيح هذه المطالب في البحوث القادمة إن شاء الله تعالى.

٣ ـ الحشر: ٧.

٤ ـ المائدة: ٨.

٥ ـ الحديد: ٢٥.

وفي المباني الاقتصادية تتمّ صياغة الرؤية القرآنية الخاصة تجاه الله والكون والإنسان، الأمر الذي يترك بتأثيره وثقله على النظام الاقتصادي. فمثلاً عندما يشكل الاعتقاد بالله محوراً للقواعد الاقتصادية، ويفترض بالفرد أن يكون عبداً مطيعاً لله وفي خدمة إخوته في العقيدة ونظرائه في الإنسانية. فعندها سيتمّ توظيف الاقتصاد في خدمة الإنسان وفي إطار تقرّبه من الله سبحانه وتعالى.

وعليه لا يعود اكتناز الثروة هو الهدف من وراء النظام الاقتصادي، وإنما الهدف المنشود هو توظيف الثروة في سياق العبودية لله وبسط العدالة في المجتمع. وطبقاً لهذه الرؤية لا يحق للمسؤولين في حقل الاقتصاد والمخططين الاقتصاديين ممارسة الظلم من أجل الوصول إلى تحقيق التنمية الاقتصادية مهما كانت النتائج ظالمة ومجحفة بحق الطبقات المستضعفة والفقيرة في المجتمع. ولا يحق لهم اللجوء إلى ممارسة الاستثمار عبر الطرق غير المشروعة (من قبيل صناعة الخمور والمسكرات) من أجل التنمية الاقتصادية. وعندما تقوم الأسس والأهداف الاقتصادية على أساس الموازين القرآنية والتعاليم الشرعية، سوف نشهد تغيّراً تدريجياً في شكل النظام الاقتصادي، ويتبلور النظام الاقتصادي الجديد في الفضاء الوسيط بين القرآن وعلم الاقتصاد.

وبطبيعة الحال قد لا يحصل تغيير في علم الاقتصاد والحسابات والإحصاءات وما إلى ذلك مثلاً، لأن هذه الأمور تبقى في خدمة المذهب والنظام الاقتصادي الجديد.

تنويه: نجد القرآن الكريم ـ بالإضافة إلى رسم الأسس والغايات الاقتصادية ـ يتدخل في الموضوعات الاقتصادية أيضاً، فيحرّم الربا ويحل البيع مثلاً، إذ يقول تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾[1].

---

١ - البقرة: ٢٧٥.

إن هذا الدور الخلاق الذي يلعبه القرآن ينبثق عن تلك الأسس والأهداف الاقتصادية المرسومة في القرآن الكريم، ويلعب دوراً مؤثراً في توجيه النظام الاقتصادي في المجتمع.

٢ ـ توجيه أهداف وأسس علم الحقوق:

إن للقرآن الكريم في تقنين الأهداف قواعد معرفية ومنهجية خاصة تؤثر في بلورة النظام الحقوقي، وإن الهدف الأساسي والجوهري للقرآن هو هداية الإنسان في المسير إلى الله سبحانه وتعالى؛ إذ يقول الله في محكم كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

والهدف الآخر الذي ينشده القرآن هو بسط العدل بين الناس؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2].

من هنا فإن القرآن إذا نصّ على قانون ينظم العلاقات البشرية، فإنما يهدف من وراء ذلك إلى إقامة العدل، والعدل بدوره مقدّمة لهداية الناس وتوجيههم إلى الله سبحانه وتعالى، كي يصلوا إلى السعادة والكمال النهائي.

إن مصدر القانون والتشريع من وجهة نظر القرآن الكريم هو الله عزّ وجل، الذي يتصف بصفات من قبيل: الحكيم والعليم والمحيط بكل شيء، والذي لا يخطئ أبداً. إن الله سبحانه يبدي هذه القوانين والتشريعات من خلال الوحي إلى الأنبياء، ولا يجوز التمرّد على تلك القوانين أو تجاوزها، وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى:

---

١ - البقرة: ٢.

٢ - الحديد: ٢٥.

- ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[١].

- ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

هذا في حين أن النظام الحقوقي الروماني الجرماني يرى أن القانون هو منشأ الحقوق[٣]، والقانون إنما يضعه البشر، رغم محدوديتهم وارتكابهم للأخطاء. ومن هنا كانت القوانين الوضعية على الدوام عرضة للتغيير والتبدّل. كما يذهب نظام (القانون العرفي)[٤] إلى القول بأن منشأ الحقوق هو العرف والمنهج القضائي المرسوم من قبل القضاة، في حين أن الإشكال السابق يجري هنا أيضاً.

إن للقرآن الكريم قواعد معرفية فيما يتعلق بالكون والإنسان وله مناهج وأساليب معرفية خاصّة في المسائل والأبحاث السياسية، كما يطرح غايات خاصة في حقل السياسة أيضاً. كما في القواعد الخاصة في رسم السياسة الداخلية والخارجية، من قبيل عدم جواز سلطة الكافر على المؤمنين في السياسة، إذ يقول تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[٥].

وبطبيعة الحال فإن هذا البحث يجري أيضاً في العلوم الإنسانية الأخرى، من قبيل: علم الإدارة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع وما إلى ذلك، بيد أن هذا الكتاب لا يتسع لذكرها.

---

١ - الأنعام: ٥٧؛ يوسف: ٤٠ و٦٧.

٢ - المائدة: ٤٤.

٣ - انظر: ناصر كاتوزيان، مقدمه علم حقوق (مقدمة علم الحقوق)، ص١١٠.

٤ - common law.

٥ - النساء: ١٤١.

٣ ـ النظريات العلمية في القرآن الكريم[١]

يذكر القرآن الكريم مسائل في حقل العلوم الإنسانية لم يسبق أن ذكرت في هذه العلوم، ولذلك يمكن لها أن تطرح بوصفها نظريات قابلة للإثبات في العلوم الإنسانية. وأن تقع موضوعاً للدراسة والتحقيق، كي تتضح نتائجها الساطعة، وتأخذ بحياة الإنسان إلى السعادة، وتغيّر شكل العلوم الإنسانية، وسيأتي بيان نماذج وأمثلة لذلك في الفصل الثالث عند التعرض إلى التنظيرات القرآنية في مجال العلوم الإنسانية فلا نستعرض هذه الموارد هنا تفادياً للتكرار.

ج ـ إصلاح العلوم الإنسانية

حيث نشأت العلوم الإنسانية المعاصرة وترعرعت في أحضان الثقافة الغربية، فقد تشرّبت بقواعد وأهداف هذه الثقافة وقامت على دعائم مذاهب من قبيل: العلمانية[٢] والفلسفة الإنسانية[٣].

---

١ – لا يخفى أن التعبير بالتنظير هنا ينطوي على شيء من المسامحة؛ لأن القرآن إنما يبيّن الحقائق، وليس فيه نظريات قابلة للصواب والخطأ.

٢ – العلمانية (secularism): النزوع إلى الاهتمام بشؤون الحياة الدنيا. ويمكن القول بأنّ الحركة العلمانية بدأت في أوربا مع عصر النهضة (Renaissance). ذلك بأنّ أوربا كانت خاضعة خلال العصر الوسيط لسلطان الكنيسة الكاثوليكية التي علمت أنّ جسد الإنسان والأرض التي هي جزء منها مأخوذان بخطيئة آدم، ومن هنا فهما لا يستحقان من المسيحي الصحيح أكثر من الازدراء. فلما بزغ عصر النهضة وانهمك أهل المدن في ألوان من النشاط تبعث في ذات نفسها على الابتهاج والفتنة، وتفضي إلى مكاسب مادية ضخمة وجد هؤلاء أنفسهم في وضع يتعارض مع تعاليم الكنيسة تعارضاً كاملاً. وهكذا بدأ الانفصام بين الكنيسة وقطاعات كبيرة من أتباعها. حتى إذا حاولت الكنيسة أن تفرض وجهة نظرها على هذه القطاعات تمرّد القوم عليها ودعوا إلى الأخذ بالعلمانية وتحرير النشاطات والمؤسسات من سلطان الكنيسة ورجالها. وأياً ما كان، فإنّ العلمانية لم تتخذ شكلاً فلسفياً نظامياً إلا في منتصف القرن التاسع عشر، وعلى رأس مسلماتها حرية الفكر، وحرية كل امرئ في مناقشة جميع المسائل الجوهرية من مثل وجود الله، وخلود الروح، وأسس الالتزام الأخلاقي.

٣ – الفلسفة الإنسانية (humanism): فلسفة تؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات من طريق العقل.

وبذلك فقد قامت العلوم المعاصرة على أساس محورية الإنسان وفصل الدين عن الدنيا، وأضحت اللذة والمبالغة في النفعية من أهم أهدافها.

من هنا يجب تصحيح هذا النوع من القواعد والأهداف. كي تكون هذه العلوم في المسار الصحيح، وتأخذ بيد الإنسان إلى السعادة على أساس المصلحة والحكمة والأوامر الإلهية.

ومن الممكن أن يأتي إصلاح هذه العلوم الإنسانية في ضوء تعاليم القرآن. وطبقاً للتعاليم القرآنية فإن الدين لا ينفصل عن الدنيا، بل هو مجموعة من القرارات والإرشادات الإلهية للإنسان منذ ولادته إلى ما بعد وفاته، وإن الدنيا تمثل قنطرة للوصول إلى السعادة الأخروية، وإن اللذة والمنفعة في الدنيا لا يمكن أن تكون هي الغاية أبداً.

فإن الله سبحانه وتعالى من وجهة نظر القرآن الكريم هو محور الوجود، وهو المبدأ وهو المنتهى، قال تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1]. وعليه يجب على كافة الناس أن يطيعوا أوامره ويمتثلوا تكاليفه وأحكامه.

أجل، لو قامت قواعد العلوم الإنسانية على أساس التعاليم القرآنية، فإننا سنشهد ولادة علوم إنسانية جديدة مصطبغة بصبغة القرآن.

٤ـ أثر العلوم الإنسانية في القرآن

يشتمل القرآن الكريم على ما يربو على الألف آية من الآيات التي تتحدّث عن المسائل الطبيعية، فإن فهم وتفسير هذه الآيات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلوم التجريبية[2].

---

١ – البقرة: ١٥٦.

٢ – تقدم بعض الأمثلة على ذلك في بحث أقسام الآيات العلمية. ولمزيد من الاطلاع، انظر: در آمدي بر تفسير علمي قرآن، لكاتب السطور.

كما أننا في عملية تجاوز التحديات القائمة بين القرآن والعلم لا بدّ لنا من دراسة نظريات العلوم الانسانية. ومن هنا تبلور منهج التفسير العلمي للقرآن، وأخذ مفسرو القرآن ـ خاصة في القرن الأخير ـ يعملون على توظيف العلوم التجريبية بوصفها قرينة على فهم وتفسير الآيات القرآنية، وأثبتوا الإعجاز العلمي للقرآن من خلالها أحياناً.

إن العلوم الإنسانية تعمل على خدمة القرآن الكريم في عدّة موارد وعلى عدّة أنحاء، من قبيل:

أ ـ تأثير العلوم الإنسانية في فهم القرآن

إن تفسير القرآن كسائر العلوم الأخرى قد اتخذ مساراً تكاملياً عبر التاريخ، ولذلك فإن اتساع وتعميق العلوم الإنسانية الأخرى يُساعد على فهم وتفسير القرآن على نحو أفضل. حتى شهدنا في الآونة الأخيرة ظهور تفاسير تخصصية للقرآن في كل حقل من حقول العلوم الإنسانية، من قبيل: التفسير التربوي للقرآن، والتفسير الإداري للقرآن، والتفسير الاقتصادي للقرآن، والتفسير الحقوقي للقرآن وما إلى ذلك[1]. وبطبيعة الحال يمكن تنظيم كل واحد من هذه التفاسير من خلال ثلاثة اتجاهات أساسية، وهي عبارة عن:

١ ـ تفسير الآيات القرآنية وإيضاحها

إن بعض آيات القرآن يشتمل على مسائل وأحكام تدخل في دائرة العلوم الإنسانية، وإن فهم وتفسير هذه الآيات على نحو أفضل يفتقر إلى الاستعانة

---

١ – انظر: مجلة (قرآن وعلم) التخصصية، الأعداد: ٣ و٤ و٥ (سلسلة مقالات حول الأسس والمناهج المعرفية والتفسيرات التخصصية للقرآن والعلوم الإنسانية).

بإيضاحات العلوم الإنسانية، فعلى سبيل المثال:

لقد تحدّث القرآن الكريم عن حليّة المعاملات ورعاية العقود قائلاً: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾[١]. و﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٢].

بيد أن تحديد وإيضاح المسائل والمصاديق الجديدة للمعاملات والعقود إنما هو من صلاحيات علم الاقتصاد.

أو عندما يتحدث القرآن الكريم عن صلة الرحم، وبذل الحب والحنان والشفقة على الوالدين، واحترام العهود والمواثيق، فإننا نلتمس بيان الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على هذه الأمور من علم النفس وعلم الاجتماع، لندرك مقدار وحجم التأثير الذي تتركه هذه الأمور في مجال ضمان الصحة النفسية للفرد والمجتمع.

٢ـ استنباط النظم من القرآن الكريم

في كل واحد من فروع العلوم الإنسانية هناك مقولتان مستقلتان؛ ففي العلوم التربوية مثلاً هناك علم تربوي، وهو علم تجريبي يستند إلى الاختبار ويحتمل الصواب والخطأ، ويعتمد على الإحصاء وما إلى ذلك. وفيه كذلك نظام تربوي يشتمل على: الموضوع والمساحة والأسس والأهداف والأساليب والأصول وما إلى ذلك. وإن القرآن الكريم يتحدث عادة عن عناصر النظام والمذهب، وقلما يتعرّض إلى جزئيات وتفاصيل العلوم. وإن من بين الخدمات التي تقدّمها العلوم إلى القرآن، أنها تساعد المفسر من خلال التعرّف على أدبيات كل علم في استنباط اسم ذلك العلم من القرآن الكريم.

---

١ - البقرة: ٢٧٥.

٢ - المائدة: ١.

من باب المثال: إذا أردنا أن نستنبط النظام التربوي للقرآن الكريم، أمكن لنا ـ من خلال الاستفادة من أساليب التفسير الموضوعي ـ أن نتوصّل إلى استنباط عناصر هذا النظام من القرآن الكريم:

أ ـ المباني التربوية، الأعم من مباني المعرفة الإنسانية والكونية ومعرفة منهج القرآن الكريم في التربية.

على سبيل المثال: إن الإنسان كائن متعدد الأبعاد، فهو مركّب من جسم وروح، وهو كائن مختار، وله فطرة تبحث عن الله وعن الحقيقة وما إلى ذلك. ولكل واحد من هذه الأبعاد تأثير في صياغة شخصيته وهدايته التربوية. قال تعالى:

ـ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[١].

ـ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢].

ب ـ الأهداف التربوية: الأعم من الأهداف الوسيطة، من قبيل: العبادة والتعلم والتزكية وما إلى ذلك، والهدف النهائي المتمثل بكمال الإنسان من خلال القرب من الله ولقائه. قال تعالى:

ـ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ...﴾[٣].

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾[٤].

---

١ ـ الحجر: ٢٩.

٢ ـ الإنسان: ٣.

٣ ـ الجمعة: ٢.

٤ ـ الانشقاق: ٦.

ج ـ الأساليب التربوية، من قبيل: الإنذار والتحذير والبشارة والدعوة إلى التفكر والتعقل والتدبّر وما إلى ذلك.

د ـ أسس التربية، من قبيل التدرّج في المسائل التربوية من زاوية القرآن. وعندما تتضح هذه الأمور نصل بالتدريج إلى النظام التربوي في القرآن الكريم[١]. وهذا إنما يتمّ من خلال الاستعانة بالعلوم التربوية وعلى أساس من أدبياتها.

٣ـ الرؤية العلمية للقرآن الكريم:

يمكن لمفسّر القرآن أن ينظر إلى الآيات من زاوية حقل من حقول العلوم الإنسانية (مع رعاية الضوابط والمناهج التفسيرية المعتبرة بطبيعة الحال). فمثلاً إذا أراد شخص أن ينظر إلى الآيات القرآنية من خلال المنظار التربوي، وعمد إلى دراستها وتحليلها من خلال هذا الاتجاه، سيكون الغالب على تفسيره هو النزعة الإدارية، في حين أن ظاهر هذه الآيات هو حكاية قصص الأمم والأنبياء السابقين.

فعلى سبيل المثال نجد القرآن في معرض سرده لقصّة النبي موسى عليه السلام يعدد مطالبه الإدارية من الله سبحانه وتعالى على النحو الآتي: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾[٢].

كما أن القرآن الكريم يرى ضرورة اتصاف وزير الاقتصاد بصفتين، وهما: الأمانة والتخصص، كما ورد ذلك في قصة يوسف إذ قال تعالى: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[٣].

---

١ – انظر: حاجي ده آبادي، نظام تربيتي اسلام (النظام التربوي في الإسلام).

٢ – طه: ٢٥ ـ ٢٨.

٣ – يوسف: ٥٥.

وفي قصة طالوت وجالوت نجد القرآن الكريم يرى أن القيادة العسكرية تقوم على شرطين، وهما العلم والقوّة الجسدية، وذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[١].

وفي قصة بنات شعيب عليه السلام يرى القرآن الكريم أن المستأجر ينبغي أن يتصف بصفة القوّة والأمانة، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى حكاية عن إحدى البنتين: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[٢].

فإذا نظرنا بهذا الاتجاه إلى مجمل آيات القرآن الكريم، وعمدنا إلى استنباط النظام الإداري المرسوم من قبل الله سبحانه وتعالى، أمكن لنا الحصول على الكثير من التعاليم الإدارية من آيات القرآن الكريم[٣].

ب ـ الإعجاز العلمي للقرآن في العلوم الإنسانية

إن للإعجاز العلمي في القرآن الكريم أبعاداً كثيرة، ومن بينها: الإعجاز الأدبي والبياني (الفصاحة والبلاغة)، والإعجاز في بيان المعارف السامية، والإعجاز العلمي في حقل علم الفلك والطب والأحياء وما إلى ذلك، مما هو مذكور في محله[٤].

بيد أن الذي أخذ بالظهور في العقد الأخير في مجال إعجاز القرآن وحظي

---

١ – البقرة: ٢٤٧.

٢ – القصص: ٢٦.

٣ – انظر: صمصام الدين قوامي، مديريت از منظر قرآن وسنت (النظام الإداري من زاوية القرآن والسنة).

٤ – انظر: السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن؛ محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن؛ السيد رضا مؤدّب، إعجاز قرآن؛ محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، وغيرها.

باهتمام واسع هو الإعجاز القرآني في حقل العلوم الإنسانية، حيث تمّ تأليف الكثير من الكتب في هذا الشأن أيضاً، من قبيل:

١ ـ الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، تأليف الدكتور مصطفى رجب، انتشارات جدارا للكتاب العربي، الأردن، ٢٠٠٦م.

حيث تعرّض لبعض مصاديق الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، من قبيل: آية الرضاع وهي قوله تعالى: ﴿**لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا**﴾[١].

٢ ـ الإعجاز الاقتصادي للقرآن، تأليف الدكتور رفيق يونس المصري. حيث تعرّض لبعض مصاديق الإعجاز الاقتصادي في القرآن الكريم، من قبيل قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٢].

٣ ـ الإعجاز الاقتصادي في القرآن الكريم، تأليف الدكتور أسامة سيد عبد السميع.

٤ ـ الإعجاز القرآني في تشريع الميراث، تأليف رافع سيد العوضي.

وعلى كل حال فإن بحث الإعجاز العلمي في حقل العلوم الإنسانية، قابل للطرح من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: بيان الموضوعات العلمية التي لم يسبق لها وجود قبل نزول القرآن.

فعلى سبيل المثال، يمكن القول في مورد الإعجاز التربوي في القرآن: إن

---

١ – البقرة: ٢٣٣.

٢ – آل عمران: ١٤.

القرآن معجزة من الجهات الثلاث جميعها؛ وذلك لأن بعض الموضوعات العلمية (من قبيل الآية ٢٣٣ من سورة البقرة، وهي في موضوع الرضاع)[١]، حيث تشتمل على مسائل تربوية فيما يتعلق بحقوق الرضيع، وعدم الإضرار بالوالدين والولد وما إلى ذلك، وهي أمور لم تطرح في المجتمعات قبل نزول القرآن[٢].

الجهة الثانية: بيان النظام العلمي، الذي لم يسبق له وجود قبل نزول القرآن الكريم.

من باب المثال: يمكن لنا أن نستنبط نظاماً تربوياً خاصاً من القرآن، كما يمكن لنا أن نستنبط نظاماً اقتصادياً ونظاماً تربوياً، وإذا أجرينا مقارنة بين هذه الأنظمة المستنبطة من القرآن وبين الأنظمة الوضعية الأخرى، سيثبت أن الأنظمة القرآنية تمتاز عليها بأنها أكثر شمولية وأكمل وأجدى وأقرب إلى الفطرة الإنسانية، وعليه يثبت أن تقديم هذه الأنظمة لا يمكن أن يأتي من قبل الإنسان الذي لا يكون علمه ـ مهما بلغ من الدقة ـ إلا ناقصاً ومليئاً بالأخطاء والمتناقضات.

الجهة الثالثة: الدور المؤثر للقرآن في القفزة العلمية للمسلمين.

في الجانب العلمي مورد البحث. فعندما نزل القرآن في أجواء شبه الجزيرة العربية، لم يكن هناك من يعرف القراءة والكتابة سوى عشرين نفراً، وكان الناس في أدنى المستويات التربوية، وكانوا علاوة على ذلك منشغلين بالحروب القبلية، والعصبيات والخرافات والانحرافات العقائدية، من قبيل: عبادة الأوثان وما إلى ذلك.

---

١ – انظر: الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، تأليف الدكتور مصطفى رجب، ص ١٦٠ فما بعد.

٢ – وبطبيعة الحال فإن دعوى الإعجاز هنا أتت من قبل الدكتور مصطفى رجب، وإن كانت أدلته قابلة للبحث والنقاش.

أما القرآن الكريم فقد تمكّن من تربية هؤلاء الناس في فترة قياسية حتى أصبحوا متفوقين على غيرهم من الحضارات المعاصرة على المستوى الثقافي والعلمي والعسكري، وتغلب المسلمون في برهة قصيرة على كلتا القوتين العظميين المتمثلتين بإيران وروما.

إن دور القرآن في التحوّل التربوي لدى الناس، وتحويل عرب الجاهلية إلى وسط متعلم يعتبر من الناحية الثقافية والعلمية أمراً إعجازياً.

وهكذا يمكن قول الشيء ذاته في مورد الإعجاز الاقتصادي والحقوقي والاجتماعي والإداري والسياسي وما إلى ذلك.

٥ـ علم المنهج

إن التعاطي بين القرآن الكريم والعلوم الإنسانية ينتهي إلى نوع من التفسير الوسيط للقرآن،ويضع منهجية علمية في فهم آيات القرآن الكريم، من هنا يجدر الالتفات إلى المسائل الآتية، كي نحصل على النتائج المعتبرة في منهجية فهم القرآن:

أ ـ الاستفادة من قواعد وأساليب تفسير القرآن

في علم التفسير هناك مبان (من قبيل: سماوية النص، وعدم تحريفه، وحجّية ظواهره، وما إلى ذلك) يجب على كل مفسّر مراعاتها والتقيّد بها[1].

كما توجد هناك قواعد (من قبيل: قاعدة الجري، وتطبيق مصطلح العلم والعلمي في التفسير، وعدم جواز توظيف الإسرائيليات، ومنع التفسير بالرأي، والقواعد الأدبية العامة، وأصول الفقه، وعلوم القرآن وما إلى ذلك) مما يجب

---

١ – انظر: منطق تفسير القرآن (١)، مباني وقواعد تفسيري، محمد علي رضائي إصفهاني؛ مباني تفسير، سيد رضا مؤدب.

مراعاته على كل مفسّر[١].

كما توجد أساليب تفسيرية معتبرة (من قبيل: تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الروائي، والتفسير العقلي، والتفسير العلمي، والتفسير الإشاري (الباطني)، والتفسير الاجتهادي الجامع)، مما يمكن تفسير القرآن من خلاله[٢].

وفي التعاطي بين القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، يجب الالتفات إلى جميع هذه الأسس والقواعد والأساليب، من أجل تجنب التفسير بالرأي والأذواق الشخصية.

ب ـ رعاية الشكل الصحيح للتفسير العلمي

حيث أن التعاطي بين القرآن الكريم والعلوم الإنسانية يقع ضمن التفسير العلمي للقرآن، وينبغي التعرّف على أنواع التفسير العلمي ورعاية ملاكاته[٣] وقد أشرنا سابقاً إلى الاتجاهات في التفسير العلمي للقرآن.

ج ـ توظيف أسلوب القراءات التي تتوسط الفروع العلمية

على الرغم من أن المفسّر في بيان عملية التعاطي بين القرآن الكريم والعلوم الإنسانية يستطيع توظيف جميع أساليب التفسير التربوي (على ترتيب المصحف أو على ترتيب النزول)، والتفسير الموضوعي (من داخل القرآن، ومن خارج القرآن، والتفسير المقارن، والوسيط)[٤]. وحيث أن الأبحاث القرآنية والعلوم

---

١ – انظر: المصدر أعلاه، وانظر أيضاً: قواعد التفسير لدى الفريقين، محمد فاكر ميبدي.

٢ – انظر: منطق تفسير القرآن (٢) الأساليب والاتجاهات التفسيرية، محمد علي رضائي إصفهاني؛ روش ها وكرايش هاي تفسيري، حسين علوي مهر؛ مباني وروش هاي تفسير، عميد زنجاني.

٣ – انظر: كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي في القرآن).

٤ – انظر: منطق تفسير قرآن (٣)، محمد علي رضائي الإصفهاني، مقالة: شيوه هاي تفسير موضوعي قرآن، مجلة: پژوهشنامه قرآن وحديث، العدد: ٦، عام ٢٠٠٩م.

الإنسانية تندرج تحت الدراسات الوسيطة، من الضروري توظيف أسوب التفسير الموضوعي الوسيط بشكل واسع، وأن تتمّ مراعاة موازينه وقواعده.

ويمكن تصوّر الأبحاث الوسيطة على ثلاثة أنحاء:

١ ـ دراسة آراء العلماء والمختصين في العلوم والمفسرين للقرآن بشكل مقارن، مما تكون نتيجته تلاقح الآراء وتقريب أفكار العلماء في كلا الحقلين.

٢ ـ دراسة موضوع من زاوية القرآن وحقل خاص من حقول العلم، من قبيل: دراسة مشروعية الحكومة من زاوية القرآن والعلوم السياسية. ونتيجة ذلك بيان الآراء من قبل الطرفين، مع إمكانية القيام بدراسة مقارنة للموضوع من زاويتين.

٣ ـ دراسة موضوع علمي في القرآن، من قبيل: دراسة الأساليب التربوية من زاوية آيات القرآن، وأحياناً ينتهي هذا الأسلوب إلى التنظير العلمي في القرآن، وتوفير موضوع للعلوم الإنسانية والعمل على توجيهها.

والمراد من الأبحاث الوسيطة هنا هو الأسلوب الثاني والثالث، رغم أن الأسلوب الأول سيكون واحداً من انعكاسات هذه الأبحاث.

د ـ معايير التفسير الوسطي

إن للتفسير العلمي في القرآن أو الفهم العلمي للقرآن الكريم معايير خاصة، يؤدي عدم مراعتها إلى افتقار التفسير العلمي لقيمته، أو أنه يفضي إلى التفسير بالرأي، ومن بين تلك المعايير:

١ ـ توظيف العلوم الإنسانية الموثوقة في تفسير الآيات (والاستناد إلى الآيات المحتملة، إذا لم تكن العلوم موثوقة).

٢ ـ أن يكون المفسّر في التفسير العلمي ـ بالإضافة إلى شروط المفسّر العامة ـ محيطاً بالعلم الإنساني الذي يروم تفسير القرآن على أساسه.

٣ ـ أن تكون المسألة أو الموضوع العلمي منسجماً مع ظاهر الآية أو الآيات القرآنية.

تنويه: لا بد في التفسير العلمي ـ بطبيعة الحال ـ من رعاية القواعد والضوابط العامة للتفسير (من قبيل: الاستفادة من المناهج والمصادر والقرائن المعتبرة في التفسير والمفسّر المستكمل للشرائط وما إلى ذلك وقد اشرنا إليها في الفصل الثاني فراجع).

هـ ـ معرفة الآفات

على طول العلاقة المتبادلة بين القرآن الكريم والعلوم، حصلت حالات من الإفراط والتفريط أضرّت بالتفسير العلمي للقرآن، وهذا الكلام موجود في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على السواء. ويمكن الحدّ والحيلولة دون تداعيات ذلك من خلال رعاية الضوابط والمعايير المقررة في التفسير العلمي للقرآن الكريم[1].

١ ـ الآفات:

إن من أهم آفات التفسير العلمي للقرآن في حقل العلوم الإنسانية، ما يلي:

أ ـ السعي إلى استخراج جميع جزئيات العلوم من ظواهر القرآن الكريم، الأمر الذي ينتهي لا محالة إلى التأويلات الاعتباطية، والأفهام الذوقية.

ب ـ حمل النظريات العلمية غير القطعية على القرآن الكريم، الأمر الذي ينتهي إلى التفسير بالرأي.

ج ـ تطفل غير المختصين في هذا الحقل العلمي الوسيط، (من قبيل: تطفل

---

١ ـ انظر: كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي في القرآن)؛ وكذلك انظر لنا: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن (بحث في الإعجاز العلمي للقرآن).

الخبراء في العلوم، دون أن يكون لديهم تخصص في التفسير، أو تدخل المفسرين الذين لم يطلعوا على العلوم بشكل كامل).

٢ـ الحلول:

إن أهمّ طرق الحيلولة دون الآفات أو التغلب على هذه الإشكالات، تكمن في مراعاة قواعد وضوابط التفسير العلمي (الأبحاث الوسيطة) التي تقدم ذكرها. ومن بينها: رعاية المنهج الصحيح في التفسير، وعدم تحميل ظاهر الآية ما لا تطيق، وأن يتولى عملية التفسير العلمي مفسّر مطّلع على العلوم الإنسانية.

الفصل الرابع

التنظير العلمي في القرآن الكريم

المقدمة:

تعدّ التنظيرات العلمية من أهم المسائل في عصرنا الراهن باعتبارها ضرورية جداً لتطوير العلوم وازدهارها. ويمكن أن تنشأ النظريات من صلب العلم المنشود أو من علم آخر. بمعنى أن يعمد الباحث من خلال الاستلهام أو الحدس المنبثق عن ظاهرة طبيعية، أو من آية قرآنية إلى تقديم نظرية، ويعمل على بلورتها وصياغتها مع الالتفات إلى شواهدها وقرائنها العلمية.

وبعبارة أخرى: إن التنظير العلمي قد يكون أحياناً ذا أرومة واحدة أو عدّة أرومات. بمعنى أن النظرية العلمية تتبلور أحياناً على شكل وسيط. ومن هنا تنشأ التنظيرات العلمية في القرآن الكريم.

وفي هذا الكتاب نسعى إلى دراسة أبعاد هذه المسألة من مختلف جوانبها.

١ـ مفهوم التنظير العلمي

أ ـ النظرية

إن لدى العلماء تفسيرات مختلفة بشأن النظرية. فهناك من يقول: إن النظرية عبارة عن مجموعة من العناصر المترابطة (Constructs) والمفاهيم (Concepts) والتعريفات والقضايا التي تقدّم رؤية منهجية ومتناغمة بشأن الظواهر، من أجل بيانها وتوقعها من خلال معرفة الروابط القائمة بين متغيّراتها[1]. وهناك من قال: إن النظرية عبارة عن مجموعة من التعريفات والمقترحات بشأن عدد من المتغيّرات المترابطة. وإن جميع هذه التعريفات والمقترحات تقدّم أبعاداً منظمة ومدوّنة للوقائع والظواهر التي

---

١ - انظر: هومن، ص١١، ١٩٩٤.

تتبلور بفعل التناغم والتداخل بين هذه المتغيّرات[١]. وهناك من قال: إن النظريات ليست سوى شباك وأفخاخ ننصبها كي نصيد بها ما ندعوه «الكون»، وذلك من أجل أن نضيّق من حلقات تلك الشباك أكثر فأكثر[٢]. وهناك من ذهب إلى القول: إن النظرية بيان لمجموعة من المفاهيم أو الفرضيات التي يمكن العمل على تبريرها وبيانها بشكل منهجي[٣]. وهناك من قال: إنها مجموعة من البيانات التي تقوم على قواعد منطقية وتعمل على بيان جانب من الحقيقة[٤].

وعليه يمكن القول بنظرة شاملة وجامعة: إن النظرية[٥] عبارة عن بيان

---

١ - انظر: نادري ـ نراقي، ص٣٢، ١٩٩٦.

٢ - انظر: بوبر، ص٦٣، ١٩٩١.

٣ - انظر: روبينز، ص٤٧، ١٩٩٧.

٤ - انظر: المصدر أعلاه.

٥ - فيما يتعلق بطريقة ارتباط النظرية بالواقع هناك أربع صياغات أشار لها بوبر في كتاب "العلم والدين"، وهي كالآتي:

١ ـ النظرية بوصفها خلاصة للمعطيات (الوضعية): يذهب أكثر العلماء التجريبيين إلى الاعتقاد بأن المفاهيم والنظريات هي خلاصة المعطيات وثمرة المشاهدات الحسية والتجريبية. (انظر: بوبر، ص١٩٨، ١٩٩٥).

٢ ـ النظرية بمثابة الأداة والآلة النافعة (الآلية): إن أكثر التعابير شيوعاً بين فلاسفة التحليل اللغوي في السعي من أجل إيضاح مختلف الأنواع والأدوار المتنوّعة للغة العلم، اعتبار النظريات العلمية وسائل وأدوات.

٣ ـ النظرية بوصفها صورة ذهنية (المثالية): المثالية [= أصالة الصورة الذهنية] في تأكيدها على إسهامها في العلم تذهب حتى إلى ما هو أبعد من اعتبارها مجرّد وسيلة أو أداة.

٤ ـ النظرية بمثابة انعكاس للكون والعالم (أصالة الواقع): أصالة الواقعيين [= الواقعيون] يحكمون بشكل مخالف للوضعيين، فما هو واقعي يعني أنه متحقق في الواقع، وإن لم يكن قابلا للمشاهدة. ويذهبون خلافاً لأصحاب النزعة الآلية إلى القول بأن المفاهيم المعتبرة صادقة وحقيقية بمقدار ما تكون نافعة ومفيدة، ويذهبون خلافاً للمثاليين إلى القول بأن المفاهيم تعكس ماهية الأحداث الواقعة في العالم. إن تصوّرات المعطيات ليست عبارة عن تخرّصاتنا، بل تعود جذورها بشكل كبير إلى العلاقات الحقيقية والواقعة في صلب الطبيعة. وإن الذي يكون له القسط الأكبر والحاسم في تكوين علمنا ومعرفتنا هو عين المعلوم [= الشيء]، وليس ذهن العالم [= الموضوع]. من هنا فإنه علم الكشف والاكتشاف، وليس مجرد جعل واختراع. (انظر: حسين شرف الدين، ص٦ ـ ٧، ٢٠٠٧).

انتزاعي منتظم وموجز ومؤلف من عدّة قضايا منطقية ومستدلة تقوم على سلسلة من الدراسات العلمية التي تفيد قاعدة كلية أو مجموعة من القواعد ذات الصلة بكيفية وعلّة الوقائع والأحداث على المستوى العام والخاص. إن كل نظرية إنما تعكس وتبيّن جانباً من الحقيقة التي لا تفهم إلا ضمن إطار عام مترابط الأجزاء. وإن كل نظرية تشتمل عادة على أربعة أبعاد معرفية، وهي: المعرفة الناظرة إلى الواقع. والبعد العاطفي (تجسّم تجربة ومشاعر المنظّر وأحاسيسه)، وإعادة التفكير (أسلوب لإدراك الحقائق). والبعد التناغمي (تقديم الفرضيات الكامنة والواضحة فيما يتعلق بكيفية ما يجب عليه أن تكون الواقعية). إن المهمة الجوهرية للنظرية هي التبيان، وفي المرحلة التالية يأتي دور التعميم (وإعطاء القدرة على التكهّن على هذا الأساس). وإن للتبيان أنواعاً، ومن أهمها وأكثرها توظيفاً هو التبيان العلّي. وإن كل نظرية توفر للمحقق الأرضية لطرح التساؤلات والفرضيات الجديدة بشأن الواقعية[1].

وإن من بين أهمّ المهام والوظائف المتوقّعة من النظرية عبارة عن:

١ ـ تحديد أفق الرؤية ومساحة اهتمام المحقق وتوجيهها إلى ناحية التركيز على ظواهر خاصة أو بعض جوانب ظاهرة من الظواهر.

٢ ـ تحديد وتعيين مسار القراءات والدراسات العلمية وأنواع المعلومات ذات الصلة بالموضوع.

٣ ـ الحصول على إمكانية الربط بين المعلومات ذات الصلة ببعضها والعمل على تبويبها.

---

١ - انظر: حسين شرف الدين، ص١ ـ ٣، ٢٠٠٧.

٤ ـ إمكانية توصيف وبيان الظواهر. إذ أن من بين أهم وظائف النظرية، هي إيضاح مجموع الظواهر التي تنظر إليها تلك النظرية.

٥ ـ إمكانية تعميم المعلومات والنتائج الحاصلة، على جميع الظواهر المشابهة.

٦ ـ التكهّن بالحقائق والوقائع. فإن النظرية تمنح المحقق إمكانية أن يتنبأ ويتوقع الموارد ذات الصلة، حتى إذا لم تتمّ مشاهدتها.

٧ ـ تمهيد الأرضية لطرح الفرضيات الجديدة.

٨ ـ بيان وكشف الثغرات الموجودة في المعرفة البشرية. فإن النظريات وسائل مناسبة لتوضيح الوضع القائم في الحقل المعرفي.

٩ ـ إمكانية توجيه الظواهر على أساس الحد الأعلى من الاحتمالات[١].

كما أن النظرية المقبولة يجب أن تتوفر فيها الخصائص الآتية:

١ ـ الاستحكام الداخلي: إن النظرية الجيدة يجب أن تتضمّن القضايا المنسجمة وغير المتعارضة، وأن لا تشتمل على سوء التفاهم والغموض، وأن لا تشتمل على تناقض مضموني، وأن تكون فرضياتها متناغمة مع بعضها، وأن لا يكون في المصطلحات المستعملة فيها غموض وإبهام، وأن تتمتع قضاياها باستحكام واستمرار منطقي.

٢ ـ الاستحكام الخارجي: إن المراد من الاستحكام الخارجي للنظرية هو أن تكون قضاياها قابلة للتطبيق على العالم الخارجي الذي يعدّ في حقيقته محكّاً للاستنباطات التحقيقية (Research Inferences).

---

١ - انظر: المصدر أعلاه، ص٥.

٣ ـ المستندات القويّة: إن النظرية المقبولة يجب أن تستند إلى مجموعة كافية من المعلومات والوثائق والشواهد المتقنة.

٤ ـ قابلية التقويم: إن النظرية الجيدة هي تلك التي تكون لها على الدوام قابلية التقويم، وذلك من خلال إرجاعها إلى الوثائق والمستندات والشواهد المختلفة، وأن تكون هناك إمكانية لتأييدها أو رفضها.

٥ ـ إمكانية التطبيق: بمعنى أنه يجب في النظرية أن تشتمل على إمكانية تطبيقها وتنفيذها على أرض الواقع، وأن تقوم علاقة بينها وبين الوقائق والحقائق المشهودة. وبعبارة أخرى: أن تخرج من إطارها النظري والتجريدي. وهناك من ذكر هذا الشرط ضمن القابلية على الاختبار. وفيما يتعلق بقابلية اختبار النظرية ذهب بعض فلاسفة العلم إلى ذكر قابلية الإبطال، وهناك من ذكر التأييد والقدرة على الإثبات من خلال الشواهد التجريبية بوصفها شاخصاً لمقبوليتها واعتبارها.

٦ ـ قابلية التعميم: إن النظرية المقبولة يجب ـ حدود الإمكان ـ أن تصلح للتعميم والانطباق على الموارد المشابهة.

٧ ـ الاقتصاد العلمي: إن النظرية العلمية يجب أن تكون ـ في حدود الإمكان ـ موجزة ومقتضبة، وأن تشتمل في بيان وشرح الموضوع مورد البحث على الحد الأدنى من الفرضيات والمفاهيم[١].

من الجدير ذكره أن القرآن في الأساس يبيّن الحقائق، سواء في حقل العقائد والأخلاق والأحكام أو العلوم البشرية؛ وعليه فإن التعبير بـ«التنظير» في مورد مسائل القرآن الكريم لا يخلو من المسامحة إلى حدٍّ ما.

---

١ - انظر: المصدر أعلاه، ص٨ – ٩.

من هنا يمكن القول: إن من بين التعاريف المتقدمة يبدو التعريف الثاني ـ وهو تعريف روبينز ـ أكثر انسجاماً مع المسائل القرآنية. وهو التعريف القائل: (إن النظرية عبارة عن مجموعة من البيانات القائمة على قواعد منطقية وتعمل على بيان جانب من الحقيقة).

ب ـ العلم

إن المراد من العلم هنا هو العلوم البشرية الأعم من العلوم العقلية والنقلية والشهودية والتجريبية والطبيعية والإنسانية. وإن كانت عمدة البحث في عصرنا تكمن في حقل العلوم الطبيعية والإنسانية. ولا بد من التذكير بأن هناك آراء مختلفة فيما يتعلق بماهية «العلم»[1]. (من قبيل: قابلية الإثبات، وقابلية الإبطال، وقابلية التأييد). ولكننا لا نسعى هنا إلى اختيار فرضيات مسبقة أو قواعد وأسس خاصة، إذ يمكن لنا أن نقدم في هذا الكتاب ما هو أوسع من الآراء المتقدمة، من هنا فإننا سوف نصرف النظر عن هذه الأبحاث.

وبالنظر إلى ما تقدّم يمكن تعريف التنظير العلمي للقرآن على النحو الآتي: «إخبار القرآن عن الحقائق العلمية قبل تأييدها من قبل العلوم، وأحياناً يستوجب ذلك توسيع دائرة وأبعاد العلم أو تضييقها».

٢ ـ الجذور التاريخية للتنظير العلمي في القرآن:

على الرغم من البحث بشأن نظرية «التنظير العلمي» في العديد من الكتب

---

١ – انظر: كارل بوبر، حدس ها وابطال ها وكتاب منطق اكتشافات (الحدس والإبطال وكتاب منطق الاكتشافات)، نقله إلى اللغة الفارسية: أحمد آرام؛ جالمرز، چيستي علم (ماهية العلم)؛ ولكاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن.

(التي سنشير إلى بعضها في بحث معرفة المفاهيم)، إلا أننا لم نعثر على كتاب مستقل فيما يتعلق بـ«التنظير العلمي للقرآن»، وأول مرّة استعمل فيها هذا التعبير يعود إلى عام ٢٠٠٦ للميلاد، وذلك في مؤتمر علمي بعنوان «التنظيرات العلمية للقرآن» في جامعة المصطفى العالمية، وقد نشر تقرير كامل عنه في العدد السابع والأربعين من مجلة (أفق حوزة)، في شهر آبان من عام ١٣٨٤ للهجرة الشمسية. ثمّ شاع استعماله في بعض المحافل العلمية، وبعض مقالاتنا، ومن بينها مقال «روش برداشت علمي از قرآن»[١] المنشور في مجلة (پژوهش هاي قرآني)، العدد: ٤٥، سنة ١٣٨٥ للهجرة الشمسية. حتى أخذ هذا التعبير يُستعمل حالياً في الأروقة والمحافل العلمية والقرآنية رغم ما فيه من تسامح.

٣ـ الآيات العلمية في القرآن

على الرغم من أن هذا الكتاب لا يتناول موضوع التفسير العلمي للقرآن، إلا أننا نجد من الضروري أن نشير إلى الآيات العلمية في القرآن، كي تتضح المسائل الآتية بشكل أفضل.

أ ـ عدد الآيات العلمية

تستغرق الآيات العلمية في القرآن في مختلف العلوم البشرية مساحة كبيرة تعرب عن مدى اهتمام القرآن بالمسائل العلمية، يقول يوسف مروة إن عدد الآيات العلمية في القرآن يبلغ ٦٧٥ آية[٢]، في حين يذهب محمد جميل الحبال ومقداد مرعي

---

١ – منهج الفهم العلمي للقرآن، المعرّب.

٢ – انظر: العلوم الطبيعية في القرآن، يوسف مروة، ص٧٦ ـ ٧٧.

الجواري إلى اعتبار عددها مع احتساب المتكرر منها ١٣٢٢ آية[١]، وبذلك تشكل الآيات العلمية ما نسبته ٢٠٪ من مجموع آيات القرآن الكريم.

وهناك من العلماء من قسم الآيات العلمية في القرآن في كل حقل من حقول العلم بشكل مستقل، فقد ذهب يوسف مروة إلى القول بأن عدد الآيات الخاصة بعلم الطب (٦١ آية)، وعلم الفيزياء (٦٣ آية)، وعلم الفلك (١٠٠ آية)، وعلم الجيولوجيا (٢٠ آية)، وعلم الزراعة (٢١ آية)، وعلم الأحياء [الحيوان] (١٢ آية)، والخلق والحياة (٣٦ آية)، والجغرافيا (٧٣ آية)، وعلم الأنواء الجوية (٢٠ آية)، وعلم الكيمياء (٩ آيات)[٢].

وأما محمد جميل الحبال ومقداد مرعي الجواري فقد توصلا إلى أعداد مختلفة. فإنهما مثلاً قالا بأن عدد آيات الفيزياء (١٣٨ آية)، وآيات الكيمياء (١١ آية)، وآيات الجيولوجيا (٦٩ آية)[٣].

وبطبيعة الحال يبدو أن الاختلاف في بيان عدد الآيات في هذا البحث يعود إلى اختلاف المباني في التفسير العلمي، وتعريف الآيات العلمية. كما أنه يعود أيضاً إلى رأي المفسر بشأن دلالة الآية ومدى انطباقها على معطيات العلوم التجريبية. رغم أن الكثير من هذه التطبيقات والدلالات موضع نقاش[٤].

---

١ - انظر: العلوم في القرآن، محمد جميل الحبال ومقداد مرعي الجواري، ص٣٥ ـ ٣٦.

٢ - انظر: العلوم الطبيعية في القرآن، ص٧٦ ـ ٧٧.

٣ - انظر: العلوم في القرآن، ص٣٥ ـ ٣٦.

٤ - انظر: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ودر آمدي بر تفسير علمي قرآن، لكاتب السطور، وكذلك انظر: تفسير علمي قرآن، لمؤلفه: ناصر رفيعي محمدي.

ب ـ أقسام الآيات العلمية

يمكن تقسيم الآيات العلمية في القرآن إلى أربعة أقسام رئيسة، على النحو الآتي:

١ ـ الإعجاز العلمي في القرآن:

بمعنى كشف القرآن عن الأسرار العلمية المذكورة في القرآن بوضوح، رغم عدم كشف العلم عنها في عصر نزول القرآن، إذ لم يتم إثباتها علمياً من قبل العلماء إلا بعد مرور قرون على نزول الآيات[١].

من قبيل: إشارات القرآن العلمية إلى قانون الجاذبية[٢]، وحركات الشمس[٣]، ودور الرياح في عملية التلقيح[٤]، وقانون الزوجية العام بين الكائنات[٥]، ومراحل خلق الإنسان[٦]، حيث لم تتمكن البشرية من الكشف عن هذه الحقائق العلمية إلا بعد نزول القرآن الكريم بقرون. من هنا ذهب بعض مفسري القرآن إلى اعتبار هذه الأمور من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وبطبيعة الحال هناك ادعاءات أخرى أيضاً بشأن الإعجاز العلمي في القرآن، ولكنها لم تسلم من النقد[٧].

٢ ـ الإشارات العلمية المذهلة في القرآن الكريم:

هناك من آيات القرآن الكريم ما يُشير إلى المسائل العلمية ونواميس العالم،

---

١ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١، ص٨٥.

٢ – انظر: الرعد: ٢؛ لقمان: ١٠.

٣ – انظر: يس: ٣٨؛ الرعد: ٢.

٤ – انظر: الحجر: ١٢.

٥ – انظر: الرعد: ٢؛ يس: ٣٦؛ الشعراء: ٧.

٦ – انظر: المؤمنون: ١٢ ـ ١٤؛ الحج: ٥؛ غافر: ٦٧؛ القيامة: ٣٧ ـ ٣٩.

٧ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن.

الأمر الذي يثير دهشة كل قارئ. ولكن حيث أن هذه المسائل إنما طرحت من قبل بعض العلماء وأخذت طريقها إلى الأروقة والمراكز العلمية على نحو لم يبلغ حدّ الاشتهار، لا تبلغ حدّ الإعجاز العلمي، وإنما هي نوع من المخالفة للنظريات والآراء المشهورة في عصر العلوم التي كانت سائدة في زمن نزول القرآن، الأمر الذي يُذهل القارئ ويعتبره دليلاً على عظمة القرآن على المستوى العلمي.

من قبيل: إشارات القرآن إلى حركة الأرض[١]، وتوقف الحياة على الماء[٢]، وحرمة مجامعة الزوجة أثناء الدورة الشهرية[٣]، وحرمة الخمر[٤]، وما إلى ذلك.

٣ ـ الإشارات القرآنية العلمية التي تدعو إلى التفكير والتدبّر:

وهي الآيات التي تشير إلى خلق السماوت والأرض والإنسان والحيوانات والطبيعة، وتدعو الإنسان إلى التفكير فيها، وأحياناً يصفها بأنها دليل على وجود الله وعلى المعاد أيضاً. بيد أنها لا تشتمل على أمر مذهل أو معجز. إن هذا النوع من الآيات يلفت انتباه الإنسان إلى مظاهر الخلق وجماله، ويمهد الأرضية لتقدم الإنسان على المستوى العلمي، وخاصة في العلوم التجريبية.

من قبيل قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٥].

---

١ – انظر: النمل: ٨٩ وغيرها... (وقد اعتبر صاحب تفسير نمونه (الأمثل)، هذا المورد من الإعجاز العلمي، انظر: تفسير نمونه، ج١٥، ص٥٦٨ ـ ٥٦٩).

٢ – انظر: النور: ٤٥؛ الأنبياء: ٣٠ (اعتبر صاحب التمهيد هذا المورد من الإعجاز العلمي في القرآن، انظر: التمهيد في علوم القرآن، ج٢، ص٩٣ ـ ٩٤؛ طب در قرآن، ص٥٠ ـ ٥١).

٣ – انظر: البقرة: ٢٢٢؛ وتفسير نمونه (الأمثل)، ج٢، ص٩٣ ـ ٩٤؛ طب در قرآن (الطب في القرآن)، ص٥٠ ـ ٥١.

٤ – انظر: المائدة: ٩٠ ـ ٩١؛ البقرة: ٢١٩.

٥ – انظر: الغاشية: ١٧.

كما هناك إشارات في الآيات رقم: ٥ و٦ و٧ و١٠ و١١ و١٣ و١٤ من سورة النحل إلى فوائد ومنافع الأنعام، وهطول الأمطار، وتبرعم النباتات وخروجها من بطن الأرض بألوان مختلفة، والبحار والسفن التي تمخر فيها، وفوائد الأطعمة البحرية، والزينة التي تستخرج من البحر، بوصفها آيات للعلماء حيث يتمكنون بواسطتها من الوصول إلى عظمة الخالق وإبداعه في عملية الخلق، ويشكرونه على ذلك[1].

٤ـ التنظيرات العلمية في القرآن:

تتعرض بعض الآيات العلمية في القرآن إلى بيان بعض المسائل التي لم يتوصّل العلم حتى الآن إلى اكتشافها، وعلى الرغم من عدم إثباتها من قبل العلوم التجريبية، بيد أننا ـ في الوقت نفسه ـ لا نمتلك دليلاً على نفي هذه المسائل القرآنية. ولما كان الوحي نوعاً من العلم القطعي النابع من معين العلم الإلهي؛ فهو علم صحيح ولا يمكن الشك في صحّته وصوابيته، وإن لم تكن ثمّة ما يشهد بصحتها من العلوم التجريبية في الوقت الراهن، ويمكن لها ـ مثل سائر الموارد الأخرى من التنبؤات العلمية في القرآن، (من قبيل: قوّة الجاذبية، طبقاً للآية الثانية من سورة الرعد، والآية العاشرة من سورة لقمان وغيرهما) ـ أن تثبت في المستقبل. يمكن طرح هذه الموارد بوصفها من النظريات العلمية في القرآن، والسعي وراء الشواهد التجريبية عليها، كما هو الحال بالنسبة إلى سائر النظريات العلمية الأخرى.

---

١ – وهناك بطبيعة الحال في الآيات من ٥ إلى ١٧ من سورة النحل مسائل علمية مذهلة، وعليه فإنها تلحق بالقسم اللاحق.

٤ـ عناصر التنظير العلمي في القرآن الكريم

بالنظر إلى ما تقدّم من تعريف التنظير العلمي للقرآن تمّت ملاحظة العناصر الآتية في التعريف السابق ـ «إخبار القرآن عن الحقائق العلمية قبل تأييدها من قبل العلوم، توسيع دائرة وأبعاد العلم أو تضييقها»ـ:

أ ـ إن النظريات العلمية للقرآن تندرج تحت دائرة الإخبارات الغيبية في القرآن، والتي تتجلى على شكل نبوءات علمية، ويتمّ تقديمها وعرضها على الأروقة العلمية.

ب ـ إن القرآن الكريم يبيّن الحقائق العلمية، وعليه فإن الشك القائم في النظريات العلمية، لا يكون له من وجود في التنظيرات العلمية في القرآن. وبعبارة أخرى: إن التعبير بـ«النظرية» فيما يتعلق بالمسائل القرآنية، لا يخلو من تسامح. ولكن حيث تُفهم النظرية القرآنية ـ بطبيعة الحال ـ من قبل أشخاص غير معصومين من الخطأ، قد يأتي الخطأ من قبل استنباطاتهم، أما القرآن فهو معصوم من الخطأ.

ج ـ إن الإخبار الغيبي في القرآن الكريم على نوعين: فهناك منه ما يتعلق بالماضي، وهناك منه ما يتعلق بالمستقبل، وموضوع بحثنا في التنظير العلمي في القرآن يدخل في القسم الثاني من الإخبار الغيبي في القرآن. وإن الإخبار الغيبي المتعلق بالمستقبل ينقسم بدوره إلى قسمين أيضاً:

القسم الأول الإخبار العلمي الذي تمّ تأييده أو إثباته علمياً من قبل أحد العلماء والمفكرين في حقل من حقول العلوم بعد نزول القرآن (وهذا بطبيعة الحال إذا كان مستوفياً للشرائط الأخرى في الإعجاز العلمي).

والقسم الثاني: الإخبار الغيبي الذي لم يتمّ إثباته أو تأييده من قبل العلم

حتى الآن، من قبيل: (السماوات السبع) ووجود الكائنات الفضائية في الكواكب الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[١]. وإن موضوع التنظيرات العلمية في القرآن الكريم، يدخل في دائرة هذا القسم الثاني من الإخبار الغيبي في القرآن.

د ـ إن التنظيرات العلمية في القرآن تعمل أحياناً على توسيع رقعة العلوم، كما تعمل أحياناً على تضييقها: فمثلاً عندما يتمّ الحديث عن نظرية «التشافي بالقرآن» انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. نجد أنها تفتح فضاءً جديداً أمام العلوم الطبية، حيث تضيف العامل المعنوي والروحي إلى سائر العوامل الأخرى النافعة في شفاء الآلام الجسدية. كما أن في القرآن ما هو شفاء للأمراض العقائدية والأخلاقية والروحية والنفسية للإنسان.

وأحياناً يتحدّث القرآن عن الاقتصاد اللاربوي، إذ يقول تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٣]. فإن هذه النظرية القرآنية، تقدم أطروحة اقتصادية جديدة، وتعمل على تضييق دائرة الاقتصاد، وتؤدي في الوقت نفسه إلى نتائج باهرة في انتعاش وازدهار الاقتصاد بشكل صحيح.

---

١ - الشورى: ٢٩.

٢ - الإسراء: ٨٢

٣ - البقرة: ٢٧٥.

٥ ـ ضوابط التنظيرات العلمية في القرآن الكريم

هناك فيما يتعلق باستنباط النظريات العلمية من القرآن ـ (بالإضافة إلى الأسس، والمناهج، والشرائط التي تقدّم بيانها في تفسير القرآن، وفي الأسلوب الخاص بالتفسير العلمي)[1] ـ ضوابط وقواعد تؤدّي رعايتها إلى فهم النظرية العلمية من القرآن الكريم، وإن عدم رعاية تلك الضوابط والقواعد يؤدي إلى عدم اعتبار النظرية العلمية في القرآن، وقد يؤدي ذلك أحياناً إلى التفسير بالرأي. من هنا فإن رعاية هذه الضوابط والقواعد ضرورية للغاية. وفيما يلي نشير إلى أهم قواعد وضوابط فهم النظريات العلمية في القرآن الكريم:

أ ـ أن يكون بالإمكان فهم النظرية العلمية للقرآن من نصّ أو ظاهر آيات القرآن الكريم. بمعنى أن لا يتمّ فرض النظرية العلمية على القرآن قسراً، وإلا فإن ذلك سيفضي بنا إلى التفسير بالرأي. بل يجب أن تكون هناك قرائن في النص القرآني تدل بوضوح على تلك النظرية العلمية. بمعنى أن يشتمل القرآن على واحد من الدلالات التضمينية الثلاث، وهي: الدلالة التطابقية أو التضمنية أو الالتزامية، كي يكون هناك إمكان لنسبة تلك النظرية العلمية إلى القرآن، وتكون معتبرة من الناحية التفسيرية.

ب ـ إن النظرية العلمية المستنبطة من القرآن الكريم يجب أن لا تكون مطروحة في الكتب العلمية المدوّنة قبل نزول القرآن، وأن لا يكون العلماء

---

١ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، منطق تفسير القرآن (١)، مباني وقواعد تفسيري (الأسس والقواعد التفسيرية)، وانظر أيضاً: منطق تفسير القرآن (٢) روش ها وكرايش هاي تفسيرقرآن (الأساليب والاتجاهات التفسيرية)، وانظر أيضاً: كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي في القرآن).

والمفكرون قد ذكروها أو أيدوها حتى هذه اللحظة. وبعبارة أخرى: أن تكون تلك النظرية العلمية من إبداعات القرآن الكريم.

ج ـ يجب أن تشتمل النظرية العلمية في القرآن على نوع من الإبداع والابتكار والتجديد في واحد من حقول العلم، من قبيل: الأسس والمناهج والأساليب وما إلى ذلك[1]. بمعنى أن يُحدث إثباتها في حقل من حقول العلم نقلة في ذلك العلم. وبطبيعة الحال حيث أن الموضوعات والمعارف القرآنية واسعة جداً، يمكن أن يكون هذا التحوّل في الأبحاث النظرية أو في الأبحاث العملية.

د ـ أن يكون هناك إمكان لإثبات أو تأييد التنظير العلمي في القرآن من الناحية العلمية. وبطبيعة الحال فإن أدوات تأييد وإثبات كل نظرية علمية تختلف من حقل إلى حقل علمي آخر. فعلى سبيل المثال: تعتبر مسألة السماوات السبع مسألة وسيطة بين العلوم القرآنية وبين علم الفلك، وإن إثباتها بطبيعة الحال يكون من خلال الأدوات الفلكية وطبقاً للأساليب التجريبية. وأما فيما يتعلق بإثبات أو تأييد نظرية الاستشفاء بالقرآن في البعد الاعتقادي والأخلاقي والمعنوي فإننا نحتاج إلى أساليب وأدوات خاصة.

وعلى كل حال إن لم يكن بالإمكان إثبات أو ردّ النظرية العلمية أصلاً، فإنها لن تكون قابلة للطرح في الأروقة والمحافل العلمية؛ لأنها لن تكون نظرية علمية في مثل هذه الحالة.

---

١ ـ لا يوجد هناك حدود دقيقة بين الإبداع والتنظير حتى هذه اللحظة، ولكن لا يخفى أن كل عملية تنظيرية لا بد وأن تنطوي على إبداع أيضاً.

ومن الجدير ذكره بطبيعة الحال، أن التنظيرات العلمية في القرآن إنما تكون قابلة للرفض باعتبار الشخص المنظّر الذي فهم تلك المسألة العلمية من القرآن، دون أصل الحقائق القرآنية. إذ يمكن أن يكون ذلك الشخص هو الذي أخطأ في فهمه للقرآن، وإلا فإن القرآن معصوم من الخطأ، ولا يحتوي على غير الحقائق.

٦ـ دائرة التنظيرات العلمية في القرآن الكريم

إن التنظيرات العلمية تحدث في العادة إبداعاً وتجديداً في واحد من الحقول والأبعاد الفكرية، وتحدث نقلة نوعية في ذلك الحقل الفكري والعلمي، وهكذا الأمر بالنسبة إلى التنظيرات العلمية في القرآن الكريم. وإن التنظيريات القرآنية في كل حقل من الحقول العلمية تدور حول بيان جملة من الامور، وهي عبارة عن:

أ ـ الأسس:

تقع التنظيرات القرآنية أحياناً في حقل قواعد العلوم، بمعنى تأثير قواعد معرفة الكون والإنسان في القرآن في توجيه دفّة العلوم. فمثلاً إن العلوم التربوية أو العلوم السياسية في العصر الراهن تقوم على أساس محورية الإنسان، ويمكن تنظيم ذات هذه العلوم على أساس محورية الله والتوحيد أيضاً، وهو مبنى يتمّ اتخاذه من القرآن الكريم.

ب ـ الأساليب:

هناك في كل علم أساليب عامة عقلية أو نقلية أو شهودية أو تجريبية تترك بتأثيرها التام على تكوين ذلك العلم. بيد أن هناك في كل علم أساليب خاصة أيضاً، من قبيل: أساليب التربية في العلوم التربوية.

وقد أشار القرآن الكريم في العديد من آياته إلى الأساليب العامة في

العلوم[١]، كما أشار إلى الأساليب الخاصة أيضاً.

والملفت أن التعاليم القرآنية في بيانها لكل من الأساليب العامة والأساليب الخاصة تُدخل بعض العناصر لتطرح نظرية جديدة في دائرة أساليب حقل من الحقول العلمية والمعرفية.

على سبيل المثال: إن العلوم التربوية تقوم على أساس الأسلوب التجريبي، في حين أن القرآن بالإضافة إلى هذا الأسلوب العام يذكر الأسلوب الشهودي أيضاً، وبالإضافة إلى عنصر الوحي في تربية الإنسان، يتحدث عن الإلهامات الرحمانية والشيطانية في النفس الإنسانية، إذ يقول تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[٢]. ويتحدّث أيضاً عن معلم يمارس التربية والتعليم

---

١ - لقد أشار القرآن الكريم إلى الأساليب العلمية، أي: الأقسام الأربعة المذكورة آنفاً. بمعنى أنه قد أشار إلى الأسلوب العقلي، حيث يدعو الناس إلى التعقل والتفكر (وفيما يتعلق بالتعقل، انظر: البقرة: ٧٣ و٢٤٢؛ يوسف: ٢؛ الأنبياء: ١٠؛ المؤمنون: ٨٠؛ الزخرف: ٣. وفيما يتعلق بالتفكر، انظر: البقرة: ٢١٩؛ الروم: ٨؛ آل عمران: ١٩١؛ النحل: ٤٤؛ الحشر: ٢١ وغير ذلك).

وأحياناً يُلفت انتباه الإنسان إلى الطبيعة، ويدعوه إلى التدبّر في الكون والطبيعة والإنسان وما إلى ذلك. (انظر: الأية الثانية من سورة الرعد فما بعد؛ الحج: ٥؛ المؤمنون: ١٢ ـ ٢١؛ النحل: ٣ ـ ١٧ وغير ذلك).

وأحياناً تأخذ بانتباه الإنسان إلى عمق التاريخ، من خلال بيان القصص المعبّرة للأنبياء والأمم السالفة، وأرّخت للوقائع التاريخية التي شهدها صدر الإسلام (من قبيل: الحروب وما إلى ذلك)، (انظر: سورة الأنبياء؛ يونس؛ يوسف؛ الكهف وغيرها من السور).

وقد تحدّث أحياناً عن الوحي والإلهام الإلهي (انظر: الشورى: ٥١؛ المؤمنون: ٢٧؛ طه: ٣٨). وتحدّث عن العلم الإلهي الذي أنعم به الله على بعض أفراد البشر (العلم اللدني). من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾، الكهف: ٦٥.

٢ - الشمس: ٧ ـ ٨.

بعلمه اللدني، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[١].

كما لا يغفل عن دور التجربة في تربية الإنسان، حيث يدعو الجميع إلى السير في الأرض والاعتبار بتجارب الماضين وآثارهم، إذ يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٢].

كما يتحدّث القرآن الكريم في الأساليب التربوية الخاصة عن أسلوب التزكية والتلاوة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[٣].

وسوى ذلك مما هو غير مطروح في الأساليب المتداولة في العلوم التربوية.

ج ـ الهدفية

إن من بين حقول التنظير العلمي في القرآن هو العمل على توجيه أهداف العلوم. فإن القرآن الكريم يرى العالم بأسره صادراً عن الله وعائداً إليه؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٤]. وإن لقاء الله من وجهة نظر القرآن يمثل غاية الكمال الإنساني: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾[٥]. من هنا يجب توجيه جميع الأنشطة الإنسانية لتسير على هذا الاتجاه.

من هنا يجب على الإنسان أن يتعلم العلم لله، وأن يعمل على توظيف علمه

---

١ ـ الكهف: ٦٥.

٢ ـ يوسف: ١٠٩.

٣ ـ الجمعة: ٢.

٤ ـ البقرة: ١٥٦.

٥ ـ الإنشقاق: ٦.

في سبيل الله، وعلى هذا الأساس يتمّ تنظيم العلوم في إطار الهدف الإلهي وفي خدمة الكمال الإنساني. ومن هنا فإن العلوم الطبيعية، مثل الفيزياء الذريّة لا يمكن أن يتمّ توجيهها بهدف صنع القنابل الفتاكة وإبادة الإنسان، وكذلك العلوم الإنسانية، مثل الاقتصاد والسياسة، فإنه يجب توجيهها لخدمة الإنسان في إطار التعاليم القرآنية. ومن هنا يتمّ نبذ العلوم الإنسانية العلمانية وتلك التي تنتهج النزعة الإنسانية.

د ـ صنع الأنظمة

يمكن لنا أن نستنبط من آيات القرآن ـ طبقاً لمنهج التفسير الموضوعي ـ أنظمة حقوقية واقتصادية وسياسية واجتماعية وتربوية. ويمكن لكل واحد منها أن تقدّم بوصفها نظرية علمية قرآنية؛ لأنها تشتمل على عناصر إبداعية وجديدة تختلف عن الأنظمة المماثلة في العلوم الحديثة.

من باب المثال: إن الأنظمة السياسية المعاصرة يتمّ طرحها غالباً من الأسفل إلى الأعلى، حيث تستمد مشروعية قادة المجتمع من الناس، في حين أن النظام السياسي في القرآن يتمّ التخطيط له من الأعلى إلى الأسفل، إذ يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[1]. بمعنى أن رأي الناس لقادتهم يكون من باب الرضا وبسط اليد، أما الشرعية فتمنح لهم من خلال التنصيب الإلهي.

هـ ـ صناعة الموضوع

يأتي التنظير العلمي في القرآن أحياناً في حقل ابتكار الموضوعات

---

١ - النساء: ٥٩.

لمختلف العلوم، الأمر الذي يفتح آفاقاً جديدة أمام المفكرين.

من باب المثال فيما يتعلق بعلم النفس يتمّ تعريف الإنسان بوصفه كائناً ذا بعدين؛ إذ يتألف من بعدين وهما: الجسم والروح، بل ويتمّ تعريف الروح بوصفها واحدة من خواص الإنسان المادية. دون أن يتمّ الحديث عن الروح. إلا أن القرآن الكريم ـ علاوة على الجسم ـ يتحدّث عن روح الإنسان الإلهية؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾[1]. فلو تمّ الاهتمام بهذه النظرية القرآنية، وتمّ توسيع بحوث علم النفس ومعرفة الروح ومراتبها في القرآن، لشهدنا تغيّراً كبيراً في هذا العلم.

٧ـ نماذج من التنظيرات العلمية في القرآن الكريم

هناك الكثير من آيات القرآن الكريم التي يمكن أن يُستنبط منها نظريات علمية جديدة. وإن جمع الأمثلة على ذلك تستدعي كتاباً مستقلاً. وفيما يلي نفهرس لعدد من أهم تلك الأمثلة على أساس الحقول العلمية:

أ ـ في حقل العلوم الطبيعية

١ ـ علم الفلك

أ ـ وجود الكائنات الحية في الفضاء، وهو أمر لم يتمّ إثباته في علم الفلك حتى هذه اللحظة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾[2].

وعلى الرغم من وجود بعض الشواهد الكونية على وجود كائنات حيّة

---

١ ـ الحجر: ٢٩؛ ص: ٧٢.

٢ ـ الشورى: ٢٩.

وشاعرة في الكواكب والسيارات البعيدة، بيد أن العلماء في مجال الكون والفضاء لم يتوصلوا حتى الآن إلى دليل قاطع وحاسم في هذا الشأن، ولم يثبتوا شيئاً في هذا المجال. ولكن يمكن اعتبار هذه المسألة بوصفها نظرية علمية قرآنية، وجعلها أساساً للتحقيقات والأبحاث التجريبية في علم الكون والعمل على توسيعها[١].

ب ـ السماوات السبع التي وردت في العديد من آيات القرآن الكريم، ولكن حتى الآن لم يتوصّل علم الفلك لاكتشاف أكثر من سماء واحدة. من ذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾[٢].

في حين تتحدّث علوم الكون والفلك عن سماء واحدة مفعمة بآلاف المجرّات والنجوم والكواكب والسيارات، ويسكت عن وجود سائر السماوات الأخرى؛ إذ لم تتمكن أدوات العلم الحديث في مجال رصد الفضاء والكون الخارجي من اكتشاف ما هو أبعد مما توصّلت إلى اكتشافه حتى هذه اللحظة. وقد تحدّث القرآن عن مسألة السماوات السبع بشكل قاطع، وعليه يمكن لهذه المسألة أن تطرح بوصفها نظرية علمية قرآنية لتكون قاعدة للدراسات في حقل الكون واتساع السماوات. وبطبيعة الحال هناك آراء مختلفة في بيان حقيقة السماوات السبع، ويجب أخذ هذه المعاني بنظر الاعتبار عند تفسير آياتها، وما إذا كان العدد سبعة مراد على نحو الحقيقة، وهل المراد منه السماوات أو

---

١ – انظر: تفاسير القرآن وما تقوله بشأن الآية التاسعة والعشرين من سورة الشورى، من قبيل: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، والجواهر للطنطاوي، والقرآن والعلم الحديث لعبد الغني الخطيب.

٢ – الطلاق: ١٢.

الأجرام السماوية ومواقعها[١].

ج ـ وجود قوى وطاقات غير قوّة الجاذبية بين الأجرام السماوية؛ وذلك لأن «العمد» جمع عمود، من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[٢].

د ـ نظرية اتساع السماوات، إذ يمكن لنا أن نستفيد هذه النظرية من بعض آيات القرآن، من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[٣].

هناك رؤيتان في البحوث العلمية في حقل الفيزياء الكونية بشأن السماوات، وهما: نظرية انبساط الكون، ونظرية انقباض الكون[٤]. وقدّمت لكل واحدة من هاتين النظريتين بعض الشواهد التي لم تبلغ حدّ الإثبات القطعي. وهذه الآية يُفهم منها نظرية انبساط الكون[٥]. ويمكن لها بوصفها نظرية علمية قرآنية أن تشكل أساساً للتحقيقات والأبحاث الكونية.

٢ـ علم الأحياء

أ ـ تكلم الحيوانات مع بعضها، ومن بينها حديث النملة إلى صاحباتها في حضرة النبي سليمان عليه السلام وجيشه، وفهم سليمان لفحوى كلامها، كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ**

---

١ – انظر: إيمان مرادي، آسمانهاي هفت گانه (السماوات السبع)؛ محمد باقر بهبودي، هفت آسمان (السماوات السبع)؛ محمد علي رضائي الإصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١، ص١٢٦ فما بعد.

٢ – لقمان: ١٠.

٣ – الذاريات: ٤٧.

٤ – انظر: استيفن هاوكنغ، تاريخ الزمان، ترجمه إلى الفارسية: دادفرما، ص٥٨.

٥ – انظر: محمد علي رضائي الإصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١، ص١٤٢ فما بعد.

﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[١].

ب ـ حديث الإنسان إلى الحيوانات وبالعكس، كما في حادثة الحوار الدائر بين النبي سليمان عليه السلام والهدهد. في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٢].

ج ـ نظرية خلق الإنسان من التراب مباشرة، إذ طرحت الكتب السماوية وخاصّة القرآن مسألة الخلق الأول للإنسان من تراب. وهناك من الآيات القرآنية ما يدل على خلق الإنسان من تراب وطين، من قبيل: الآية الثامنة والتسعين من سورة الأنعام، والآية التاسعة والخمسين من سورة آل عمران، والآية الرابعة عشرة من سورة الرحمن (رغم أن بعض الآيات تشتمل على دلالات أخرى)، وقد طرحت منذ سنوات نظرية التطوّر من قبل لامارك وداروين القائلة بتطوّر وجود الإنسان من نسل الحيوانات السابقة.

وغالباً ما يجد المفكرون والمفسرون أنفسهم تجاه هذه النظرية على مفترق طريقين، فلا يجدون مندوحة من اختيار أحدهما ونفي الآخر، وقد ألفوا الكثير من الكتب في هذا الشأن[٣].

٣ـ علم الطب

اعتبر القرآن نفسه شفاء للأمراض الجسدية والروحية والنفسية وما إلى

---

١ – النمل: ١٨.

٢ – النمل: ٢٢.

٣ – انظر: يد الله سحابي، خلقت انسان در بيان قرآن (خلق الإنسان في كلام القرآن)، (في إثبات نظرية التطوّر)؛ مسيح مهاجري، نظريه تكامل از ديدگاه قرآن (نظرية التطوّر من زاوية القرآن)، (في رفض نظرية التطوّر).

ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾[١].

٤ـ علم الأنواء الجوية

من قبيل تأثير الأمور الروحية في نزول المطر، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[٢].

ب ـ في حقل العلوم الإنسانية

تثبت الآيات القرآنية محورية الله، بمعنى أن الله مصدر جميع الكائنات، وإليه ينتهي مسارها، قال تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٣]. وأساساً إنما تكتسب الأعمال قيمتها بعد اصطباغها بصبغة إلهية، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[٤]، وكونها في سبيل الله. في حين أن مبنى العلوم الإنسانية الحديثة يقوم على محورية الإنسان، وهذا الأمر له تأثير كبير في العلوم الإنسانية، وخاصّة العلوم التربوية والعلوم السياسية، ويعمل على توجيهها توجيهاً خاصاً.

١ ـ العلوم التربوية

أ ـ النظام التربوي القرآني

ب ـ تأثير تعاليم علم الكون والإنسان للقرآن في أسس العلوم التربوية

ج ـ تأثير التعاليم القرآنية في حقل الأساليب التربوية

د ـ تأثير التعاليم القرآنية في حقل الأهداف التربوية

---

١ ـ الإسراء: ٨٢.

٢ ـ نوح: ١٠ ـ ١١.

٣ ـ البقرة: ١٥٦.

٤ ـ البقرة: ١٣٨.

تنويه: لقد تقدم ذكر العديد من الأمثلة القرآنية على هذه الموارد في الفصل الثالث وغيره.

٢ـ علم الاقتصاد

هناك عدة محاور تم التعرض لها من قبل القرآن في هذا الحقل من قبيل:

أ ـ النظام الاقتصادي القائم على القرآن حيث تمّ التأسيس للاقتصاد الإسلامي اللاربوي، في حين يقوم الاقتصاد الغربي الحديث على أساس المنظومة الربوية (خاصة في النظام المصرفي). إن القرآن الكريم في أبحاثه الاقتصادية يبطل المعاملات الربوية، ويعتبرها حرباً على الله ورسوله، إذ يقول تعالى: ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[1].

وفي الوقت الذي يرى الاقتصاد المعاصر أكل الربا أمراً عادياً، وحتى الفترة الأخيرة كان بعض خبراء الاقتصاد يعتبر البنك اللاربوي أمراً غير قابل للتطبيق، إلا أنه وبفضل هداية القرآن وقيام الجمهورية الإسلامية تمّ الترويج للبنوك اللاربوية حتى أضحت في العالم المعاصر نظرية قويّة أخذت تنافس النظريات الاقتصادية الربوية.

وإذا تمّ تطبيق هذا النظام القرآني في المصارف، فإننا سنشهد منظومة جديدة. كما تقوم العلوم السياسية الحديثة في الغرب على أساس الفصل بين الدين والسياسة، والأمور الدنيوية (العلمانية)، في حين تقوم السياسة في القرآن على أساس مدخلية الدين في جميع مناحي الحياة والسياسة في صلبها. ومن هنا فإن الكثير من آيات القرآن يتناول بالبيان شؤون الحكم وأصول السياسة

---

١ - البقرة: ٢٧٩.

الخارجية وقوانين السلم والحرب وما إلى ذلك.

ب ـ تأثير العوامل المعنوية والروحية (التقوى) في الازدهار الاقتصادي، يتمّ الاهتمام عادة بالعناصر والعوامل المادية المؤثرة في ازدهار أو انهيار النمو الاقتصادي، أما العوامل المعنوية فيتمّ تجاهلها. أما القرآن الكريم فإنه يهتمّ بالعوامل المادية والعوامل المعنوية الدخيلة والمؤثرة في الازدهار الاقتصادي للمجتمع، وذلك حيث يقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[1].

بمعنى أن الإيمان والتقوى يستوجب نزول البركات والنعم السماوية (مثل المطر وما إلى ذلك)، ويؤدي إلى الرخاء الاقتصادي في المجتمع. وبطبيعة الحال فإن دراسة هذا الأمر والوصول إلى نتائجه بحاجة إلى تحقيق نظري وميداني أوسع.

٣ـ علم النفس

من قبيل تكوين الإنسان من الجسم والروح الإلهية (تقدّم توضيح ذلك).

٤ـ علم الحقوق

من قبيل النظام الحقوقي الخاص في القرآن الكريم، حيث يرى القرآن الكريم أن العوامل المعنوية لها تأثير في السيطرة على الأفراد وردعهم عن العصيان بوصفها ضمانة لتنفيذ وتطبيق القوانين، بينما ترصد الأنظمة الحقوقية المعاصرة عادة بعض العقوبات المالية أو الحرمان من بعض المزايا الاجتماعية والسجن كإجراء وقائي من أجل تطبيق القوانين. أما القرآن الكريم فبالإضافة إلى العقوبات المادية والجسدية، يهتمّ أيضاً بالروادع المعنوية، من قبيل: الإيمان بالله

---

١ - الأعراف: ٩٦.

والمعاد والخوف من العقوبات الأخروية وشهادة الله والملائكة والتقوى الإلهية، حيث أن هذه الأمور تؤدي بالفرد إلى ضبط نفسه والسيطرة عليها، وعدم إسلاس القياد لها للتمرّد على القانون؛ وذلك لأن المؤمن يعتبر التخلف عن القانون ذنباً ومعصية، وإن الخوف والخشية من المقام الإلهي وامتثال أوامره وتشريعاته يُعدّ مقدّمة للدخول إلى الجنة. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1].

ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2].

ـ ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3].

وبطبيعة الحال فإن هذه النظرية القرآنية فيما يتعلق بعناصر السيطرة والضمانة التنفيذية والتطبيقية للقوانين، بالإضافة إلى علم الحقوق، يمكن تطبيقها على علم الإدارة أيضاً. وذلك لأن السيطرة والتقييم يُعدّ واحداً من الأبحاث المحورية في الإدارة. وإن علم الإدارة يعمد في تطبيقه إلى توظيف أدوات وعوامل مادية، في حين من وجهة نظر القرآن يمكن لذكر الله والإيمان بالمعاد وإشراف الملائكة أن يكون من عوامل السيطرة أيضاً.

٥ ـ علم السياسة

من قبيل النظام السياسي في القرآن، حيث يقدّم القرآن الكريم نظاماً سياسياً

---

١ ـ الأعراف: ٢٠١.

٢ ـ النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

٣ ـ ق: ١٨.

خاصاً، ويعتبر المشروعية متنزّلة من الأعلى إلى الأسفل، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

وهذا الأمر يخالف الأنظمة السياسية المعاصرة في العالم، والتي ترى مشروعية الحكومة في العالم منبثقة ـ في العادة ـ من الأسفل إلى الأعلى، أي على أساس من رأي أفراد الشعب. وبعبارة أخرى: رغم أن لرأي الناس مكانة مرموقة في النظام السياسي الذي يدعو إليه القرآن، حيث يعتبر الناس هم المعيار في مقبولية الحكومة، إلا أن منشأ المشروعية هو أمر الله الذي يجري من طريق النبي الأكرم أو الإمام أو نائبه الخاص أو العام، وهؤلاء يقعون في طول بعضهم بعضاً.

لو تمّ تطبيق هذه النظرية القرآنية في علم السياسة، لكانت كافية لتغيير شكل النظام السياسي القرآني وجعله مختلفاً عن الأنظمة السياسية الأخرى، ولأمكن الخروج بنظام سياسي جديد. وإن تطبيق هذه النظرية القرآنية سيؤدي إلى سعادة البشر؛ وذلك لأن الذي سيتمّ تطبيقه في الحياة السياسية والاجتماعية للإنسان هو أمر الله الذي يتصف بأنه حكيم وعليم وأنه محيط بجميع أسرار الوجود، وهو أمر لا يتطرّق إليه الخطأ، وقد لاحظ الله في هذا الأمر جميع مصالح البشر.

في حين أن تطبيق الأنظمة السياسية الوضعية، من قبيل: الاشتراكية والديمقراطية عرضة للاختبار وإثبات ما إذا كان صائباً أم خاطئاً؛ لأن هذه الأنظمة السياسية تنطلق من إرادة الناس وهم غير معصومين من الخطأ، ولا يحيطون علماً بجميع الأمور، وبالتالي فإنها ستكون عرضة للخطأ.

كما أننا نرى التبعات المترتبة على الأنظمة السياسية الوضعية والحكومات

---

١ – النساء: ٥٩.

البشرية في جميع أنحاء العالم يومياً. وإن بعض هذه الأنظمة ـ من قبيل: النظام الشيوعي والاشتراكي ـ قد أعلن عن إفلاسه وفشله.

٦ـ علم الاجتماع

أ ـ النظام الاجتماعي القائم على القرآن

ب ـ السنن والقوانين الثابتة والسائدة في المجتمع.

وقد تقدمت الاشارة إلى ذلك عند التعرض إلى العلوم الانسانية.

٧ـ علم الإدارة

أ ـ النظام الإداري القائم على القرآن (الإدارة الرحمانية).

ب ـ بيان عنصر انشراح الصدر في الإدارة.

قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي**﴾[1].

خلاصة واستنتاج

لقد تعرّض القرآن الكريم إلى مختلف العلوم والحقائق العلمية التي لم يتم الكشف عنها وتأييدها من قبل العلم، ويمكن عرضها على العلماء في العلوم الحديثة بوصفها تنظيرات علمية في القرآن، لتكون أرضية للتحقيقات والأبحاث الجديدة، وتوجيه قواعد وأهداف العلوم؛ لتنتهي إلى إنتاج علم جديد. وبطبيعة الحال فإن استنباط النظريات العلمية من القرآن يقوم على أسس وأساليب وضوابط خاصة إذا لم تتمّ مراعاتها لن نتمكن من بناء نظرية معتبرة.

---

١ ـ طه: ٢٥ ـ ٢٧.

الفصل الخامس

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المقدمة:

إن القرآن الكريم هو كتاب المسلمين السماوي والذي يُعدّ معجزة نبي الإسلام الخالدة، وهو الدليل على أحقية النبي الأكرمﷺ والإسلام. وقد تحدّى الجميع ولا يزال يتحدّاهم بأن يأتوا بسورة مثل سوره، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1].

ولكن لم يتمكن أحدٌ حتى الآن من التغلب على القرآن في هذا التحدّي. إن لإعجاز القرآن أبعاداً وأوجهاً مختلفة، ومن بينها الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، حيث حظي في العصر الراهن باهتمام خاص من قبل الباحثين في الشأن القرآني، ومن قبل المختصين في العلوم الطبيعية والإنسانية على السواء[2].

ولكن لا تزال هناك تساؤلات وشبهات تطرح بشأن تعريف وماهية الإعجاز العلمي، وهي تساؤلات وشبهات يجب التدقيق فيها. ويجب أيضاً دراسة مصاديق الإعجاز العلمي للقرآن لكي نميّز بين موارده الصحيحة وغير الصحيحة. وفي هذا الفصل نسعى إلى الإجابة عن هذه التساؤلات، مع مناقشة الآراء المختلفة الواردة في هذا المجال.

١ـ مفهوم الإعجاز والمعجزة

لم يستعمل القرآن الكريم مصطلح «المعجزة» و«الإعجاز» لبيان الأمور

---

١ - البقرة: ٢٣.

٢ - انظر: د. محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١ و٢؛ وانظر أيضاً: الدكتور مصطفى رجب، الإعجاز التربوي للقرآن، وغيرهما.

الخارقة للعادة ومعجزات الأنبياء عليهم السلام، وإنما استعمل في هذا المورد مفردات من قبيل: «الآية»[١] و«البينة»[٢] و«البرهان»[٣] و«السلطان»[٤].

أ ـ المعنى اللغوي للمعجزة

تعود هذه المفردة إلى مادة «عجز». وقد ذكر لها اللغويون معاني واستعمالات متعددة:

١ ـ هناك من قال بأن مادة هذه المفردة تعني «التأخر عن الشيء». وهكذا فإنها تستعمل في مورد آخر الأمور وأعقابها[٥].

٢ ـ هناك من يرى أن أصل هذه المفردة يعني «الضعف»[٦]. ومن هنا يأتي لفظ «العاجز» الذي يطلق على الطاعنين في السن.

٣ ـ هناك من اللغويين من قال بأنها تعني فوت الشيء[٧].

٤ ـ هناك من اللغويين من ذهب إلى القول بأنها تعني «العثور على ضعف

---

١ – من قبيل: الأنبياء: ٥؛ آل عمران: ٤٩؛ الأعراف: ٧٣.

٢ – من قبيل: الأعراف: ٧٣؛ إبراهيم: ٩.

٣ – من قبيل: القصص: ٣٢؛ النساء: ١٧٤.

٤ – من قبيل: إبراهيم: ١١.

٥ – انظر: الراغب الإصفهاني، المفردات؛ ابن فارس، مقاييس اللغة. حيث فسّرا هذه المفردة بأحد المعنيين الرئيسين.

٦ – يرى الراغب في مفرداته أن هذه المعنى الثانوي لهذه المفردة، في حين ذهب ابن فارس في المقاييس إلى أنها أحد معنييها الأصليين.

٧ – انظر: الفيومي، مصباح اللغة؛ أقرب الموارد، ج٢، مادة (عجز)، (يستعمل هذا المعنى في مورد الأشياء؛ فيقال: أعجزه شيء).

لدى الآخرين»[١].

٥ ـ هناك من اللغويين من ذهب إلى القول بأنها تعني «إيجاد الضعف لدى الآخرين»[٢].

النتيجة: يبدو أن الجذر الأصلي لهذه المفردة «عجز» هو «الضعف» المقابل للقدرة. وإن لهذا الضعف مراتب. ومن هنا يطلق هذا اللفظ على كبار السن؛ لأنهم يضعفون عن الحركة ويفقدون نشاطهم وحيويّتهم وحركتهم وعطاءهم. كما يطلق على مؤخر الشيء وخلفه «عجز» أيضاً؛ لدناءته وضعفه. والإعجاز: إيجاد العجز عند الآخرين، والعثور عليه فيهم.

لم نعثر في القرآن الكريم على استعمال مفردة «المعجزة» بمعناها الاصطلاحي وهو (العمل الخارق للعادة الذي يدل ويشهد على النبوّة). ولكنها قد استعملت في الكثير من الموارد بمعاني مختلفة، من قبيل:

ـ العجوز، والذي يعني الهرم والعجز عن إنجاب الأولاد، كما في قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن زوج إبراهيم عليه السلام: ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾[٣]، وقال في وصف امرأة لوط ﴿**إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ**﴾[٤].

ـ العجز والضعف ونفي القدرة، كما في قوله تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا**

---

١ – انظر: المصدر أعلاه (يستعمل هذا المعنى في مورد الأفعال؛ فيقال: أعجزت زيداً).

٢ – انظر: المصدر أعلاه (يستعمل هذا المعنى في مورد التفعيل؛ فيقال: عجّزته تعجيزاً).

٣ – هود: ٧٢.

٤ – الصافات: ١٣٥.

﴿يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ﴾[١].

ـ استمرار حالة الضعف (معاجزين)، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٢].

ـ استحالة تعجيز الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾[٣].

ـ بلفظ (معجزين) كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٤].

ـ بلفظ (ليعجزه)، بمعنى إيجاد العجز، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٥].

ـ بلفظ (أعجاز) بمعنى جذوع النخل التي تستأصل من الأرض فتحرم من الغذاء الذي كانت تحصل عليه من التربة، من قبيل قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٦].

وتوجد هنا مسائل:

المسألة الأولى: إن «الإعجاز» أياً كان شكله فهو ملازم للتأثير والتفوق

---

١ – المائدة: ٣١.

٢ – سبأ: ٣٨.

٣ – التوبة: ٢.

٤ – الأنعام: ١٣٤، وانظر أيضاً: فصلت: ٣١؛ النور: ٥٧؛ العنكبوت: ٢٢.

٥ – فاطر: ٤٤.

٦ – القمر: ٢٠، وانظر أيضاً: الحاقة: ٧.

والهيمنة والحكومة[١].

المسألة الثانية: الملفت أن مفردة «المعجزة» قد استعملت في الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام بمعناها الاصطلاحي، ومن هنا يتضح أن هذه المفردة كانت تستعمل منذ عصر الأئمة عليهم السلام، وإنها كانت تستعمل بدلاً من «الآية».

من باب المثال انظر إلى هذه الرواية المروية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام والتي يقول فيها: «المعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه؛ ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب»[٢].

ب ـ المعنى الاصطلاحي للمعجزة

عرفت المعجزة بعدة تعريفات وذلك لان بحث المعجزة في الحد الأدنى يقع في أربعة علوم، وهي: علم التفسير، وعلوم القرآن، وعلم الأصول، وعلم الكلام. وقد نسب إلى بعض المتقدمين القول بأنها جزء من علم الأصول[٣].

وهناك من بحثها في علم الكلام (العقائد)، مثل: الخواجة نصير الدين الطوسي، والعلامة الحلي في تجريد الاعتقاد، وصاحب نثر طوبى، والملا فتح الله الكاشاني[٤].

وهناك من المفسرين من تناولها بالبحث في تضاعيف تفسيره للقرآن الكريم،

---

١ – انظر: حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٨، ص٣٩.

٢ – انظر: بحار الأنوار، ج١١، ص٧١؛ ميزان الحكمة، ج٦، ص٦٦.

٣ – من أمثال الشيخ الطوسي والطبرسي، انظر: تفسير التبيان، ص٣، وزندگي نامه شيخ طوسي، ص١١٠؛ والعلامة الطباطبائي، إعجاز قرآن، مقدمة علي رضا ميرزا محمد، ص٩، وربما كان مرادهم هو علم أصول العقائد (أي: علم الكلام)، وليس أصول الفقه.

٤ – انظر: منهج الصادقين، ج١، ص١٤؛ نثر طوبى، ج٢، ص١١٩.

وعند الحديث عن معجزات الأنبياء، مثل: العلامة محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان، وآية الله طيب في كتابه أطيب البيان وغيرهما[١].

وهناك من تناولها بالبحث في علوم القرآن، من أمثال: السيوطي في الإتقان، وآية الله محمد هادي معرفت، في كتاب التمهيد في علوم القرآن[٢].

لسنا هنا بصدد بيان الموقع الحقيقي لهذا البحث، بيد أنه ربما كان بيان بحث الإعجاز في مختلف العلوم يأتي من ناحية تنوّع أبعاد هذا البحث، بحيث أن كل جماعة تنظر إليه من زاويتها الخاصة.

وحيث أن هذا البحث قد تمّ طرحه في مختلف العلوم، فقد شهدنا تعريفات مختلفة له أيضاً، وفيما يلي نشير إلى بعضها:

١ ـ فقد عرّف الخواجة نصير الدين الطوسي رحمه الله المعجزة على النحو الآتي:

«طريق معرفة صدقه: ظهور المعجز على يده، وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى»[٣].

ثم ذكر العلامة الحلي في شرح هذا الكلام عدداً من الشروط كالآتي:

أ ـ أن يعجز عن مثله أو عما يقاربه الأمة المبعوث إليها.

ب ـ أن يكون من قبل الله تعالى أو بأمره.

ج ـ أن يكون في زمان التكليف لأن العادة تنتقض عند أشراط الساعة.

---

١ – انظر: أطيب البيان، ج١، ص٤٠ ـ ٥٩؛ الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧٣ فما بعد.

٢ – انظر: محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج٤؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٣، ص٣.

٣ – الخواجة نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٣٥٠، نشر جامعة مدرسين، ١٤٠٧ للهجرة.

د ـ أن يحدث عقيب دعوى المدعي للنبوة أو جاريا مجرى ذلك ونعني بالجاري مجرى ذلك أن يظهر دعوة النبي في زمانه وأنه لا يدعي النبوة غيره ثم يظهر المعجزة بعد أن يظهر معجزا آخر[١].

و ـ أن يكون الفعل خارقاً للعادة.

٢ ـ عرّف السيوطي المعجزة في كتاب الإتقان على النحو الآتي:

«المعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي سالمٌ عن المعارضة»[٢].

٣ ـ وقال آية الله الخوئي رحمه الله في تعريف المعجزة:

«المعجزة اصطلاحاً: أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره، شاهداً على صدق دعواه».

ثم عمد سماحته إلى بيان بعض الشروط على صدق هذا المدعى، وهي كالآتي:

أ ـ أن يكون [المدّعي] صادقاً في تلك الدعوى (بأن لا يدعي محالاً عقلياً كأن يدعي الألوهية مثلاً).

ب ـ أن يقع الأمر على طبق ما يقول (بأن تكون المعجزة تصديقاً له، لا تكذيباً له كما حصل لمسليمة الكذاب عندما تفل في بئر قليلة الماء ليكثر ماؤها؛ فغار واختفى تماماً).

ج ـ أن لا يكون ما يقوم به من السحر والشعوذة.

د ـ أن يقترن ما يقوم به بالتحدّي[٣].

---

١ – المصدر أعلاه.

٢ – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٣، ص٣.

٣ – السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ٣٥ ـ ٣٦، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم المقدسة.

٤ ـ وقال العلامة محمد حسين الطباطبائي رحمه الله في تعريف المعجزة:

«لا شبهة في دلالة القرآن على ثبوت الآية المعجزة، وتحققها بمعنى الأمر الخارق للعادة، الدال على تصرّف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة، لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل»[١].

وقال في موضع آخر:

«إن المعجزة أو الآية (بحسب أصل التسمية) كما هو ظاهر لفظها: أمر خارق للعادة، يتمّ اجتراحه لإثبات الحق ويكون مقروناً بالتحدّي (الدعوة إلى الإتيان بالمثل) ... والمعجزة أياً كانت وكيفما تحققت هي أمر خارق للعادة، وخارج عن نظام العلل والمعلولات والأسباب والمسببات التي نأنس بها ونعرفها بحسب العادة»[٢].

٥ ـ وقال العلامة عضد الدين الإيجي وهو من علماء أهل السنة المتكلمين، في تعريف المعجزة:

«هي [المعجزة] عندنا ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله».

ثم وضع سبعة شروط للمعجزة، وهي كالآتي:

الأول: أن يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه.

الثاني: أن يكون خارقا للعادة؛ إذ لا إعجاز دونه.

الثالث: أن يتعذر معارضته.

الرابع: أن يكون ظاهراً على يد مدعي النبوة؛ ليعلم أنه تصديق له.

---

١ – العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٦٦، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦.

٢ – العلامة محمد حسين الطباطبائي، اعجاز قرآن، ص١١٥ ـ ١١٦.

الخامس: أن يكون موافقاً للدعوى.

السادس: ألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذباً له.

السابع: أن لا تقع المعجزة قبل ادعاء النبوّة[١].

٦ ـ وقال سماحة الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي:

«إن المعجزة عبارة عن: الأمر الخارق للعادة الذي يظهره مدّعي النبوّة بإرادة الله تعالى، وتكون دليلاً على صدق مدّعاه»[٢].

٧ ـ وقال بعض المؤلفين في بيان المعجزة:

«الدليل الذي يبرهن على صدق النبي في دعواه هو المعجزة، وهي أن يحدث تغييراً في الكون ـ صغيراً أو كبيراً ـ يتحدّى به القوانين الطبيعية التي ثبتت عن طريق الحسّ والتجربة»[٣].

مناقشة

إن هذا الكتاب لا يتسع لمناقشة جميع هذه التعريفات ونقدها. ولكن يمكن القول إن بعض هذه التعريفات ناقص، وبعضها قابل للنقض (بمعنى عدم كونها جامعة ولا مانعة)، وفيما يلي نشير إلى بعض هذه الإشكالات:

١ ـ إن من بين الشروط التي ساقها العلامة الحلي في تجريد الاعتقاد، أن لا يكون هناك من يدعي النبوة معاصراً للنبي، كي يتضح أن المعجزة صادرة عنه. في حين أن سلسلة النبوات شهدت أنبياء متعاصرين، كما هو الحال بالنسبة إلى النبي

---

١ – الإيجي، شرح المواقف، ص٥٤٧.

٢ – محمد تقي مصباح اليزدي، آموزش عقايد (دروس في العقيدة)، ص٢٦٣ (في مجلدين).

٣ – السيد محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص١٢٧، نقلاً عن الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره.

إبراهيم ولوط (عليهما السلام)؛ وعليه يمكن أن يكون لكل نبي معجزته الخاصة.

٢ ـ أما القيود التي وضعها العلامة الطباطبائي على تعريفات المعجزة، فهي بحاجة إلى قيود أخرى، من قبيل: أن لا تقع المعجزة مغلوبة، وأن يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها، وما إلى ذلك.

٣ ـ جاء في تعريف الإيجي أن «المعجزة من فعل الله». في حين أن هذا هو عين المدعى الذي تريد المعجزة إثباته، ولازمه صدق النبوة، وعليه لا يمكن لذلك أن يكون شرطاً للمعجزة.

ومن جهة أخرى قال: إن المعجزة تظهر صدق النبوة، في حين أن المعجزة لا تقتصر على إثبات دعوى النبوة، وإنما يمكن أن تثبت كل منصب من المناصب الإلهية، من قبيل الإمامة مثلاً.

النتيجة

إن المعجزة أو (الآية والبينة والبرهان) عبارة عن الشيء (والأمر والكلام) الذي يشتمل على الخصائص والعناصر الآتية:

أ ـ أن تكون خارقة للعادة، بمعنى أن تنقض وتخرق القوانين الطبيعية.

وبطبيعة الحال لا بد من التنويه هنا إلى أن المعجزة لا تعني ارتكاب المحال العقلي، وإنما المعجزة تعني ارتكاب المحال العادي. كما أن المعجزة لا تعني نقض قانون العلية؛ لأنها تقع تحت قانون العلية العام، وإنما تكون علتها عبارة عن أمر غير مادي.

ب ـ أن تصدر عن مدعي المنصب الإلهي، وبعد صدور الدعوى عنه.

وعليه لو صدر خارق للعادة قبل ادعاء النبوة، لا يمكن أن يكون دليلاً على

ادعاء النبوة. وكذلك لو صدر ما يعتبر خارقاً للعادة دون أن يقترن بادعاء منصب من المناصب الإلهية، حيث سيكون عندها من قبيل الكرامة، وليس معجزة بالمعنى الاصطلاحي.

ج ـ أن تقترن المعجزة بالتحدي، بمعنى أن يدعو مجترحها الآخرين للإتيان بمثلها.

د ـ أن لا يمكن قهرها والتغلب عليها، وأن يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها. بمعنى أن لا تكون المعجزة من قبيل أعمال السحرة والمرتاضين ومن لفّ لفهم، مما يمكن نقضه بتأثير إرادة أقوى منها، أو تعمل على إبطالها وإزالتها.

هـ ـ أن تأتي لإثبات أمور، لا تكون غير ممكنة. بمعنى أن المعجزة لا يمكن أن تأتي لإثبات محال عقلي (من قبيل ادعاء الربوبية والإلوهية) أو المحال النقلي (من قبيل ادعاء النبوة بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله).

و ـ أن لا تكون من موارد الشرّ التي تستلزم الإضرار بالآخرين؛ لأن ذلك لا ينسجم مع الهدف من المعجزة وهو (الهداية).

ز ـ أن تكون المعجزة شاهداً على صدق المدّعي. بمعنى أن يقع على أرض الواقع والخارج ما قام عليه الادعاء. من باب المثال: عندما يدعي المدعي أن باستطاعته إبراء الأعمى، لا يكون المتحقق هو إبراء الأصم. وكذلك أن لا تعمل تلك المعجزة على تكذيب صاحبها، كما لو أبرأ الأكمه؛ فنطق بتكذيب المدعي.

وبعبارة أخرى: هناك في المعجزة ثلاث حيثيات أو جهات، وهي:

الأولى: حيثية مجترح المعجزة (إذ يجب أن يدعي منصباً إلهياً، وأن يكون متحدياً وما إلى ذلك، وأن لا يكون هدفه إثبات أمر محال).

الثانية: حيثية المعجزة (إذ يجب أن تكون من خوارق العادة، وشاهداً على صدق المدعي، وأن لا تكون من أمور الشر).

الثالثة: حيثية الناس الذين تجترح المعجزة من أجل إقناعهم (إذ يجب أن يعجزوا عن الإتيان بمثلها).

٢ـ الجذور التاريخية للاعجاز العلمي في القرآن

إن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم واحد من الموضوعات الجديدة في حقل إعجاز القرآن الكريم، حيث يندرج ضمن مجموعة العلوم القرآنية. وعلى الرغم من تأليف الكثير من الكتب في موضوع إعجاز القرآن طوال القرون الأربعة عشر المنصرمة من ظهور الإسلام[١]، إلا أن الإعجاز العلمي للقرآن حديث الولادة، وذلك عندما قام الدكتور محمد بن أحمد الإسكندراني (١٣٠٦ للهجرة)، قبل ما يقرب من قرن واحد بكتابه «كشف الأسرار النورانية القرآنية في ما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية»، إذ تحدّث فيه عن الإعجاز العلمي للقرآن.

ثم جاء بعد ذلك دور رشيد رضا في تفسير المنار[٢]، والطنطاوي في جواهر القرآن، حيث كان لهما توجه غير مسبوق إلى اكتشافات العلوم التجريبية في مختلف الحقول، وتطبيقها على القرآن الكريم. وفي العقود الأخيرة أضيفت نظرية النظم الرياضي والحسابي للقرآن والإعجاز العددي من قبل الباحث المصري الدكتور رشاد خليفة، بوصفه داخلاً ضمن دائرة الإعجاز العلمي

---

١ – انظر: د. محمد علي رضائي إصفهاني، كتاب شناسي إعجاز قرآن.

٢ – انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، ج١، ص٢١٠ ـ ٢١٣.

ومندرجاً تحت وجوه إعجاز القرآن الأخرى.

ومع ذلك حظي هذا الموضوع في هذه الفترة القصيرة باهتمام الباحثين في الشأن القرآني والمختصين في مختلف العلوم، وتمّ تأليف الكثير من الكتب والمقالات بشأن الإعجاز العلمي، وتمّ فتح مواقع كثيرة على شبكة الإنترنيت تختص بهذا الموضوع[1]. كما صدرت في هذا المجال مجلات علمية، ومن بينها: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عن رابطة العالم الإسلامي، وقد بلغت أعدادها حتى الآن ما يزيد على الثلاثين عدداً. وقد تمّ طرح الكثير من الشواخص بشأن الإعجاز العلمي، من قبيل: الإعجاز الطبي، والإعجاز الفلكي، والإعجاز الجغرافي، والإعجاز الأحيائي، والإعجاز الرياضي، والإعجاز الاقتصادي، والإعجاز التربوي، والإعجاز الاجتماعي وما إلى ذلك. وقد تمّ تأليف الكتب والمقالات التخصصية في هذا الموضوع. ومن بين أهمّ الكتب في هذا المجال هي:

ـ پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، (دراسات في الإعجاز العلمي للقرآن) لمؤلفه الدكتور محمد علي رضائي إصفهاني.

ـ الإعجاز التربوي للقرآن، لمؤلفه الدكتور مصطفى رجب.

---

١ – ومن بينها المواقع الآتية:

ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.٥٥a.net).

ـ عبد الدائم الكحيل (www.kaheelv.com).

ـ نوران رابطة العلم الإسلامي (www.nooran.org).

ـ مكنون الإعجاز العلمي في القرآن (www.maknoon.com).

ـ شبكة الإعجاز في القرآن والسنة (www.Miracweb.net).

ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.Zelnaggar.com).

ـ أفكار علمية (www.afkaar.com).

ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهّرة، لمؤلفه يوسف الحاج أحمد.

ـ الموسوعة العلمية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، لمؤلفه الشيخ أمجد فتحي والدكتور هاني بن مرعي القليني.

ـ الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، لمؤلفه الدكتور أحمد مصطفى متولي.

ـ من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لمؤلفه الدكتور حسن أبو العينين.

٣ـ دائرة الإعجاز والمعجزة

هناك أفق واسع للمعجزة، كما أن لها شرائط واعتبارات يتم مراعاتها من قبل مدعيها، وهنا نشير إلى بعض هذه الاعتبارات والحدود التي تكون المعجزة ضمنها:

أ ـ تناسب المعجزة مع الزمان

عندما يتمّ بعث الأنبياء إلى أمّة فإنهم كانوا يراعون الظروف والشرائط الزمانية والمكانية، وكذلك المستويات العلمية والمعرفية لأفراد الأمة. من هنا كانوا يتكلمون معهم بأمور تتناسب ومستوى فهمهم. وحتى معجزات الأنبياء تأتي بشكل متناسب مع تطوّر العلوم في تلك العصور، كيما تتمكن الطبقة الواعية والمتعلمة في المجتمع من إدراك حقيقة المعجزات وصدقها بشكل أسرع من غيرهم وعلى نحو أفضل؛ فيساعد ذلك على إعتناقهم للدين والإيمان بالله، وإيمان سائر الطبقات الاجتماعية الأخرى من ورائهم.

بمعنى أن الله سبحانه وتعالى كان يزوّد كل نبيّ بمعجزة من نوع ما توصل

إليه التطوّر العلمي في عصره، لكي يتأكد ارتباطه بعالم ما وراء الطبيعة بشكل أوضح، ويخضع له علماء عصره ويعترفون بصدقه.

ففي رواية عن أبي يعقوب البغدادي، قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن [الرضا]عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟ فقال عليه السلام:

«إن الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات[1]، واحتاج الناس إلى الطبّ؛ فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام ـ وأظنه قال: الشعر ـ فأتاهم الله من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم»[2].

وبطبيعة الحال فإن هذه الرواية لا تعني أن القرآن الكريم يقتصر في إعجازه على الجانب البلاغي والفصاحة فقط، بل حيث أنه معجزة خالدة ولجميع الناس في جميع الأعصار والأمصار إلى يوم القيامة، تكون أبعاد إعجاز القرآن متنوّعة، وتظهر لكل أمّة ناحية من الأعجاز القرآني لم تكن ظاهرة لغيرهم.

---

١ – الزمانات من الزمنة، بمعنى: الآفات التي تصيب بعض الأعضاء فتمنعها من الحركة، كالفالج.

٢ – محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي: ج١، ص٧٢ ـ ٧٣، دار الأضواء، ط ١، بيروت، ١٩٩٢؛ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص١٩، وج ١٧، ص٢١٠؛ وكذلك: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢، ص٤١٨ ـ ٤١٩.

ب ـ أقسام المعجزة

يمكن تقسيم المعجزات بالنظر إلى بعض الجهات المختلفة والاعتبارات، نشير إليها على النحو الآتي:

١ ـ المعجزة الاقتراحية وغير الاقتراحية:

تطلق المعجزة الاقتراحية على المعجزة التي يجترحها النبي عند مطالبة الناس له باجتراحها، أما المعجزة التي يبادر النبي باجتراحها ابتداء دون مطالبة من قبل الناس، فهي معجزة غير اقتراحية (من قبيل: نزول القرآن وغير ذلك من المعجزات الأخرى).

٢ ـ المعجزة الحسيّة والعقلية:

إن المعجزة الحسية هي تلك التي تدرك بالحواس الظاهرية للإنسان، من قبيل عصا النبي موسى عليه السلام حيث كان الناس يشاهدون انقلابها إلى أفعى بأمّ أعينهم. أما المعجزة العقلية فهي التي يتضح إعجازها للناس بعد التفكير والتدبّر فيها، كما هو الحال بالنسبة إلى معجزة القرآن الكريم.

٣ ـ المعجزة المؤقتة والدائمة:

إن المعجزة المؤقتة هي المعجزة الخاصة بزمان ومكان محدد، والتي تنتهي بانتهاء ذلك الزمان والانقطاع عن ذلك المكان، لتحكى بعد ذلك إلى الأجيال اللاحقة، فإن كانت حكايتها تورث القطع واليقين، كانت حجّة على الأجيال اللاحقة أيضاً. من قبيل: اليد البيضاء لسيدنا موسى عليه السلام، أو ناقة النبي صالح عليه السلام، أو معجزات النبي عيسى عليه السلام، مثل إحياء الموتى، وإخباره الناس عما يوجد من طعام في بيوتهم[1].

---

١ - انظر: آل عمران: ٤٩.

وأما المعجزة الدائمة والباقية أو الخالدة فهي تلك التي يستمر إعجازها ويتواصل عبر الأزمنة والأمكنة، وتبقى حجيتها على الأجيال اللاحقة أيضاً، ويمكن إثبات إعجازها. مثل: القرآن الكريم الذي هو المعجزة الخالدة لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

تنويه: إن الأديان المؤقتة والمرحلية مثل: اليهودية والمسيحية، تكون معجزاتها مؤقتة أيضاً، أما الدين الإسلامي الحنيف فحيث كان خالداً ولجميع الأزمنة إلى يوم القيامة، فإن معجزته تكون خالدة أيضاً.

ج ـ رقعة إعجاز القرآن

إن الآيات التي استعرضت التحدّي والدعوة إلى الناس بالإتيان بمثل القرآن على عدّة أنحاء. فهي تارة تدعو الناس إلى أن يأتوا بمثله، أو عشر سور من مثله، وأحياناً تكتفي بالإتيان ولو بسورة واحدة من مثله. من قبيل قوله تعالى:

ـ ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُـرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَـاتٍ وَادْعُـوا مَـنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

ـ ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْـدِنَا فَـأْتُوا بِسُـورَةٍ مِـنْ مِثْلِـهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

كما اشتملت الآية الثامنة والثلاثون من سورة يونس على مضمون مثل

---

١ ـ الإسراء: ٨٨

٢ ـ هود: ١٣.

٣ ـ البقرة: ٢٣.

مضمون هذه الآية، فهي تقول: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وعليه فإنها تخلو من كلمة (من) قبل (مثله). وسوف يكون لنا حديث في هذا الشأن في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[1].

وعلى الرغم من أن ظاهر كلمة «مثله» يدل على جميع القرآن، بيد أن كلمة «حديث» و«كلام» يمكن أن يدل على ما هو أقل من السورة أيضاً. من هنا ذهب بعض إلى احتمال أن يكون مقدار التحدي وإثبات الإعجاز في عدم الإتيان ولو بسورة أو عدد قليل من الآيات التي تشتمل عليها سورة من قصار السور أيضاً[2].

تنويه: إن الملفت في الآيات المتقدمة هي أنها عندما تتحدث عن التحدي فيما يتعلق بالإتيان بمثل القرآن ومجموعه أو بالإتيان بمثل عشر سور منه، يكون الحديث في سياق تكاتف الجماعات وتعاضدهم، في حين يتمّ التحدي بالإتيان بمثل سورة واحدة من سوره في سياق قضية الشهود دون الأنصار. وربما كان السبب في ذلك أن التحدي الأول يصعب على شخص واحد، أو أنه يشير إلى وجود إعجاز القرآن ومراتبه.

إن شمولية التحدي في القرآن على ثلاثة أنواع، وهي:

١ ـ الشمول الأفرادي: قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ لَئِنِ

---

١ – الطور: ٣٣ ـ ٣٤.

٢ – انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٠.

اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١].

بمعنى إن جميع أفراد الإنسان وحتى الجن إذا اجتمعوا لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وبحسب المصطلح إن العموم هنا هو عموم أفرادي، بحيث يشمل جميع أفراد الناس الموجودين في هذا العصر، وحتى الأفراد الذين سيوجدون في المستقبل.

٢ ـ الشمول الزماني: بمعنى أن هذه الدعوة والتحدّي قد بدأ منذ صدر الإسلام، وسوف يستمر هذا التحدي إلى الأبد، ولذلك نجد أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن: **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾**[٢].

٣ ـ الشمول الأحوالي: وهو شمول يُستفاد من إطلاق الآية، بمعنى أنكم في جميع الأحوال سواء أكنتم من العرب أم من العجم الأدباء (المتخصصون في الأدب العربي)، أو كنتم متخصصين في أي حقل آخر، لن تستطيعوا أن تأتوا بمثل هذا القرآن أبداً.

ويمكن أن نستفيد من شمول وعموم وإطلاق هذه الآية أن جهة وسر إعجاز القرآن يجب أن يكمن في شيء آخر، ليشمل جميع الأزمنة وجميع الأحوال. وهذا في وقت يذهب بعض العلماء من أمثال الشاطبي إلى القول بأن إعجاز القرآن يقتصر على زمن نزوله. وبمجرد أن يعجز المعاصرون للقرآن أمام هذا التحدي، يكون ذلك كافياً لإثبات إعجاز القرآن، ويمكن أن يتمّ الاحتجاج

---

١ - الإسراء: ٨٨

٢ - البقرة: ٢٤.

بذلك على الأجيال اللاحقة أيضاً[١].

يمكن لنا أن نطرح عدّة احتمالات في مرجع الضمير في عبارة «من مثله» في الآية الثالثة والعشرين من سورة البقرة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾، كالآتي:

١ ـ أن يكون مرجع الضمير هو القرآن (ما نزّلنا)، بمعنى: فأتوا بمثل القرآن. وهذا هو المستفاد من ظاهر الآية، وعليه المشهور في اللغات، وقد ذهب العلامة الطباطبائي رحمه الله في الميزان إلى اختيار هذا الاحتمال أيضاً[٢].

٢ ـ أن يكون مرجع الضمير هو الله، بمعنى: (أن تأتوا بسورة مثل الله)، وهو الكلام الذي ساقه الزملكاني (م ٦٥١ للهجرة) كاحتمال، ولكنه ضعيف؛ لأن سياق هذه الآية، مع سياق الآية القائلة: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾[٣] واحد، والضمير في هذه الآية لا يمكن أن يعود إلى الله[٤].

٣ ـ أن يكون مرجع الضمير هو عبدنا (النبي صلى الله عليه وآله)، بمعنى: (فأتوا بسورة مثل ما صنع النبي صلى الله عليه وآله وهو شخص أمي)؛ أي أن صدور سورة مثل سور القرآن أمر مستحيل التحقق من قبل شخص غير متعلم كما هو شأن النبي صلى الله عليه وآله. وهذا القول احتمله العلامة الطباطبائي في الميزان[٥].

تذكير: ربما كان في هذا الأمر إشارة إلى مراتب إعجاز القرآن. بمعنى أن الإتيان بسورة واحدة ـ بالالتفات إلى عدم اشتمالها على جميع جهات الإعجاز ـ

---

١ – انظر: الإعجاز البياني، ص٦٥ ـ ٦٨، نقلاً عن التمهيد، ج٤، ص٢٤.

٢ – العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٨.

٣ – هود: ١٣.

٤ – انظر: محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص٧٧.

٥ – انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٨.

مستحيل على الفرد الأمي وغير المتعلم، كما أن الإتيان بعشر سور ـ بالالتفات إلى اشتمال محتوى هذه السور على الكثير من وجوه الإعجاز ـ مستحيلة على الكثير من ذوي الاختصاصات المختلفة أيضاً.

بمعنى أن كل آية تشتمل على خطاب إلى شخص أو أشخاص بعينهم (الأمي ـ الجن والإنس)، وتبين مرتبة واحدة من مراتب الإعجاز. والشاهد على ذلك ما تقدم أن ذكرناه من أن التحدي في مورد العشر سور وكل القرآن يقترن بالإشارة إلى التعاضد والتظاهر بين الإنس والجن، وأما في مورد التحدي بسورة واحدة لا يرد الحديث عن التظاهر، وإنما يكتفى بالحكام والشهود للفصل بين السورتين اللتين تصدران عن فرد أمي؛ ليتضح أنه ليس باستطاعة أيّ فرد أمي أن يكون مثل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويأتي بسورة إعجازية.

ومن هنا يتضح جواب «الزملكاني» أيضاً، من أن سياق الآيتين ليس واحداً؛ لأن سورة هود تتحدث عن عشر سور، وليس سورة واحدة، كما لا يوجد في سورة هود مرجع مثل «العبد»، وكذلك لا توجد هناك كلمة «من».

وعليه رغم أن ظاهر الآية يثبت المعنى الأول، إلا أن المعنى الثالث هو الأدق على ما يبدو.

٤ ـ هذا وقد ذكر العلامة الطباطبائي رحمه الله في الميزان احتمالاً آخر، كأن يرجع الضمير إلى سورة البقرة مثلاً، ثم عمد إلى تضعيف هذا الاحتمال.

٤ـ موارد إعجاز القرآن الكريم

هناك الكثير من الآراء والنظريات المطروحة بشأن الإعجاز القرآني منذ القدم، بيد أن بالإمكان اختزالها في أحد عشر رأياً، وفيما يلي نشير إلى أهم تلك الآراء، وإذا كان هناك من له نظرة إيجابية تجاه عدد من الآراء، فإننا سنذكره في جميع الموارد:

أ ـ الفصاحة والبلاغة:

بمعنى أن القرآن معجزة أدبية، وإنه في الحدّ الأعلى من الفصاحة والبلاغة والجزالة، بحيث لا تدانيها في ذلك خطبة أو شعر أو كلام عربي قبل الإسلام وبعده أبداً[1].

ب ـ أسلوب القرآن ونظمه الخاص:

على الرغم من أن القرآن يتألف من حروف وكلمات عربية شائعة الاستعمال، إلا أن النظم الخاص لتلك الكلمات وتأليفها الفذّ في التراكيب الكلامية يعدّ معجزة، بمعنى أنه لا من الشعر ولا من النظم، بل هو كلام خاص،

---

١ – وربما كان هذا هو أشهر الآراء في باب الإعجاز القرآني، ويمكن لنا أن نشير من بين القائلين به إلى الأسماء الآتية:

١ ـ عبد القادر الجرجاني (م ٤٧١ للهجرة)، في كتابه: دلائل الإعجاز، والشافية، نقلاً عن التمهيد، ج٤، ص.٤١

٢ ـ السكاكي (م ٥٦٧ للهجرة)، في كتابه: مفتاح الكرامة، ص١٩٦ ـ ١٩٩.

٣ ـ فخر الدين الرازي (م ٦٠٦ للهجرة)، في كتابه: نهاية الإيجاز في دراية الإعجار، نقلاً عن التمهيد، ج٤، ص.٥٠

٤ ـ القاضي عبد الجبار المعتزلي (م ٤١٥ للهجرة) في كتاب: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص٥٨٥ ـ ٥٩٤.

٥ ـ ابن ميثم البحراني (٦٣٦ ـ ٦٩٩ للهجرة)، حيث نسب هذا الرأي إلى أكثر المعتزلة، نقلاً عن التمهيد، ج٤، ص.٨٠

٦ ـ الشيخ محمد عبده، المصدر أعلاه، ص.١٢٩

٧ ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٣٧٣ للهجرة)، المصدر أعلاه، ص.١٣٢

٨ ـ الأستاذ آية الله السيد أبو الفضل مير محمدي، في كتابه: تاريخ وعلوم القرآن (معاصر)، تاريخ وعلوم قرآن، ص٢٠٠، طبعة دفتر انتشارات اسلامي، الطبعة الرابعة، ربيع عام ١٩٩٦م.

ولا يمكن لأحد أن يأتي بمثله.

لأن الله عالم بجميع الحروف والكلمات والتراكيب، ويختار أفضلها، في حين أننا نفتقر إلى ذلك العلم الإلهي الكامل، ولا نمتلك قدرته، ولذلك لا نستطيع أن نأتي بمثل كلامه[1].

ج ـ الجمال والجاذبية الخاصة

منذ مستهلّ بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان تأثير القرآن على أفئدة الناس واضحاً وجلياً، حتى لم يجد المشركون بدّاً من منع الناس من الاستماع إليه، خوفاً من أن ينجذبوا إلى حلاوته وطلاوته.

ولا تزال هذه الحقيقة يتم تداولها حتى الآن تحت عنوان «موسيقى القرآن»، وقد انجذب إليها بعض المتأخرين في مصر وإيران وسائر الأقطار الإسلامية، إذ

---

١ ـ ويمكن لنا أن نشير من بين القائلين بهذا الرأي، إلى الأسماء الآتية:

١ ـ ابن سليمان الخطابي البستي (م ٣٨٨ للهجرة)، ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني، الرسالة الأولى للخطابي، ص٩ ـ ١٢.

٢ ـ ابن عطية (م ٥٤٢ للهجرة) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص.٩٧

٣ ـ الراغب الأصفهاني (م ٥٠٢ للهجرة)، مقدمة التفسير، ص١٠٤ ـ ١٠٩.

٤ ـ الشيخ الطوسي (م ٤٦٠ للهجرة)الاقتصاد في أصول الاعتقاد، ص٧٤ ـ ١٦٦.

٥ ـ القطب الراوندي (٥٧٣ للهجرة)، نقلاً عن: التمهيد، ج٤، ص.٦٤

٦ ـ الزملكاني (م ٦٥١ للهجرة)، المصدر أعلاه، ص.٧٥

٧ ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٣٧٣ للهجرة)، المصدر أعلاه، ص.١٣٢

٨ ـ الشيخ محمد جواد البلاغي، المصدر أعلاه، ص.١٣٣

٩ ـ الأستاذ آية الله السيد أبو الفضل مير محمدي، حيث قال بقوّة هذا الرأي أيضاً في كتاب (تاريخ وعلوم قرآن، ص٢٠٠).

يقولون: إن هذه الناحية من القرآن هي سرّ إعجازه، وإن الآخرين يعجزون عن الإتيان بمثل هذه الموسيقى المؤثرة[١].

د ـ صدور المفاهيم والتعاليم الإلهية السامية من قبل شخص أمّي

عندما نقارن المعارف القرآنية في حقل التوحيد وصفات الله بما ورد في سائر الكتب السماوية الأخرى وكلمات الفلاسفة والحكماء، سوف ندرك أن القرآن نسيج وحده في هذا المضمار، وفيه ما يذهل العقول ويتركها حائرة. وإن الآخرين يعجزون عن الإتيان بمثل هذه المعارف، هذا وإن كل هذه المعارف جاء بها شخص أمّي، وهذا القول هو الذي ذهب إليه آية الله السيد الخوئي[٢].

هـ ـ قوانين المحكم في القرآن:

إن نظام التشريع والتقنين في القرآن من الدقة والمتانة والثبات والقوّة بحيث لا يسع أي شخص أن يأتي بمثله، بل إن المقنن الوضعي لا تمرّ عليه فترة من الزمن حتى يدرك خطأ تشريعه وقانونه؛ فيسارع بنفسه إلى نقضه واستبداله بقانون آخر. من باب المثال إن الله يدعو إلى نظام العدل والوسطية والتآخي والعلم،

---

١ – ومن بين القائلين بهذه الناحية الإعجازية:

١ ـ ابن سليمان الخطابي البستي (م ٣٨٨ للهجرة)، نقلاً عن: التمهيد، ج٤، ص.٣٨

٢ ـ سيد قطب، المصدر أعلاه، ص.١٠٤

٣ ـ الأستاذ مصطفى محمود، المصدر أعلاه، ص.١٠٦

٤ ـ الدكتور محمد عبد الله الدرّاز، المصدر أعلاه، ص.١١٢

٥ ـ محمد صادق الرافعي، المصدر أعلاه، ص١١٨.

٦ ـ الأستاذ محمد فريد وجدي، المصدر أعلاه، ص١٢٧.

٢ – البيان في تفسير القرآن، المقدمة، ص٤٣ ـ ٩١؛ التمهيد، ج٤، ص١٣٥.

وعندما يخوض في أمر الآخرة لا ينسى شأن الدنيا. والقائل بهذه هو آية الله السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله أيضاً[١].

و ـ الأدلة القرآنية السامية

عندما يتحدّث القرآن الكريم عن التوحيد والمعاد والنبوّة، يكون حديثه من القوّة والجزالة والاستناد إلى القوانين الفكرية الصحيحة (المنطق) بحيث يخال للقارئ أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد درس المنطق والفلسفة لعشرات السنين، في حين أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة. وهذا هو الذي يثبت الإعجاز القرآني؛ إذ لا يسع الشخص الأمي أن يأتي بمثل جزالة هذه المفاهيم المعرفية.

ومن بين القائلين بهذا الرأي الشيخ محمد جواد البلاغي، صاحب تفسير آلاء الرحمن[٢].

ز ـ الإخبارات الغيبية بأحداث الماضي والمستقبل:

تحدّث القرآن الكريم في الكثير من مواطنه عن الأمم التي بادت ولم يعد لها من أثر، مثل: قوم لوط وعاد وثمود وغيرهم، وقد كشفت التنقيبات الأثرية فيما بعد عن آثارهم. أو حديثه عن النبوءات المقبلة، مثل الحديث عن اندحار الجيش الفارسي في مواجهة الروم، وهذا من الإخبارات الغيبية التي لا قبل للأشخاص العاديين أن يخبروا بها[٣].

---

١ ـ انظر: المصدر أعلاه.

٢ ـ نقلاً عن: التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٣٣.

٣ ـ ومن بين القائلين بهذا الرأي:

١ ـ القطب الراوندي (م ٥٧٣ للهجرة)، نقلاً عن: التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص.٦٤

٢ ـ السيد عبد الله شبّر (م ١٢٤٢ للهجرة)، نقلاً عن: المصدر أعلاه، ص.١٠٠

٣ ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ للهجرة)، نقلاً عن: المصدر أعلاه، ص.١٣٢

٤ ـ آية الله السيد أبو القاسم الخوئي، البيان، ص٤٣ ـ ٩١.

ح ـ أسرار الخلق في القرآن (الإعجاز العلمي):

إن من بين أبعاد الإعجاز في القرآن الذي ظهر في القرون الأخيرة، وقد أذهل الكثير من المتخصصين في مختلف العلوم، وصرّح بذلك بعض المنظرين في علوم القرآن، هو المسائل القرآنية فيما يتعلق بالموارد العلمية، من قبيل: قانون الزوجية العام في النباتات، وحركة الشمس والأرض، في حين لم يتوصل الإنسان إلى هذه الحقائق العلمية إلا بعد نزول القرآن بقرون طويلة. أو نظرية بطليموس التي كانوا يذهبون إلى الاعتقاد بخلافها[١].

تنويه: ربما أمكن جمع الرأي السابع والثامن تحت عنوان «الإعجاز العلمي في القرآن». وسنبحث هذا الأمر في البحوث القادمة إن شاء الله.

ط ـ استقامة البيان (عدم وجود الاختلاف في القرآن):

لقد نزل القرآن على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على مدى فترة تقدّر بثلاث وعشرين سنة، وكان منه ما نزل في الحرب، وفي الصلح، وفي السفر وما إلى ذلك. ومع ذلك لا نجد أي اختلاف أو تناقض في تعاليم القرآن الكريم ومفاهيمه. في حين لو راجعنا مؤلفات أي عالم كتب الكتب في أقل من هذه الفترة؛ لوجدنا تغيّراً واختلافاً كبيراً في آرائه.

وهذا الأمر يثبت إعجاز القرآن الكريم، وأن ليس بإمكان أي إنسان أن يأتي بمثل القرآن. ومن بين الذين قالوا بهذه النظرية آية الله السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله[٢].

وكذلك الشيخ محمد جواد البلاغي الذي سبق له أن ذهب إلى هذا القول[٣].

---

١ ـ انظر: السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٤٣ ـ ٩١.

٢ ـ انظر: أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٤٣ ـ ٩١.

٣ ـ انظر: التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٣٣.

ي- خلق الثورة الاجتماعية:

يذهب بعض المنظرين إلى القول بأن إعجاز القرآن الكريم يكمن في التغيير الكبير والثورة العظمى التي أحدثها في حياة الإنسان، وهو أمر لا ينسجم مع القوانين العادية والتجريبية للبشر في المجتمع والسنن التاريخية.

وقد مثل لذلك بالوضع الاجتماعي للعرب في شبه الجزيرة العربية، حيث لم يكونوا قبل الإسلام مطلعين على الحضارة والمدنية. ولكن القرآن قد انبثق من وسطهم، في حين يمثل كل كتاب مرآة لثقافة وعلم المجتمع الذي يظهر فيه. بيد أن القرآن الكريم قد ظهر على خلاف القوانين الطبيعية للمجتمع، وتمكن من أن يجعل المجتمع العربي صاحب ثقافة وحضارة جديدة[١].

ك- الصرفة:

هناك من يعتقد بأن إعجاز القرآن يكمن في عدم سماح الله لشخص بأن يأتي بمثل القرآن، بمعنى أنه يسلب القدرة عمّن يحاول تقليد القرآن تكويناً. وقد تمّت صياغة هذه النظرية على ثلاثة أشكال[٢]:

الأول: أن الله يحول دون الفرد وانعقاد الدافع لديه إلى المجيء بمثل القرآن.

الثاني: أن يسلب الله الفرد العلم الذي يتمكن من خلال المجيء بمثل القرآن.

الثالث: أن يكون لدى الفرد النية والقدرة على المجيء بمثل القرآن، ولكن الله يحول دونه ودون تحقيق ذلك في أرض الواقع.

---

١ - السيد محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص١٢٩ ـ ١٣٠. وقد ضمّن كتابه مقالات كاملة للشهيد محمد باقر الصدر، وهذا الكلام من تلك المقالات.

٢ - انظر: التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٥٢.

وبطبيعة الحال فإن هناك إجابات كثيرة على هذا الرأي[١]. وأغلب الأساتذة والمنظرين في العلوم القرآن لا يرتضونه[٢].

ل ـ جميع وجوه الإعجاز المتقدمة (باستثناء الصرفة):

وقد كان لهذا الرأي أنصار بين المفسرين والباحثين في الشأن القرآني، ومن بينهم:

العلامة محمد حسين الطباطبائي، حيث قال: «فالقرآن آية [معجزة] للبليغ في بلاغته وفصاحته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه، وللاجتماعي في اجتماعه و.. ومن هنا يظهر أن القرآن يدعي عموم إعجازه من جميع الجهات من حيث كونه إعجازاً لكل فرد من الإنس والجن من عامة أو خاصة ...»[٣].

كما ذهب الشيخ محمد جواد البلاغي إلى القول: توجد للعرب وسائر الناس أبعاد إعجازية أخرى (من قبيل: الأسرار الغيبية وما إلى ذلك)[٤].

وقال الشيخ محمد هادي معرفت: على الرغم من أن ظاهر القرآن (بالالتفات إلى تبحّر العرب في صدر الإسلام بالعلوم الأدبية) هو الإعجاز من حيث الفصاحة والبلاغة، إلا أنه في المراحل التالية كان خطاباً لعامة الناس وشاملاً لجميع البشرية، وإن تحدّي القرآن يشمل جميع الجهات، ولا ينحصر بالفصاحة والبلاغة[٥].

---

١ - انظر: المصدر أعلاه، ص١٥٢.

٢ - ومن بين القائلين بهذا الرأي:

١ ـ ابن إسحاق النظام (م ٢٣١ للهجرة)، نقلاً عن: التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص.١٤١

٢ ـ الشريف المرتضى (السيد المرتضى) (م ٤٣٦ للهجرة)، نقلاً عن: المصدر أعلاه، ص١٨٠.

٣ - العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٧ ـ ٦٧؛ التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص٢٣ و١٣٤.

٤ - انظر: التمهيد في علوم القرآن، ج٤، ص١٨٠.

٥ - انظر: المصدر أعلاه، ص٢٣.

كما يعتبر آية الله السيد الخوئي جميع هذه الأبعاد دليلاً على إعجاز القرآن. ولا يحصره بالمخاطبين من العرب أو العجم أو أهل فن وعلم بعينهم[١].

الاستنتاج

طبقاً لما تقدّم، فإن للإعجاز القرآني وجوهاً وأبعاداً متعددة، من قبيل: الفصاحة والبلاغة والمضمون والإخبار الغيبي وما إلى ذلك. إن تحدي القرآن يشمل جميع وجوه الإعجاز فيه (باستثناء الصرفة).

وبطبيعة الحال فإن جهات إعجاز القرآن تختلف باختلاف المخاطبين، فإنه يتحدى كل صاحب اختصاص في اختصاصه. وعلى الرغم من أن إعجاز القرآن والتحدي الذي أطلقه يشمل جميع الأزمنة، وقد مضى على نزوله أربعة عشر قرناً ولم يتمكن أحد من المجيء بمثله، يكفي ذلك في إثبات إعجاز القرآن وصدق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

٥ ـ أسس وملاكات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

هناك أسس وملاكات للآيات الاعجازية في القرآن الكريم، كما أنها تشتمل على أبعاد نشير إليها في هذا المبحث، وهي كالتالي:

١ ـ أن تشتمل على بيان الأسرار العلمية، بمعنى أنها تبيّن مسألة علمية لم يسبق لشخص أن أحاط بها علماً قبل نزول الآية، بحيث لم يتم اكتشافها إلا بعد فترة طويلة من نزول الآية المشتملة على تلك المسألة العلمية. وأن تكون تلك المسألة العلمية بحيث لا يمكن رصدها بالوسائل العادية التي كان يمتلكها الإنسان في عصر النزول.

---

١ – انظر: أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٤٣ ـ ٩١.

٢ ـ الإخبار الغيبي فيما يتعلق بوقوع الأحداث الطبيعية والتاريخية التي لم يكن بوسع أحد أن يطلع عليها أثناء نزول القرآن، ثم تحقق ما أنبأ به القرآن الكريم. وأن يكون ذلك الخبر بحيث لا يمكن التنبّؤ به من خلال الوسائل العادية.

وعليه إذا كان الخبر من الأمور التي سبق أن تحدثت عنها الكتب السماوية السابقة، أو كان موجوداً في الأروقة والمراكز العلمية في اليونان أو إيران وما إلى ذلك، أو جاء في تضاعيف الكتب العلمية وآراء العلماء، أو كان من الأمور التي يمكن فهمها بشكل طبيعي أو غريزي، لن تكون من الإعجاز العلمي[1].

٣ ـ النُظم العلمية التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم، كالنظام السياسي والاقتصادي والتربوي وما إلى ذلك، مما يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها.

٤ ـ دور القرآن في إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتربوي في مجتمع صدر الإسلام وكل مجتمع يتم فيه تطبيق القرآن بشرط أن يعجز الآخرون عن إحداث ذلك التغيير بشكل اعتيادي.

وعلى هذا الأساس يمكن تصور الإعجاز العلمي للقرآن على شكلين يتجليان من داخل النص، وشكل واحد يتجلى من خارجه؛ وبذلك يكون مجموع الأشكال المتصورة ثلاثة، وهي كالآتي:

الأول: القضايا العلمية التي جاء بها القرآن والتي تشمل الإخبار الغيبي فيما يتعلق بالأمور الطبيعية والتاريخية، ليتمّ الكشف عنها وإثباتها بعد مدّة من الزمن. مثل إخبار القرآن عن انتصار الروم على إيران، في قوله تعالى: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ**

---

١ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١، ص٨٥.

﴿قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]، أو الإخبار عن قانون الزوجية العام بين الكائنات، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

إن هذا النوع من الإعجاز العلمي يأتي في الغالب على شكل التفسير الترتيبي الذي يتمّ فيه توظيف العلوم من أجل فهم الآيات القرآنية.

الثاني: استنباط المنظومة العلمية من القرآن في حقل خاص، على شكل التفسير الموضوعي والاستنباطي. من قبيل: النظام والمذهب الاقتصادي في القرآن (المشتمل على: قواعد الاقتصاد والأهداف والحدود والأسس والتعاليم والمفاهيم وما إلى ذلك) مثلاً. وكذلك النظام التربوي للقرآن، والنظام السياسي للقرآن بالشكل الذي تعجز المدارس والمذاهب المادية عن الإتيان بمثله. بمعنى أن النظام الذي يأتي به القرآن الكريم هو أكثر جدوائية وأوسع شمولاً وأشد انسجاماً مع واقع الحياة، وأكثر تناغماً مع الأبعاد الجسدية والروحية للإنسان، وأكثرها نجاحاً في تقديم النتائج الأفضل لسعادة البشر.

الثالث: الإعجاز العلمي من خارج النص، بمعنى الدور التاريخي للقرآن الكريم في إحداث التغيير الجذري في المجتمع القبلي من زاوية علم خاص. من قبيل: دور القرآن في تغيير المجتمع الجاهلي (بما يحمل من خصوصيات متجذّرة في صلب تكوينه، من الجهل والخرافة والوثنية والشرك ووأد البنات والانحرافات الأخلاقية وافتعال الحروب والعصبية والولع في سفك الدماء وما إلى ذلك)، وتحويله إلى مجتمع حضاري في مدّة لا تتجاوز القرنين من الزمن.

---

١ - الروم: ٢ ـ ٤.

٢ - الذاريات: ٤٩.

أي دور القرآن في إحداث التغيير التربوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وما إلى ذلك في خلق المجتمع بشكل يعجز الآخرون عن إحداث مثل ذلك التحوّل والتغيير في مثل تلك المدّة القياسية.

بطبيعة الحال إن هذا النوع من الإعجاز العلمي في القرآن يتمّ تحصيله من خلال قراءة الثقافة القرآنية ومقارنتها بثقافة العرب في العصر الجاهلي الذي كان سائداً قبل الإسلام، وقراءة تاريخ المسلمين، ودراسة المتغيّرات والتحوّلات الثقافية والعلمية لهم. والملفت للانتباه أن الإعجاز العلمي للقرآن قابل للطرح والنقاش في كل واحد من الأنماط الثلاثة المتقدمة، وقد تمّت الإشارة بنحو ما إلى نوع من الإعجاز العلمي في الكتب التي ذكرناها تحت عنوان الجذور التاريخية للبحث.

وبطبيعة الحال ليس من اللازم أن تكون هذه الأنماط الثلاثة موجودة بأجمعها في كل حقل علمي. رغم أن النمط الأول، أي القضايا العلمية تستعمل في العلوم الطبيعية أكثر من غيرها، وأما النمطان الآخران فيدعى أنهما أكثر ما يستعملان في العلوم الإنسانية.

مضافاً لما ذكرنا إن تفسير الآيات العلمية ينتهي أحياناً إلى إثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومن هنا فإن الإعجاز العلمي يدخل في دائرة التفسير العلمي في القرآن، ويكون محكوماً لذات القواعد والضوابط الحاكمة في التفسير العلمي. وحيث أن الإعجاز العلمي يقع تحت دائرة إعجاز القرآن، وجب أن يشتمل على ضوابط وملاكات الإعجاز العلمي أيضاً. وعليه يجب أن تتوفر في الإعجاز العلمي للقرآن الموارد الآتية:

أ ـ يجب أن تشتمل أسس التفسير العلمي على قواعد التفسير العام، مثل: إمكان وجواز التفسير، وعدم تحريف القرآن، والأسس الخاصة للتفسير العلمي

والتي سبق أن ذكرناها في الفصل الثاني.

ب ـ ملاكات التفسير العلمي الشامل للملاكات العامة في تفسير القرآن، من قبيل: الاستفادة من الأساليب المعتبرة في التفسير، وتوظيف القرائن المعتبرة، وعدم الوقوع في شراك التفسير بالرأي، وأن يتولى هذه العملية شخص تتوفر فيه شرائط المفسّر[١].

وكذلك الضوابط الخاصة في التفسير العلمي، كأن يدخل المفسر في دائرة التفسير والإعجاز العلمي للقرآن، فيجب لذلك أن يكون عالماً في التفسير وفي ذلك العلم أيضاً، وأن يستفيد أيضاً من المسائل التي تورث الاطمئنان أو اليقين العلمي، وأن يتجنب إسقاط النظريات العلمية على القرآن، أو القول بإمكان استخراج جميع جزئيات العلوم من ظواهره، وأن يعمل على توظيف العلوم في فهم القرآن وتفسيره[٢].

ج ـ ضوابط إعجاز القرآن الشاملة لضوابط الإعجاز العامة وضوابط الإعجاز العلمي الخاصة. ومن بين الضوابط العامة للإعجاز، الأمر الخارق للعادة (مثل الإخبار عن الغيب) الذي يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله، وأما مدعي النبوة فيستطيع ذلك[٣]. كما جاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم لإثبات نبوّته، وكذلك ضوابط الإعجاز العلمي الخاصة، من قبيل:

١ ـ أن يكون المورد العلمي منسجماً مع ظاهر أو نصّ الآية، وإلا كان تحميلاً على القرآن أو تفسيراً بالرأي.

---

١ – انظر: منطق تفسير القرآن، محمد علي رضائي إصفهاني؛ روش شناسي تفسير قرآن، رجبي وآخرون.

٢ – انظر: كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي في القرآن).

٣ – تقدم الحديث عن مسائل بهذا الشأن في بعث معرفة مفهوم الإعجاز.

٢ ـ أن يكون المطلب العلمي مورثاً للاطمئنان أو اليقين، لا أن يكون مجرد نظرية علمية غير ثابتة، وإلا كان مجرّد احتمال تفسيري، ولن يكون بالإمكان نسبته إلى القرآن بضرس قاطع، ولن يكون من الإعجاز العلمي في شيء.

٣ ـ أن لا يكون هناك من قال هذا الشيء العلمي قبل نزول القرآن، وإلا كان من الأمور القرآنية المثيرة للذهول، دون أن يرقى إلى الإعجاز العلمي.

٤ ـ أن لا يتمكن الناس في عصر نزول القرآن من التوصل إلى اكتشاف ذلك المورد العلمي بالوسائل العلمية التي كانت متاحة لديهم.

٥ ـ أن تثبت صحّة ذلك المورد العلمي بعد نزول القرآن على طبقه[1].

٦ ـ تحديات مفهوم الإعجاز العلمي

هناك الكثير من الإشكالات المطروحة بشأن الإعجاز العلمي للقرآن، الأمر الذي يعرض هذه الناحية من الإعجاز القرآني إلى بعض التحدّيات، وفيما يلي نشير إلى أهمّ تلك التحدّيات ونتناولها بالبحث والمناقشة:

يذهب بعض المخالفين للإعجاز العلمي إلى القول بأن التفسير العلمي لا يُثبت إعجاز القرآن؛ وذلك للأمور الآتية:

١ ـ إن القول بأن القرآن يشتمل على بعض المطالب العلمية المتطابقة مع الاكتشافات الحديثة، يُثبت أن القرآن لم يأت به شخص عادي، وإنما هو من عند الله العالم بحقائق الأمور. إلا أن هذا لا يثبت إعجاز القرآن؛ لأن التوراة والإنجيل قد نزلا من عند الله، ومع ذلك لا يعتبران معجزة، وإنما إعجاز القرآن يكمن في الجانب البياني والأدبي منه، وهو ما لم يستطع أحد حتى الآن من الإتيان بمثله.

---

١ – تقدم الحديث عن مسائل بهذا الشأن في بحث معرفة مفهوم الإعجاز.

٢ ـ إن الآيات والمطالب العلمية في القرآن لا توجد في جميع السور، في حين أن التحدّي الذي يطرحه القرآن يتحدّث في بعض الموارد عن الإتيان ولو بسورة واحدة من مثله، من قبيل قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾[٢].

وعليه فإن إعجاز القرآن يثبت من خلال كل سورة حتى وإن لم تشتمل على شيء من المطالب العلمية، وهذا مخالف لما عليه فرضية الإعجاز العلمي.

٣ ـ إن الإعجاز العلمي يعني توقف القرآن على العلم، بمعنى أن علينا الانتظار إلى حين تطوّر العلوم البشرية؛ ليثبت أن ما سبق أن تحدّث عنه القرآن كان معجزة.

٤ ـ لو أقمنا إعجاز القرآن على أساس العلوم البشرية المتغيّرة، فإن ذلك سيؤدي إلى بطلان الإعجاز العلمي للقرآن كلما تغيرت النظريات العلمية.

٥ ـ إن المطالب العلمية قبل اكتشافها لا تعد من الأمور الخارقة للعادة، وعليه لا تكون معجزة، وهكذا الأمر بعد اكتشافها، لأنها ستكون من الأمور العادية، ولن تكون خارقة للعادة.

بعبارة أخرى: إن المطلب العلمي قبل اكتشافه لا يكون واضحاً، ليكون قابلاً للصدق أو الكذب، وبعد الكشف لا يكون خارقاً للعادة أيضاً؛ لأمكان تحقيقه بالوسائل العادية حينئذٍ مراراً وتكراراً.

---

١ - يونس: ٣٨.

٢ - البقرة: ٢٣.

٦ ـ إن المعجزة أمر خارق للعادة يؤتى بها لإثبات منصب إلهي. في حين لم يدّع الإعجاز العلمي في صدر الإسلام ليُثبت النبوّة، ولم يتمّ التحدي به في القرآن الكريم.

٧ ـ هل أنَّ العلماء الذين يحدسون المطالب العلمية قبل اكتشافها، ويتطابق حدسهم مع الواقع، يجترحون إعجازاً علمياً؟!

٨ ـ في العلوم الطبيعية يكون الإخبار الغيبي عن الطبيعة مفهوماً، ثم يتم الكشف عن مطابقة الخبر الغيبي للقرآن مع الواقع من قبل العلماء. وأما في العلوم الإنسانية فلا يكون الأمر كذلك؛ لوجود النظريات العلمية المنافسة في بعض العلوم (مثل الاقتصاد الاشتراكي والرأسمالي، وكذلك النظريات الموازية في العلوم التربوية وعلم الاجتماع وعلم النفس). وعليه فإن الواقعية في مثل هذه الموارد ليست بأيدينا كي نفسر المطالب العلمية في القرآن على أساسها.

٩ ـ ما هو الفرق بين المعجزة العلمية والإخبار الغيبي؟

١٠ ـ إن الإعجاز العلمي لا يحرز به عجز المخاطبين؛ لأن العلماء الذين يكتشفون المطالب العلمية يعتبرون منافسين للقرآن.

مناقشة:

وهناك بعض الإجابات التي أجيب بها ـ أو يمكن الإجابة بها ـ عن هذه الإشكالات والشبهات المطروحة بشأن الإعجاز العلمي للقرآن، ومن بينها:

١ ـ إن المعجزة أمر خارق للعادة يجترحه مدّعي النبوة لإثبات صدق دعواه، ويكون ذلك بإذن الله، أما الآخرون فيعجزون عن الإتيان بمثلها.

إن الذين يقولون إن المطالب العلمية للقرآن تدل على إعجازه، يعنون بذلك أن المجيء بالمطالب العلمية قبل أربعة عشر قرناً، وقبل اكتشافها من قبل العلماء

بقرون من طريق العلوم التجريبية، يُثبت أن القرآن ليس صادراً عن إنسان عادي، بل هو نازل من قبل الله (وإلى هنا نحن متفقون مع المستشكل). إذن فالإنسان العادي لا يستطيع أن يأتي بمثل هذه المسائل العلمية، لا في عصر النبيﷺ، ولا حتى في هذه اللحظة حيث لا يستطيع شخص أن يأتي بما سيكتب له التحقق بعد مئات السنين. وعليه فإن القرآن كان معجزة بالقياس إلى ما تمّ اكتشافه حديثاً، وهو معجزة بالقياس إلى ما سيتمّ اكتشافه بعد مئات السنين (مع بقاء إعجازه الأدبي والبلاغي على حاله). إن حصولنا على مسألة جديدة من القرآن في كل عصر، لدليل على إعجاز هذا الكلام، ولسنا بحاجة إلى غير القرآن لإثبات إعجازه (أو كونه صادراً عن الله). فقد كانت التوراة وكان الإنجيل من الله، إلا أن إثبات صدق موسى وعيسى ﷺ لم يكن من خلال التوراة والإنجيل (وعليه فإن ذات التوراة والإنجيل لم يكونا معجزتين، خلافاً للقرآن). بل إن إثبات التوراة والإنجيل (بوصفهما كلام الله) يفتقر إلى معجزة (من قبيل: عصا موسى، وإحياء عيسى للموتى)، كما كانت هذه المعجزات تثبت أصل نبوتهما أيضاً.

بعبارة أخرى: فيما يتعلق بالقرآن الكريم تتحد معجزة وكتاب النبيﷺ. وأما فيما يتعلق بالتوراة والإنجيل، فينفصل هذا الأمران. بمعنى أن المسائل العلمية في القرآن تثبت شيئين:

الأمر الأول: أن القرآن معجزة، والأمر الثاني: أنه منزل من قبل الله عزّ وجل.

٢ ـ إن الإعجاز العلمي في القرآن قد اتضح لنا من خلال بعض السور، ولم يتضح لنا في السور الأخرى حتى الآن، وإن عدم اتضاحه في بعض السور لا يدلّ على عدم اشتمال تلك السور على الإعجاز العلمي. ومن جهة أخرى فإن الذي يدعي أن القرآن معجزة علمية، لا يقول بأن جميع الآيات والسور لا بد وأن

تشتمل على الإعجاز العلمي، حتى يكون الإشكال وارداً عليه؛ فإن تحدي القرآن في مورد آحاد السور له جهات مختلفة، فمنها (البلاغي والأدبي والعلمي وعدم وجود الاختلاف في تعاليمه وموضوعاته وما إلى ذلك من المضامين العالية). وليس من الضروري أن تشتمل كل سورة على جميع جهات الإعجاز، بل يصحّ التحدي عند اشتمال السورة ولو على جهة واحدة من جهات الإعجاز.

٣ ـ إن الإشكال الثالث يرد على جميع أشكال الإعجاز القرآني؛ فإن الإعجاز الأدبي والبلاغي للقرآن أيضاً لا يمكن أن يفهمه جميع الناس، وخاصة غير العرب من الذين لم يتخصصوا في العلوم البلاغية، ولكن هذا لا يشكل مانعاً من اعتبار الإعجاز الأدبي أو الإعجاز العلمي للقرآن. ومن جهة أخرى فإن التحدي الموجّه لأي شخص إنما يتناسب ومستوى معلوماته، حتى وإن كانت معرفته بإعجاز القرآن وعجزه عن الإتيان بمثله من خلال الواسطة، بأن يسأل المتخصص مثلاً. يضاف إلى ذلك أن تحدّي القرآن لكل جماعة من المخاطبين إنما يتناسب وعلم تلك الجماعة وتخصصها.

٤ ـ فيما يتعلق بالتبعية يجب الالتفات إلى عدّة أمور، ومنها:

أولاً: في الإعجاز العلمي للقرآن يكون العلم هو التابع للقرآن؛ لأن القرآن هو الرائد في هذا المجال، حيث صدع بالمسألة العلمية قبل الكشف عنها علمياً بقرون (وبقيت على شكل نظرية علمية قرآنية)، ثم جاء العلم ليكتشفها في مرحلة متأخرة.

ثانياً: إن الإعجاز العلمي للقرآن (وحتى سائر أشكال الإعجاز الأخرى، من قبيل: الإعجاز الأدبي والتشريعي وما يشتمل عليه القرآن من التعاليم السامية) متواصل ومستمر، وفي كل عصر نشهد اكتشافاً لمصداق جديد من مصاديق هذه

الأشكال الإعجازية.

بمعنى أن المفهوم العام للإعجاز العلمي (والأدبي والبلاغي وما إلى ذلك) يثبت بمصداق واحد، ويتجدد كلما تمّ اكتشاف مصداق جديد منه. من هنا فإن الإعجاز العلمي للقرآن متقدم على العلم بخطوة.

٥ ـ إذا لم تتمّ رعاية معايير الإعجاز العلمي، يكون إشكال إبطال التنظير العلمي، وبتبع ذلك إبطال الإعجاز العلمي وارداً. وأما إذا تمت رعاية تلك المعايير، فإن الإشكال سيرتفع.

ومن بين تلك المعايير هي أن يقوم الإعجاز العلمي للقرآن على أساس المعطيات العلمية التي تورث الاطمئنان؛ لأن معطيات العلوم البشرية على نوعين. فإن أكثرها نظريات علمية لم تبلغ حدّ اليقين، وبعضها الآخر يقيني أو يورث الاطمئنان[1]. من هنا يتعيّن على من يدّعي نسبة الإعجاز العلمي في القرآن أن يكون دقيقاً، فلا ينسب إلى القرآن نظرية علمية لم تثبت على نحو القطع واليقين، وإلا وقع في شراك تفسير القرآن برأيه، والتفسير بالرأي محرّم.

وأما إذا كان الاكتشاف العلمي قطعياً أو مورثاً للاطمئنان، وكان متطابقاً مع نصّ القرآن أو ظاهره، واشتمل المورد على سائر الشرائط الأخرى للإعجاز العلمي، أمكن اعتبار ذلك المورد العلمي المكتشف مرتبطاً بالإعجاز العلمي للقرآن.

ومن الجدير ذكره أن احتمال التغيير في مسائل العلوم المورثة للاطمئنان وارد في جميع العلوم، كما هو ملاحظ بالنسبة إلى تاريخ المنطق والفلسفة والفقه

---

١ – انظر: كاتب السطور، در آمدي بر تفسير علمي قرآن (مدخل إلى التفسير العلمي في القرآن)، ص١٨٦ و٣٨٣.

وغيرها من العلوم الأخرى، بل هذا هو السر أساساً في تطوير العلوم وتكاملها، وإن هذه التغييرات الجزئية التي تحدث في العلوم لا تشكل مانعاً دون الاستفادة من نتائج ومعطيات العلوم في التفسير وعلوم القرآن ولا في العلوم الأخرى.

٦ ـ إن الإعجاز العلمي يقع تحت دائرة الإخبار الغيبي، وإن الخارق للعادة في هذا النوع من المعاجز هو أن مدعي المعجزة لا يمكن له الاطلاع عليها قبل الآخرين ومن دون توظيف الوسائل العادية لذلك العصر أيضاً. وإن هذا العجز من قبل المخاطبين يكون كافياً في إثبات الإعجاز، وإنهم بنحو من الأنحاء يخبرون الأجيال اللاحقة بوقوع المعجزة.

وعلى سبيل المثال، قال تعالى في محكم كتابه الكريم حكاية عن النبي عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[1].

ففي هذه الآية يخبر النبي عيسى عليه السلام الناس بما يدّخرون في بيوتهم من الطعام، وهو أمر لم يكن ممكناً بالوسائل المتاحة في ذلك العصر، حيث لا وجود لكاميرات خفية يمكن زرعها في بيوت الناس، بيد أن هذه المعجزة قد تحققت لمرّة واحدة، وقد بلغنا خبرها في عصرنا هذا. وهكذا الأمر بالنسبة إلى المعجزة العلمية أيضاً. من ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[2]. وعندما يتمّ اكتشاف قانون الزوجية العام في القرن

---

١ – آل عمران: ٤٩.

٢ – الذاريات: ٤٩.

العشرين للميلاد، يكون الإعجاز العلمي للقرآن ثابتاً في هذا الشأن، ولكن بعد إثبات خبر هذه المعجزة، يتم نقلها إلى الأجيال اللاحقة. وهذه هي ماهية الإعجاز الغيبي والإخبار الغيبي، حيث يكمن الإعجاز في التقدم الزمني في عملية الإخبار من دون الاستفادة من الوسائل العادية التي يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها في ذلك العصر. وبطبيعة الحال فإن اختلاف إعجاز القرآن عن معاجز الأنبياء السابقين يكمن في أن إعجاز القرآن خالد، وإن إعجازه العلمي يستمرّ باستمرار اكتشاف مصاديقه الجديدة طوال العصور والأزمنة، وعليه لا تكون هناك نهاية للإعجاز العلمي.

٧ ـ إن القرآن معجزة خالدة لجميع الأزمنة والأمكنة، وإن أبعاد الإعجاز فيه متعددة، وفي كل عصر يتجلّى بعد من أبعاد إعجازه على نحو أكبر. وعليه ليس من الضروري أن تظهر جميع أبعاد الإعجاز القرآني في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولا في عصرنا.

ومن ناحية أخرى ـ كما تقدم أن ذكرنا ـ إن تحدي القرآن مطلق ويشمل جميع أبعاده. إلا أنه يتحدى كل مخاطب بنسبة مستوى علمه. فهو يقول للأديان في عصر الإسلام: إن استطعتم أن تأتوا بكتاب مشتمل على مثل هذه البلاغة والفصاحة. ويقول للعلماء في عصرنا: إن استطعتم أن تأتوا بكتاب بمثل القرآن مشتملاً على مسائل علمية لمّا تكتشف بعد. وعليه يكفي التحدي في كل القرآن الأعم من اللفظ والمحتوى، وهذا يشمل الإعجاز العلمي أيضاً. ولكن بما يتناسب والمخاطب والتقدم العلمي للبشر في كل عصر، يتضح بعد جديد من أبعاد الإعجاز القرآني، كما اتضحت المعاجز المضمونية الأخرى، من قبيل: الإعجاز التشريعي وغيره في مرحلة متأخرة. وعليه من غير الضروري أن يصرّح رسول الله أو القرآن للناس المعاصرين لفترة النزول بمضمون الإعجاز العلمي.

٨ ـ إن العلماء إنما يحدسون حدساً، ولا يحرزون المستقبل بضرس قاطع، في حين أن إخبار القرآن لا يكون إلا يقينياً وقطعياً، هذا أولاً.

وثانياً: من غير المعلوم أن يكون حدس العلماء مطابقاً للواقع، في حين أن الإخبار الغيبي للقرآن مطابق للواقع دائماً. وقد تمّ إثبات هذه الحقيقة مراراً وتكراراً، مضافاً إلى الكلام الإلهي الصادق.

ثالثاً: إن الحدس الذي يبديه العلماء لا يحتوي على شرائط المعجزة؛ لأنه لا يقترن بادعاء النبوّة وما شابه ذلك، كما أنه لا يكون مقترناً بالتحدّي.

٩ ـ كما تقدم أن ذكرنا فإن الإعجاز العلمي في حقل العلوم الطبيعية يكون من خلال انطباق الإخبار الغيبي للقرآن مع معطيات العلوم الطبيعية المورثة للاطمئنان. وأما في حقل العلوم الإنسانية فإن الإعجاز العلمي للقرآن أولاً يخصّ النظم الاقتصادية والتربوية والسياسية وما إلى ذلك مما يمكن استنباطه من القرآن الكريم الذي يتفوّق في أسسه وأهدافه ومناهجه على سائر الأنظمة الأخرى؛ لما يشتمل عليه من الرؤية الجامعة والشاملة لجميع أبعاد الإنسان الوجودية، وأكثرها نفعاً وجدوائية.

وثانياً: إن هذا الإعجاز العلمي يتعلق بالتحوّل التاريخي والعلمي للقرآن الذي أوجده في المجتمع الجاهلي للعرب. وهو تحوّل اجتماعي وسياسي واقتصادي وتربوي أحدث نقلة نوعية في حياتهم. في حين لا يمكن لسائر الكتب الأخرى أن تحدث مثل هذا التحول العلمي.

١٠ ـ إن المعجزة العلمية تقع تحت دائرة الإخبار الغيبي في القرآن، الذي جاء به القرآن الكريم مقروناً بالتحدي من قبل مدّعي المنصب الإلهي.

بيد أن كل خبر غيبي لا يكون معجزة بالضرورة؛ إذ قد يكون من باب الكرامة.

كما أنه ليس كل خبر غيبي هو خبر علمي بالضرورة وعليه فإن النسبة المنطقية بين الخبر الغيبي والإعجاز العلمي هي نسبة العموم والخصوص من وجه.

١١ ـ في الإعجاز العلمي تحقق عجز المخاطبين بالقرآن عن الإتيان بمثله؛ إذ منذ صدر الإسلام حيث وردت الأخبار الغيبية العلمية في القرآن إلى لحظة اكتشاف المسألة العلمية كان العلماء في مختلف العلوم عاجزين عن الإتيان بمثل ذلك الخبر الغيبي، وبعد اكتشاف تلك المسألة العلمية يكون خبرها الإعجازي قد بلغنا بالتواتر.

بعبارة أخرى: يكفي عجز المخاطبين في تحدي الإعجاز في فترة التحدي. كما هو الحال في قضية الإخبار الغيبي الذي كان يقوم به النبي عيسى عليه السلام في مورد الأطعمة التي كان الناس يدّخرونها في بيوتهم[1]، وبذلك يكون خبر إعجاز النبي عيسى عليه السلام معتبراً حتى بعد ذلك [حين تكتشف العلوم أجهزة تساعد على التوصل إلى ما كان سيدنا عيسى يتوصل إليه من دون تلك الأجهزة].

وعليه فإن دور العلماء هو كشف تطابق كتاب التشريع (القرآن) مع كتاب التكوين (الطبيعة). وإن الاكتشاف العلمي الذي يقوم به العلماء لا يكون معجزة؛ ليكون منافساً للقرآن؛ لأنه لا يقترن بالتحدي، ولا بادعاء المنصب الإلهي، بل هو في الأساس ليس من الإخبار بالغيب.

تنويه ختامي

فيما يتعلق بالإعجاز العلمي نفهم من الآيات مسائل علمية جديدة على مرّ العصور، ومن هنا فإن ملف الإعجاز العلمي في آية بعينها لا يغلق بمجرد

---

١ – انظر: آل عمران: ٤٩.

الكشف عن مسألة علمية ورد الإخبار بها في تلك الآية، ويبقى التحدي بالإتيان بمثل ذلك الإعجاز العلمي قائماً في جميع العصور. بمعنى أن يتمكن شخص من الإتيان بخبر غيبي بشأن المسألة العلمية قبل اكتشافها بحيث يعجز الآخرون (في تلك الظروف) عن الإتيان بمثلها.

وعلى هذا الأساس فإن المجيء بالأخبار الغيبية بالاعتماد على الوسائل والأدوات الاعتيادية في صدر الإسلام يعدّ معجزة، وليس بالوسائل التقنية الحديثة في عصرنا. كما في مورد إخبار السيد عيسى المسيح عليه السلام، حيث كان يخبر الناس بما يدخرون في بيوتهم[1]، ولم يكن الناس في حينها قادرين على أن يأتوا بمثل ذلك. أما الآن فيمكن القيام بذلك من خلال وضع الكاميرات والأشعة الخاصة. وفي هذا المورد يكون ما بلغنا من قدرة السيد المسيح على اجتراح مثل هذه الأخبار الغيبية، وردود أفعال الناس تجاه ذلك على نحو التواتر معجزة حتى بالنسبة إلى عصرنا أيضاً.

٧ـ دراسة بعض موارد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

حصل في مورد الإعجاز العلمي للقرآن إفراط وتفريط، بمعنى أن بعض الأفراد قد أنكروا الإعجاز العلمي للقرآن مطلقاً (على ما تقدم أن ذكرنا)، وهناك في المقابل من ذهب إلى ادعاء الإعجاز العلمي في الكثير من الآيات، وإن هذه الادعاءات مرفوضة في بعض الآيات، إلا أن بعضها مقنع ومقبول، وبعضها قابل للنقد والنقاش من قبل العلماء. وفيما يلي نناقش موارد من ادعاء الإعجاز العلمي في القرآن:

---

١ - انظر: المصدر أعلاه.

أ ـ قانون الجاذبية

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[١]، وقال في موضع آخر: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٢]. بمعنى أن الله قد رفع السماوت بأعمدة غير مرئية[٣].

وقد ذهب بعض المفسرين ـ من أمثال: آية الله مكارم الشيرازي في تفسير نمونه (الأمثل)، (ج ١٧، ص ٢٩، وج ١٠، ص ١١٠ ـ ١١١)، وبيام قرآن (رسالة القرآن)، (ج ٨، ص ١٤٦)، وآية الله حسين النوري في كتاب دانش عصر فضا (علوم عصر الفضاء)، ص ٥٥ ـ ٥٦ ـ إلى القول بأن هذه الآيات تشير إلى قانون الجاذبية والإعجاز العلمي في القرآن؛ لأن قانون الجاذبية إنما تمّ كشفه على يد أبي ريحان البيروني (٤٤٠ للهجرة)[٤]، أو طبقاً للمشهور على يد إسحاق نيوتن (١٦٤٣ ـ ١٧٢٧م) في القرن السابع عشر للميلاد[٥]. ثمّ إن إشارة القرآن إلى الأعمدة غير المرئية بين الكرات والأجرام السماوية هو نوع من الأسرار العلمية في القرآن الكريم.

---

١ – الرعد: ٢.

٢ – لقمان: ١٠.

٣ – وهذا التفسير ـ بطبيعة الحال ـ يأتي بناء على اعتبار كلمة (ترونها) صفة لـ (العمد)، وأما إذا كانت (بغير عمد) متعلقة بـ (ترونها)، بمعنى: (أن الله قد خلق السماء كما ترونها بغير عمد)، فيكون المعنى طبقاً لذلك أن السماء خالية من الأعمدة أصلاً. إلا أن المعنى الأول هو الأنسب بظاهر الآية، لعدم لزوم التقديم والتأخير فيها، كما أنها تدعم بالرواية المأثورة عن الإمام الرضا عليه السلام والتي يقول فيها: (ثمّ عمد، ولكن لا ترونها)، انظر: البرهان في تفسير القرآن، ج٢، ص٢٧٨.

٤ – انظر: گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٤١.

٥ – انظر: تاريخ علوم، ص٢٦٤ (وبطبيعة الحال هناك من يشكك في قصة التفاحة وكون إسحاق نيوتن هو المكتشف لقانون الجاذبية)، انظر: حسين النوري، دانش عصر فضا، ص٤٤.

وبطبيعة الحال هناك من العلماء من قال بأن هذه الآيات تشير إلى قانون الجاذبية، ولكنه مع ذلك أنكر دعوى الإعجاز العلمي[١]. وهناك من العلماء من تمسك بآيات أخرى (الآية ٢٥ من سورة المرسلات، و٤١ من سورة فاطر) باعتبارها مشيرة إلى قانون الجاذبية، دون أن يدعوا وجود الإعجاز العلمي في القرآن الكريم[٢].

وبالالتفات إلى أن مفردة «عمد» جمع «عمود»، يحتمل أن يكون قانون الجاذبية واحداً من مصاديق الآية، بمعنى أنه يحتمل أن تكون هناك «أعمدة» متعددة بين الأجرام والكرات السماوية، ولم يتمّ الكشف عنها بعد.

وبطبيعة الحال فإن القول بدلالة الآية الثانية من سورة الرعد، والآية العاشرة من سورة لقمان على قانون الجاذبية يتوقف على أن المعني بمفردة «السماوات» في هاتين الآيتين هي الأجرام والكرات السماوية. إذ أن هذه المفردة قد استعملت في القرآن في الكثير من المعاني (من قبيل: الجهة العليا، والغلاف الجوّي للأرض، والكواكب والأجرام السماوية، والسماء المجازية والمعنوية وما إلى ذلك)[٣]. ولكن يمكن لنا أن ندعي هنا أن الكواكب والأجرام السماوية

---

١ – انظر: الأستاذ مصباح اليزدي، معارف قرآن، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص١٢٢ ـ ١٢٨؛ لطيف راشدي، نگرشي بر علوم طبيعي در قرآن، ص٥٠.

٢ – انظر: يد الله نيازمند شيرازي، اعجاز قرآن از نظر علوم امروزي (إعجاز القرآن من زاوية العلوم الحديثة)، ص٨٨ ـ ٩٩؛ الدكتور صادقي، الفرقان في تفسير القرآن، ج٢١، ص٣٤١؛ گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٤٣؛ حسين النوري، دانش عصر فضا، ص٥٥؛ ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١٨، ص١٨٧.

٣ – انظر: انظر: حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (سمو)؛ ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١، ص٦٥؛ محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ص١٢٦.

يمكن أن تكون من مصاديق هذه الآيات.

من هنا فقد ذهب بعض المحققين إلى القول: إن الآية الثانية من سورة الرعد، والآية العاشرة من سورة لقمان تدلان على قانون الجاذبية. ومع الالتفات إلى أن الناس وحتى العلماء في عصر النزول لم يكونوا يعلمون بقانون الجاذبية، تتأكد عظمة القرآن وأسراره وإعجازاته العلمية في هذا الخصوص[١].

ب ـ حركات الشمس

لقد أشار القرآن الكريم في الكثير من آياته إلى مختلف حركات الشمس[٢]. وقد ذهب بعض العلماء والمنظرين إلى القول باعتبار هذه الآيات من الإعجاز العلمي في القرآن؛ لأنها تشير إلى مختلف حركات الشمس، الأمر الذي يسير على خلاف الرؤية التي كانت سائدة في عصر النزول. وقد ذهب هؤلاء العلماء إلى القول بأن هذه الآيات تشير إلى حركات الشمس الآتية:

١ ـ الحركة الانتقالية المستقيمة للشمس داخل مجرّة درب التبانة، أي حركة الشمس الطولية باتجاه محدد أو نجم بعيد[٣]. وبطبيعة الحال إن حرف الجر (اللام) في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[٤] بمعنى (إلى)

---

١ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ص١٥٥.

٢ – انظر: يس: ٣٧ و٤٠؛ الأنبياء: ٣٣؛ الرعد: ٢؛ فاطر: ١٣؛ الزمر: ٥؛ لقمان: ٢٩؛ إبراهيم: ٣٣.

٣ – اسم هذا النجم (وجا) انظر: ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) ج١٤، ص١٢١، أو النسر الثابت، انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص٨٩؛ گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٢٥ ـ ٢٦؛ أو سلسلة نجوم هركبل أو ستاره اي بر ران راست (اسلام وهيئت)، ص١٨١.

٤ – يس: ٣٨.

و(المستقر) اسم مكان[١].

وبطبيعة الحال هناك الكثير من المفسرين والمنظرين من الذين استفادوا حركة الشمس من القرآن الكريم[٢]، إلا أن الأستاذ گودرز نجفي اعتبر ذلك من الإعجاز القرآني. لأن علماء الفلك المتأخرين من أمثال: كوبرنيوكس (١٥٤٤ م) وكوبلر (١٦٥٠ م) وغاليلو، كانوا يعتقدون بأن الشمس ثابتة[٣]. وفي الدعوى التي أقيمت ضد غاليلو جاء في نص الاتهام الوارد فيها أنه يعتقد بسكون الشمس وعدم حركتها، وقد كان ذلك مخالفاً للتعاليم الواردة في الكتاب المقدس، والتي كانت تصف الشمس بأنها كالبهلوان ترقص في حلقة عرس؛ فقد جاء في التوراة: (جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ الْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ فِي الطَّرِيقِ. مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ خُرُوجُهَا، وَمَدَارُهَا إِلَى أَقَاصِيهَا، وَلاَ شَيْءَ يَخْتَفِي مِنْ حَرِّهَا)[٤]. وقد أصرّ غاليلو على عدم الاعتقاد

---

١ - ويحتمل أن تكون اللام في قوله تعالى (لمستقر لها) بمعنى (إلى) أو (في) للتأكيد، ويحتمل أن يكون (مستقر) مصدر ميمي، اسم زمان أو مكان. انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص٨٩ وص ٩٨ هبة الدين الشهرستاني، اسلام وهيئت، ص١٨٤؛ ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل) ج١٨، ص٣٨٢.

٢ - انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن؛ ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)؛ هبة الدين الشهرستاني، اسلام وهيئت؛ حسين النوري، دانش عصر فضا، ص٢٥ ـ ٣٦؛ الطنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن، ج٩، ص١٧٢؛ محمد علي سعادت، زنده جاويد واعجاز جاويدان قرآن، ص٢٨ ـ ٣٩؛ المهندس جعفر رضائي فر، قرآن وآخرين بديده هاي علمي، ص١٣١؛ الدكتور منصور محمد حسب النبي، ص٢٦٤.

٣ - انظر: گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٢٤؛ أحمد أمين، راه تكامل (التكامل في الإسلام)، ج٥، ص٩؛ السيد هبة الدين الشهرستاني، اسلام وهيئت، ص١٧٩.

٤ - التوراة (العهد القديم)، المزامير، المزمور رقم: ١٩، الفقرة: ٥ ـ ٦.

بحركة الشمس[١].

في حين أثبتت السنوات اللاحقة أن للشمس الكثير من الحركات، من قبيل: الحركة الانتقالية، والوضعية، والداخلية.

لأن الفلك يطلق على مسار الكرات والأجرام السماوية[٢]، أو مسارها الدائري[٣]، بمعنى أن الأجرام السماوية تسير في حركة دائرية[٤].

وبطبيعة الحال فإن الواقع الذي ينقله القرآن (حركة الشمس في مدارها) على خلاف النظرية البطليموسية[٥] التي كانت سائدة في عصر نزول القرآن، وهيمنت على المحافل والأروقة العلمية قرابة سبعة عشر قرناً. فطبقاً لعلم الهيئة القديم كانت الأفلاك متحركة وأما النجوم فهي ثابتة في فلكها. في حين يستفاد من الآية أن للشمس حركة دائرية وهي تسبح في مدارها الخاص.

وهناك من العلماء من صرّح بهذه المسائل[٦]، وقد ذهب آية الله ناصر مكارم

---

١ - انظر: خوابگردها، آرتور كوستلر، ترجمه إلى الفارسية: منوجهر روحاني، ص٥٩٠.

٢ - انظر: الراغب الإصفهاني، مفردات القرآن، مادة (فلك).

٣ - انظر: ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١٨، ص٣٨٧.

٤ - انظر: الراغب الإصفهاني، مفردات القرآن، مادة (سبح).

٥ - بطليموس، من علماء القرن الثاني قبل الميلاد. انظر: فرهنگ دانستني ها، محمد نجاد، ج١، ص٧٥٢. وجدير بالذكر أن العلماء يذكرون ثلاث شخصيات علمية تحمل هذا الاسم، وهي: بطليموس غريب، بطليموس داس، وبطليموس القلوذي، وهذا الأخير هو الذي تنسب إليه النظرية الفلكية المعروفة، وقد ولد عام ١٤٠ قبل الميلاد. انظر: هبة الدين الشهرستاني، اسلام وهيئت (الإسلام والهيئة)، المقال الثالث، ص٥.

٦ - انظر: موريس بوكاي، مقايسه اي ميان تورات انجيل وقرآن وعلم (دراسة مقارنة بين التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، ترجمه إلى الفارسية: الأستاذ دبير، ص٢١٥ ـ ٢١٦؛ حسين النوري، دانش عصر فضا، ص٢٦ وص ٣٥ ـ ٣٦؛ محمد تقي مصباح اليزدي، معارف قرآن، ص٢٥٢.

الشيرازي، في تفسير نمونة (الأمثل) إلى اعتبارها من الإعجاز العلمي في القرآن.

٢ ـ الحركة الوضعية للشمس، بمعنى أن الشمس تدور حول نفسها وتجري على محورها. وقد عبّر القرآن عن ذلك بقوله ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**﴾[١]. وهذا بطبيعة الحال إذا كان لفظ الـ (لام) بمعنى (في)، وكان لفظ (مستقر) اسم مكان.

وهذا هو المعنى الذي ذهب إليه بعض المفكرين والعلماء[٢]. وقد قال الأستاذ أحمد محمد سليمان في كتابه (القرآن والعلم)[٣] بأن هذا من الإعجاز العلمي في القرآن؛ لأن الحركة الوضعية للشمس لم يتمّ اكتشافها في عصر النزول.

٣ ـ استمرار حياة الشمس إلى أجل مسمّى، بمعنى أن الشمس بعد بضعة مليارات سنة ستصل إلى نهايتها بعد استنفاد وقودها بفعل الانفجارات الذرّية[٤].

من هنا ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن قوله تعالى: ﴿**كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[٥]، إشارة إلى هذه المسألة العلمية[٦].

٤ ـ الحركات الداخلية للشمس، بمعنى أن الشمس تشهد على الدوام

---

١ – يس: ٣٨.

٢ – انظر: ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١٨، ص٣٨٢؛ هبة الدين الشهرستاني، اسلام وهيئت (الإسلام والهيئة)، ص١٨٦؛ حسين النوري، دانش عصر فضا، ص٢٦ وص ٣٥ ـ ٣٦؛ مصطفى زماني، پيشگوييهاي علمي قرآن، ص٣٤.

٣ – انظر: أحمد محمد سليمان، القرآن والعلم، ص٥ ـ ٣٦.

٤ – قدّر عمر الشمس بحوالي عشرة مليارات سنة، وقد مضى منها خمسة مليارات سنة. انظر: فيزيك نوين (الفيزياء الحديثة)، د. أريك أوبلاتر، ترجمه إلى الفارسية: السيد بيضاوي، ص٢٠ ـ ٢١.

٥ – الرعد: ٢.

٦ – انظر: حسين النوري، دانش عصر فضا، ص٣٥.

انفجارات ذرية، لتنتج طاقة نارية وحرارية. وهذه الانفجارات تؤدي إلى إثارة وتحريك المواد السائلة داخل الشمس والتي تنقذف لآلاف الأمتار أحياناً[١].

هناك من المحققين من التفت إلى عبارة «تجري»، بمعنى جريان الشمس، واختلاف ذلك عن «الحركة» في الآية الثامنة والثلاثين من سورة (يس)، فالشمس لا تتحرّك فحسب، وإنما تجري كما هو شأن الماء في حركته. وهذه التفاتة علمية لطيفة ودقيقة أشار لها القرآن، ولم يتمّ اكتشافها علمياً إلا في العصور المتأخرة، الأمر الذي يمكنه إثبات الإعجاز العلمي للقرآن. وهذا بطبيعة الحال إذا لم نعتبر كلمة «تجري» كناية عن السباحة في الفضاء[٢].

وقد توصل بعض المحققين من خلال نقدهم للموارد آنفة الذكر إلى نتيجة مفادها أن إشارات القرآن إلى حركات الشمس هي نوع من إفشاء الأسرار العلمية. بيد أنه فيما يتعلق بالجزء الذي سبق أن تقدّم تقريره من قبل الكتاب المقدس، أي الحركة الانتقالية والدائرية للشمس، ليست من الإعجاز العلمي. إلا أنه فيما يتعلق ببيان ما كان على خلاف نظرية بطليموس في عصر النزول (من قبيل: الحركة الانتقالية المستقيمة، والحركة الوضعية، والحركة إلى أجل مسمّى، والحركة الداخلية للشمس) إذا بلغت مرحلة القطع واليقين، فهي من الإعجاز

---

١ - تحتوي الشمس على ذرات نووية من الهيدروجين الذي يتحول إلى هيليوم. وإن سطح الشمس يتأرجح نحو الداخل والخارج بمسافة ستة كيلومترات في كل ساعتين وأربعين دقيقة، ويتغيّر قطرها بمقدار عشرة كيلومترات، وهذا يشبه ضربان القلب. وبفعل المساحات المغناطيسية في الأطراف تظهر الكلف، وتفور بسرعة ١٦٠٠٠٠٠ كيلو متر في الساعة وتنطفئ سريعاً. انظر: فيزيك نوين (الفيزياء الحديثة)، د. أريك أوبلاتر، ترجمه إلى الفارسية: السيد بيضاوي، ص٢٠؛ مجلة اطلاعات علمي، العدد: ١٩٣.

٢ - انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١، ص١٦٨.

العلمي في القرآن[١].

ج ـ قانون الزوجية

لقد أشار القرآن الكريم في الكثير من آياته إلى قانون الزوجية بين الثمار والنباتات والناس[٢]. وهناك من الآيات ما أشار إلى سريان هذا القانون حتى بالنسبة إلى الأشياء مما لا يمكن للإنسان أن يعلمه[٣]، وهناك من الآيات ما تحدث عن سريان قانون الزوجية على جميع الكائنات والأشياء، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤].

تطلق مفردة الزوج في عالم الحيوان على الذكر والأنثى، وفي غير عالم الحيوان على كل شيئين متقارنين كما تطلق على الأشياء المتقارنة والمتشابهة والمتضادة أيضاً[٥]. من هنا فقد ذهب البعض إلى استعمال مفردة الزوج في مورد الذرات الموجودة داخل نواة (الإلكترون والبروتون) والطاقات الإيجابية والسلبية[٦].

ذهب الكثير من المفسرين والمفكرين إلى الانبهار بهذه الآيات معتبرين

---

١ – انظر: المصدر أعلاه، ص١٦٩.

٢ – انظر: الرعد: ٢؛ الشعراء: ٧؛ يس: ٣٦. وبهذا المضمون، انظر: الحج: ٥؛ لقمان: ١٠؛ ق: ٧؛ طه: ٥٣؛ الأعراف: ١٨٩.

٣ – انظر: يس: ٣٦.

٤ – الذاريات: ٤٩.

٥ – انظر: مفردات الراغب الإصفهاني، مادة (زوج)، ج١٨، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.

٦ – انظر: المصدر أعلاه؛ العلامة الطباطبائي، إعجاز القرآن، ص١٥؛ ويراستة، علي رضا وميرزا محمد، رابطة علم ودين؛ عباس علي سرفرازي، ص٣٥ ـ ٣٦؛ انظر: گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٥٧ و٦٠؛ الدكتور دياب والدكتور قرقوز، القرآن والطب، ص٢٧ و٢٨؛ محمد علي سعادت، زنده جاويد واعجاز جاويدان قرآن، ص٣٩ ـ ٤٣؛ لطيف راشدي، نگرشي بر علوم طبيعي در قرآن، ص٢٤.

إياها من الإشارات العلمية في القرآن إلى قانون الزوجية بين النباتات وقانون الزوجية العام بين جميع الكائنات[١]. وقد ذهب الأستاذ محمد تقي شريعتي إلى اعتبار هذا الأمر من الإعجاز العلمي في القرآن[٢]؛ إذ أن الناس قديماً قد أدركوا وجود مثل هذا القانون في بعض النباتات، من قبيل: النخيل، وأما اعتبار قانون الزوجية العام بالنسبة إلى جميع النباتات، فلم يتوصّل إليه العلم إلا عام ١٧٣١ للميلاد على يد عالم النبات السويدي الشهير كارل لينيه (١٧٠٧ ـ ١٧٨٧ م).

من هنا فإن الناس في عصر نزول القرآن لم يكونوا يعلمون بقانون الزوجية العام بالنسبة إلى جميع النباتات. إلا أن القرآن لم يُشر إلا هذا الأمر فحسب[٣]، بل أشار أيضاً إلى قانون الزوجية في جميع الكائنات[٤]، وهو أمر لم يعلم به أحد حتى القرن الأخير[٥].

وعليه فإن الإشارة العلمية في القرآن إلى قانون زوجية النباتات وقانون الزوجية العام بين الكائنات هو نوع من الأسرار القرآنية التي تفصح عن الإعجاز

---

١ – انظر: ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)؛ العلامة الطباطبائي، إعجاز القرآن، ص١٥؛ ويراستة، علي رضا وميرزا محمد، رابطة علم ودين؛ گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٥٧ و٦٠؛ الدكتور دياب والدكتور قرقوز، القرآن والطب، ص٢٧ و٢٨؛ محمد علي سعادت، زنده جاويد واعجاز جاويدان، ص٣٩ ـ ٤٣؛ لطيف راشدي، نگرشي بر علوم طبيعي در قرآن، ص٢٤.

٢ – انظر: محمد تقي شريعتي، تفسير نوين، ص١١.

٣ – انظر: الرعد: ٣؛ الشعراء: ٧؛ وغير ذلك.

٤ – انظر: الذاريات: ٤٩.

٥ – لقد اكتشف عالم الفيزياء الشهير ماكس بلانك في القرن العشرين وجود ذرات داخل النواة تحمل شحنة سالبة، إلى جانب البروتون الذي يحمل شحنة موجبة. انظر: ماكس بلانك، تصوير جهان در فيزيك جديد، ترجمه إلى الفارسية: مرتضى صابر، ص٩٥.

العلمي في هذا الكتاب المقدّس.

وبطبيعة الحال فقد ذهب بعض المحققين إلى القول بأنه على الرغم من أن الإشارات العلمية للقرآن في هذه الموارد يمكن أن تكون من الإعجاز العلمي، إلا أن تطبيق الآية ٤٩ من الذاريات بموارد من قبيل: الإلكترونات والبروتونات ليس قطعياً، وغاية ما يمكن قوله في هذه الموارد هو أنها قد تكون من مصاديق الآية المذكورة[١].

د ـ تلقيح النباتات والسُحُب بواسطة الرياح

لقد أشار القرآن في بعض آياته إلى الرياح التي تقوم بعملية التلقيح، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾[٢]. وقد فسّر علماء التفسير هذه الآية على نحوين:

١ ـ هناك من ذهب إلى القول بأن هذه الآية تشير إلى تلقيح النباتات بالرياح حيث تقوم بنقل غبار الطلع من ذكور النباتات إلى إناثها بغية تلقيحها[٣]. وقد ذهب الأستاذ أحمد محمد سليمان إلى اعتبار هذه المسألة من إعجاز القرآن؛ لأن البشر لم يتعرفوا إلى حقيقة تلقيح النباتات إلا في أواخر القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر للميلاد، في حين أن القرآن الكريم أثبت هذه الحقيقة

---

١ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١، ص٢٨٣.

٢ – الحجر: ٢٢.

٣ – انظر: الملا فتح الله الكاشاني، منهج الصادقين، ج٥، ص١٥٨؛ علي رضا وميرزا محمد، رابطة علم ودين؛ ص٣٦؛ عبد الكريم هاشمي نجاد، رهبران راستين، ص٢٥٦ ـ ٢٦٣؛ حقيقي، فروغ دانش جديد در قرآن وحديث، ج٢، ص٢٣؛ السيد أبو القاسم الخوئي، مرزهاي اعجاز، ترجمه إلى الفارسية: جعفر سبحاني، ص١١٨؛ خالد عبد الرحمن العك، الفرقان والقرآن، ص٥١١.

قبل ذلك بقرون[١].

٢ ـ ذهبت مجموعة أخرى من المفسرين والمفكرين إلى اعتبار هذه الآية إشارة إلى تلقيح الرياح للسُحُب[٢]؛ لأنه يطرح بعد ذلك مسألة هطول الأمطار التي هي نتاج تلاقح الغيوم بفعل الرياح. ويرى أحمد أمين أن هذه الآية معجزة خالدة؛ إذ أنها قد بيّنت قبل حوالي ١٣٩٠ سنة مسألة تمثل عصارة جهود التحقيقات العلمية الحديثة؛ حيث أن الآية تصرّح بالتأثير الذي تتركه الرياح في عملية التوحيد بين الطاقة الموجبة والطاقة السالبة بين قطعتين من السُحُب[٣].

ولا مانع طبعاً من أن تكون هذه الآية إشارة إلى تلقيح السُحُب والنباتات الذاوية[٤]؛ لأن الجزء الأول من الآية يتعرض لبيان مسألة عامة (قيام الرياح بدور التلقيح الأعم من السُحُب والنباتات)، بيد أنها بعد ذلك تنوّه بواحدة من نتائج هذه العملية التلقيحية، ألا وهي هطول الأمطار من السُحُب. كما أن تلقيح النباتات هو واحد من مصاديق هذه العملية أيضاً[٥].

وبطبيعة الحال فإن إشارة تلقيح الرياح للسُحُب تعتبر من الإعجاز العلمي للقرآن؛ لأنها لم تنكشف للبشر إلا في السنوات الأخيرة. وأما إشارة تلقيح الرياح للنباتات فإنها

---

١ – انظر: الدكتور دياب والدكتور قرقوز، القرآن والطب، ص٢٤ ـ ٢٦؛ ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)؛ ج١١، ص٦١؛ قرآن وآخرين بيامبر، ص١٧٩.

٢ – انظر: مجمع البيان، ج٣، ص٣٣٤؛ مهدي بازركان، باد وباران در قرآن، ص٥٩ و١٢٦؛ تفسير نمونه (الأمثل)، ج١١، ص٦١؛ أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي في الميزان، ص٤٦١ ـ ٤٦٣.

٣ – انظر: أحمد أمين، راه تكامل (التكامل في الإسلام)، ص٥٧.

٤ – انظر: گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٦٢؛ مصطفى زماني، پيشگوييهاي علمي قرآن، ص٩١ ـ ٩٣.

٥ – انظر: محمد علي سعادت، زنده جاويد واعجاز جاويدان، ص٣٥ و٣٦.

لا تعتبر من الإعجاز العلمي؛ لأنها كانت معروفة للناس في صدر الإسلام على نحو الاجمال، كما هو الحال في تأبير بعض النباتات من قبيل النخيل[١].

هـ ـ ترتيب مراحل خلق الإنسان

تعرّض القرآن الكريم في الكثير من آياته إلى عملية خلق الإنسان ومراحل هذه العملية[٢]. ويمكن البلوغ بهذه المراحل التي يذكرها القرآن لخلق الإنسان إلى خمس عشرة مرحلة، وهي عبارة عن:

١ ـ مرحلة التراب (أو الطين)[٣].

٢ ـ مرحلة الماء (بمعنى الماء، والماء الدافق، والماء المهين)[٤].

٣ ـ مرحلة المني (نطفة من مني)[٥].

---

١ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج١، ص٢٩٣.

٢ – انظر: المؤمنون: ١٢ ـ ١٤؛ الحج: ٥؛ غافر: ٦٧؛ القيامة: ٣٧ ـ ٣٩؛ العلق: ٢؛ الطارق: ٦؛ الدهر: ٢؛ السجدة: ٦ ـ ٩، وغيرها من الآيات الأخرى.

٣ – انظر: الحج: ٥؛ المؤمنون: ١٢؛ غافر: ٦٧. وفيما يتعلق بخلق الإنسان من التراب هناك احتمالان؛ أحدهما: أن المراد من ذلك هو خلق الإنسان الأول (آدم أبو البشر عليه السلام)، وثانيهما: تكوين أجزاء الإنسان من التراب، بمعنى أن عناصر التراب موجودة في تكوين الإنسان جسدياً. انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٤٣٤ فما بعد؛ ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢٠، ص١٦٥، وج ١٤، ص٢٣.

٤ – انظر: الطارق: ٦؛ السجدة: ٦ ـ ٩. وفيما يتعلق بخلق الإنسان من ماء، هناك عدّة احتمالات، وأحدها: توقف حياة جميع الكائنات على الماء، أو أن الجزء الأعظم من جسم الإنسان والكثير من الحيوانات يتألف من الماء، أو أن يكون المراد هو خلق الإنسان الأول (آدم أبو البشر عليه السلام) من الماء. انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٤٣٨ فما بعد؛ ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١٣، ص٣٩٦، وج ١٥، ص١٢٦؛ محمد تقي مصباح اليزدي، معارف قرآن، ص٣٢٩ وص ٣٣٠.

٥ – انظر: القيامة: ٣٧ ـ ٣٩.

٤ ـ مرحلة النطفة الممتزجة (نطفة أمشاج)[١].

٥ ـ مرحلة العلقة[٢].

٦ ـ مرحلة المضغة[٣].

٧ ـ مرحلة التنظيم والتصوير والتشكيل[٤].

٨ ـ مرحلة تكوين العظام[٥].

٩ ـ مرحلة تغليف العظام باللحم[٦].

١٠ ـ مرحلة تكوين جنس الجنين[٧].

١١ ـ مرحلة خلق الروح ونفخها في بدن الإنسان، وظهور الأذنين والعينين[٨].

١٢ ـ مرحلة ولادة الطفل[٩].

١٣ ـ مرحلة البلوغ[١٠].

١٤ ـ مرحلة الشيخوخة[١١].

---

١ – انظر: الدهر: ٢.

٢ – انظر: المؤمنون: ١٢ ـ ١٤؛ الحج: ٥؛ غافر: ٦٧.

٣ – انظر: المؤمنون: ١٢ ـ ١٤؛ الحج: ٥.

٤ – انظر: السجدة: ٦ ـ ٩.

٥ – انظر: المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

٦ – انظر: المصدر أعلاه.

٧ – انظر: القيامة: ٣٧ ـ ٣٩.

٨ – انظر: السجدة: ٦ ـ ٩؛ المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

٩ – انظر: غافر: ٦٧.

١٠ – انظر: المؤمنون: ١٢ ـ ١٤؛ الحج: ٥؛ غافر: ٦٧.

١١ – انظر: الحج: ٥؛ غافر: ٦٧.

١٥ ـ مرحلة الموت[١].

وبطبيعة الحال فإن بيان كل واحد من هذه المراحل على أساس القرآن الكريم والعلوم الطبية يفتقر إلى شرح وتوضيح، بيد أن هذه الآيات تشتمل على إشارات علمية قيّمة أذهلت حتى الكثير من الأطباء، واعتبروها لذلك من الإعجاز العلمي للقرآن بالإضافة إلى إعجازه البلاغي[٢].

وقد ذهب بعض المفكرين الغربيين من أمثال موريس بوكاي إلى الاعتقاد قائلاً:

«لا بدّ من مقارنة كل هذه المقولات القرآنية بالمعلومات التي تثبت في العصر الحديث. وإن توافق المقولات القرآنية مع المعلومات الحديثة واضح. ولكن من المهم أيضاً مقابلتها بالمعتقدات العامة في هذا الموضوع، والتي كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن حتى ندرك إلى أي حد كان معاصرو هذه الفترة بعيدين عن حيازة معلومات تشبه تلك التي يعرضها القرآن في هذه المسائل. وليس هناك أدنى شك في أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير هذا الوحي مثلما ندركه نحن اليوم، ذلك أن معطيات المعرفة الحديثة تعيننا على تفسيره.

الواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفة واضحة إلى حد ما عن هذه المسائل إلا خلال القرن التاسع عشر؛ فطيلة كل القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار النظرية

---

١ – المصادر أعلاها. لقد اقتبسنا هذا التبويب والتقسيم من كتابنا: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج٢، ص٤٣٨. إلا أن بعض المفسرين والأطباء قسّموا الآيات والمراحل المتقدمة إلى سبعة مراحل. انظر: ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢٠، ص١٦٥، وج ١٤، ص٢٣؛ الدكتور صادقي، الفرقان في تفسير القرآن، ج٢١، ص٤٩٣؛ محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج٦، ص٨٠

٢ – انظر: الدكتور دياب والدكتور قرقوز، طب در قرآن (القرآن والطب)، ص٨٤ ترجمه إلى الفارسية: علي جراغي.

التي لا تتمتع بأي أساس هي قاعدة مختلف المعتقدات في هذا الموضوع، بل لقد سادت أيضاً لقرون عديدة حتى بعد العصور الوسطى. إن المرحلة الحاسمة في تاريخ علم الأجنة بدأت بدعوى (هارفي)[1] الذي قال في عام ١٦٥١ بأن كل شيء حي يأتي أولاً من بويضة، وأن الجنين يتخلق تدريجياً جزءاً بعد جزء .. عرف الناس القرآن بما يربو على ألف عام من قبل هذا العصر الذي كانت المعتقدات الوهمية تسوده. إن مقولات القرآن عن التناسل البشري تعبّر في ألفاظ بسيطة عن حقائق أولى أنفقت مئات السنوات لمعرفتها ...»[2].

ويذهب بعض المحققين إلى القول بأنه على الرغم من أن بيان كل مرحلة من مراحل خلق الإنسان لا يمكنها لوحدها أن تشكل دليلاً على الإعجاز العلمي للقرآن، إلا أنه بالالتفات إلى شهادة العلماء على أن الناس في عصر نزول القرآن لم يكونوا على علم بهذا النظم والترتيب في مراحل خلق الإنسان، فإن بيان هذه المراحل وترتيبها يعدّ نوعاً من الكشف عن الأسرار العلمية، وبذلك يمكنها أن تعدّ من الإعجاز العلمي للقرآن.

و ـ بداية الكون وكيفية ظهوره كتلة متراصة غازية الشكل[3].

الطنطاوي (الجواهر، ج ١٠، ص ٩٩)، وعبد الرزاق نوفل (القرآن والعلم الحديث، ص ٢ ـ ١٦٣)، وأحمد محمد سليمان (القرآن والعلم، ص ٣ ـ ٥٤)،

---

١ – (Harvey): طبيب إنجليزي (١٥٧٦ ـ ١٦٥٧ م).

٢ – موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠، مكتبة مدبولي، ط ١، القاهرة، ١٩٩٦ م.

٣ – انظر: الأنباء: ٣٠؛ فصلت: ١١. ولمزيد من الاطلاع انظر: نظرية مهبانگ وديدگاه مقابل آن؛ تاريخچه زمان، ستيفن وليم هاوكينغ، ترجمه إلى الفارسية: دادفرما، ص١٤٥ ـ ١٤٩، انتشارات كيهان، ١٩٩٣.

ومحمد سامي محمد علي (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ٣٤)، ومحمد كامل عبد الصمد (الإعجاز العلمي في الإسلام (القرآن الكريم)، ص ٤٧).

فقد ذهب هؤلاء إلى اعتبار آيات القرآن التي تتحدّث عن بداية الكون من الإخبار الغيبي والإعجاز العلمي للقرآن؛ لأنها تنسجم مع نظرية الانفجار الكبير[١]، وانفصال الأرض وسائر الكواكب عن الكون والسماء والكتلة الغازية التي يعبّر القرآن عنها بالدخان.

ولكن على الرغم من أن ظاهر القرآن ينسجم مع النظرية المشهورة (الانفجار الكبير) إلى حدّ مذهل، وهناك من المفسرين من يذهب إلى ذلك[٢]، إلا أن بعض المحققين لا يرتضون الإعجاز العلمي للقرآن في هذا الشأن؛ وذلك لأن نظرية الانفجار الكبير لم ترقَ إلى درجة القطع واليقين، كما توجد هناك نظريات أخرى على خلافها (من قبيل عالم البلاسما والحالة الثابتة)[٣]. وهناك في مورد هذه الآيات تفسيرات وروايات أخرى أيضاً[٤].

ز ـ حركة الأرض

هناك من المفسرين من استفاد من قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا**

---

١ ـ للاطلاع على نظرية الانفجار الكبير والرأي المقابل لها، انظر: تاريخچه زمان، ستيفن وليم هاوكينغ، ترجمه إلى الفارسية: دادفرما، ص١٤٥ ـ ١٤٩، انتشارات كيهان، ١٩٩٣.

٢ ـ انظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢٠، ص٢٢٨، وج ١٣، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥؛ محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج٦، ص١٢٩ ـ ١٣٩.

٣ ـ انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج؟، ص٥ ـ ١٠٤.

٤ ـ انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩؛ تفسير الصافي، ج٣، ص٣٤٧؛ ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١٣، ص٣٩٦.

﴿جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[١] أن الأرض متحرّكة، واعتبر ذلك من الإعجاز العلمي للقرآن[٢].

وهناك من العلماء من استفاد حركة الأرض من آيات القرآن الأخرى[٣]، وهناك من استفاد الحركة الوضعية والانتقالية للأرض من الآية الرابعة من سورة الشمس، والآية الثلاثين من سورة النازعات[٤]. وهناك من استفاد العديد من حركات الأرض من الآية الخامسة والثلاثين من سورة المرسلات[٥].

وبغض النظر عن الإشكالات التي تمّ توجيهها إلى هذا الفهم للآيات[٦]، إلا أن القرآن قد أخبر عن حركة الأرض على خلاف النظرية التي كانت هي السائدة والمشهورة في عصر النزول؛ لأن نظرية بطليموس القائمة على سكون الأرض ومركزيتها كانت هي الحاكمة في المحافل العلمية في عصر النزول[٧]، وهذا يُثبت عظمة القرآن، ولكنه لا يرقى إلى مستوى الإعجاز العلمي؛ إذ كان هناك قبل الإسلام

---

١ - النمل: ٨٨

٢ - انظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١٥، ص٥٦٨ ـ ٥٦٩.

٣ - انظر: الزخرف: ١٠؛ طه: ٥٣؛ النبأ: ٦. وانظر في هذا الشأن: السيد أبو القاسم الخوئي، مرزهاي اعجاز، ترجمه إلى الفارسية: جعفر سبحاني، ص١١٩؛ گودرز نجفي، مطالب شگفت انگيز قرآن، ص٣٥ ـ ٣٦؛ السيد رضا مؤدّب، إعجاز قرآن، ص١٣؛ الشيخ نزيه القميحا، القرآن يتجلى في عصر العلم، ص١٤٩ وغير ذلك.

٤ - انظر: السيد محمود الطالقاني، برتوي از قرآن، ج٢، ص١١٠.

٥ - انظر: يد الله نيازمند شيرازي، اعجاز قرآن از نظر علوم امروزي (إعجاز القرآن من زاوية العلوم الحديثة)، ص ٨٠ فما بعد.

٦ - انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ج؟، ص ١٧٠ فما بعد.

٧ - انظر: بيير روسو، تاريخ علوم (تاريخ العلوم)، ص١٩٣ فما بعد؛ خوابگردها، آرتور كوستلر، ترجمه إلى الفارسية: منوجهر روحاني، ص١٦١ فما بعد.

من العلماء من أمثال: فيثاغورس، وفلوتيه خوس، وأرخميدس، وإستراخوس الساموسي، وكليانتوس الساموسي، من الذين سبقوا بطليموس وقالوا بحركة الأرض[١]. فإذا كان هناك من الأفراد العاديين من يستطيع التوصل إلى هذه الحقيقة قبل نزول القرآن، لا يمكن اعتبار تصريح القرآن به من التحدّي والإعجاز العلمي.

ح ـ ظهور الحياة من الماء

هناك من العلماء من يستند إلى الآية الخامسة والأربعين من سورة النور، والآية الثلاثين من سورة الأنبياء التي تذكر الماء بوصفه منشأ وجود الكائنات والحياة، معتبراً ذلك من الإعجاز العلمي للقرآن[٢]. وهناك من المفسرين والمفكرين من اعترف بتطابق معطيات العلوم التجريبية على هذه الآيات أيضاً[٣]. ولكن هناك من المحققين من ذهبوا إلى القول: إنه وبالالتفات إلى المعاني العديدة التي أفادها المفسرون بشأن هذه الآيات، لا يمكن لنا أن ننسب للقرآن معنى واحداً قطعياً واعتباره من الإعجاز العلمي؛ إذ ربما كان المراد من الماء هنا هو المني والنطفة أو أي مادة رئيسة في جسد الكائنات الحية أو سائل على شكل ماء نتج عنه خلق الكون، أو كان منشأ وجود أول كائن من الماء[٤].

---

١ ـ انظر: السيد هبة الدين الشهرستاني، اسلام وهيئت (الإسلام والهيئة)، ص٤٤.

٢ ـ انظر: محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج٦، ص٣٤؛ حقيقي، فروغ دانش جديد در قرآن وحديث، ج١، ص١٠٤.

٣ ـ انظر: اولين دانشگاه وآخرين بيامبر، ج١، ص١٣٥ ـ ١٤٤؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص١١١.

٤ ـ انظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج١٣، ص٣٩٦، وج ١٤، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩؛ بسام دفضع، الكون والإنسان بين العلم والقرآن، ص١٢٢ ـ ١٢٣؛ محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ص٢٤٢.

وعلاوة على ذلك كان هناك قبل الإسلام بعض الفلاسفة الإغريق (من أمثال: طاليس)[١]، من قال بأن أصل الوجود هو الماء. وعليه يكون مضمون ما جاءت به هذه الآيات مذهلاً، ويثبت عظمة القرآن، دون أن يرقى إلى الإعجاز العلمي[٢].

ط ـ حرمة شرب الخمر وبيان أضراره

لقد تمّ التصريح في بعض آيات القرآن بحرمة وحظر شرب الخمر[٣]، وفي بعضها إشارة إلى أضرار الخمر[٤]، وهناك من الآيات ما أشار إلى النهي عنه[٥].

لقد تحدّث الكثير من الأطباء والمفكرين والمفسرين بشأن أضرار الخمر، وتحدّثوا عن القرآن منبهرين. وهناك من المحققين من اعتبر هذه الموارد من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم[٦]؛ وذلك لأن شرب الخمر قبل الإسلام كان أمراً مألوفاً، كما هو الشأن الآن في الكثير من البلدان غير الإسلامية، بل حتى التوراة والإنجيل قد نطقا بالتشجيع على شرب الخمر[٧]. في حين أن الإسلام قد وقف بوجه هذه الظاهرة بشدّة، وبذلك قدّم القرآن الكريم خدمة إعجازية للبشرية.

ولكن يمكن القول بالالتفات إلى أن الأديان التي سبقت الإسلام قد حرّمت

---

١ – انظر: محمد غلاب، فلسفة اليونان، ج١، ص٨؛ عبد الغني الخطيب، قرآن وعلم امروز (القرآن والعلم الحديث)، ترجمه إلى الفارسية: مبشري، ص٦٩ ـ ٧٠.

٢ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ص٢٤٣.

٣ – انظر: المائدة: ٩٠ ـ ٩١.

٤ – انظر: البقرة: ٢١٩.

٥ – انظر: النحل: ٦٧؛ النساء: ٤٣.

٦ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ص٣٤٧ (وبطبيعة الحال فقد تغيّر رأيي في هذا المورد).

٧ – انظر: الكتاب المقدس (التوراة)، سفر التثنية، الباب ١٤، رقم: ٢٦، والإنجيل (إنجيل متى)، الباب ٢٦، رقم: ٢٩.

شرب الخمر أيضاً[١]، فإن تحريمه في القرآن رغم كونه مذهلاً وجديراً بالاستحسان والإعجاب، ولكنه لا يرقى إلى مرتبة الإعجاز العلمي.

ي ـ حرمة مباشرة الزوجة أثناء الطمث

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢]. فقد أمر الله الرجال في هذه الآية باعتزال النساء والابتعاد عنهنّ أثناء الدورة الشهرية، معتبراً الطمث حالة مضرّة.

وقد عمد بعض الأطباء والمفكرين والمفسرين إلى تعداد أضرار هذه الظاهرة، ونظروا إلى القرآن بإعجاب[٣]، وحتى آية الله نيازمند الشيرازي قد اعتبر هذه الآية من الإعجاز العلمي للقرآن[٤].

إلا أن بعض المحققين ذهب ـ بالنظر إلى تحريم ذلك في التوراة أيضاً[٥] ـ إلى القول بعدم أن يكون تحريم مقاربة النساء في أثناء الدورة الشهرية من الإعجاز العلمي المنحصر بالقرآن[٦].

وقد تمّ ادعاء الإعجاز العلمي في بعض الموارد الأخرى من الآيات، وهي قابلة للنقد والرد، ولكننا نغض الطرف عن الدخول في تفاصيلها. ومن بين ذلك الإعجاز

---

١ – انظر: التهذيب، ج٩، ص١٠٢.

٢ – البقرة: ٢٢٢.

٣ – انظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢، ص٩٣ ـ ٩٤؛ الطب في القرآن، ص٥٠ ـ ٥١.

٤ – انظر: اعجاز قرآن از نظر علوم امروزي (إعجاز القرآن من زاوية العلوم الحديثة)، ص١٨٨ ـ ١٩٤.

٥ – الكتاب المقدس، التوراة، سفر اللاويين، الباب ١٥، رقم: ١٩ ـ ٢٥.

٦ – انظر: محمد علي رضائي إصفهاني، پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، ص٣٤٧.

في مفردة «الصمد» في الآية الثانية من سورة الإخلاص، وربطها بالفضاء الخالي داخل الذرّات[١]. والإعجاز العلمي فيما يتعلق بصفة «اللطيف» وخلق الكائنات المجهرية التي لا يمكن أن تشاهد بالعين المجرّدة[٢]. والإعجاز العلمي فيما يتعلق بداخل الأغصان الخضراء للأشجار الواردة في الآية الثمانين من سورة يس[٣]. والإعجاز العلمي بشأن اعتبار سماء الدنيا محلاً للكرات والأجرام السماوية، خلافاً للهيئة البطليموسية[٤]. والإعجاز العلمي فيما يتعلق بحرج الصدر وضيق التنفس بالصعود في السماء وانعدام الأوكسجين في الآية الخامسة والعشرين بعد المئة من سورة الأنعام. والإعجاز العلمي للقرآن في تشبيه الجبال بالأوتاد والمسامير التي تربطها وتشدها شدّاً محكماً إلى الأرض؛ فتحول دون اهتزازها وميدانها، كما ورد ذلك في الآية الخامسة عشرة من سورة النحل[٥].

الاستنتاج

نستنتج من مجموع ما تقدّم أن الإعجاز العلمي يمثل واحداً من أبعاد إعجاز القرآن الكريم، وقد تمّ تداوله في القرن الأخير على نطاق واسع، وهو مقبول في بعض الموارد المحدّدة (من قبيل: الإشارة إلى قانون الجاذبية، وحركات الشمس، وقانون الزوجية العام وتلقيح الرياح للسُحُب، وترتيب مراحل خلق الإنسان)، وهو مرفوض في سائر الموارد الأخرى التي ادعي فيها الإعجاز العلمي.

---

١ - انظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (الأمثل)، ج٢٧، ص٤٤٠.

٢ - انظر: المصدر السابق، ج٥، ص٦ ـ ٣٨٧.

٣ - انظر: المصدر السابق، ج١٨، ص٤ ـ ٤٦٦.

٤ - انظر: المصدر السابق، ج١٩، ص١٦ ـ ١٧.

٥ - انظر: المصدر السابق، ج١١، ص١٨٣.

مصادر الكتاب

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أصول الكافي،محمد بن يعقوب، الكليني.

٣ ـ الاقتصاد في أصول الاعتقاد،محمد بن الحسن الطوسي.

٤ ـ المحجّة البيضاء، الفيض الكاشاني.

٥ ـ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي.

٦ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٧ ـ البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي.

٨ ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.

٩ ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي.

١٠ ـ إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي.

١١ ـ القرآن محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود.

١٢ ـ المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر.

١٣ ـ آموزش فلسفة، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي.

١٤ ـ آموزش عقايد (دروس في العقيدة)، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي.

١٥ ـ العلوم في القرآن، محمد جميل الحبال، ومقداد مرعي الجواري.

١٦ ـ العلوم الطبيعية في القرآن، يوسف مروة.

١٧ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي.

١٨ ـ آسمانهاي هفت گانه، إيمان مرادي .

١٩ ـ أصول التفسير وقواعده، عبد الرحمن العك.

٢٠ ـ الكون والإنسان بين العلم والقرآن، بسام دفضع.

٢١ ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي.

٢٢ ـ اسلام وهيئه، هبة الدين الشهرستاني .

٢٣ ـ القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل .

٢٤ ـ الإسلام والطب الحديث، عبد العزيز إسماعيل.

٢٥ ـ الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، مصطفى رجب.

٢٦ ـ الأسس المنطقية للاستقراء، السيد محمد باقر الصدر.

٢٧ ـ بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي.

٢٨ ـ به سوي آفريدگار، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني.

٢٩ ـ مجلة (پيام قرآن) العدد التجريبي.

٣٠ ـ مجلة (بينات)، السنة الثالثة، العدد: ١٠، عام ١٩٩٦ للميلاد

٣١ ـ جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي.

٣٢ ـ داروينيسم يا تكامل انواع، الشيخ جعفر السبحاني.

٣٣ ـ دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني.

٣٤ ـ در آمدي بر تفسير علمي قرآن، محمد علي رضائي الإصفهاني.

٣٥ ـ دفترهمكاري حوزه ودانشكاه، محمد علي رضائي الإصفهاني.

٣٦ ـ دروس سنن الكائنات، محمد توفيق صدقي.

٣٧ ـ هفت آسمان، محمد باقر البهبودي.

٣٨ ـ حدس ها وإبطال ها ومنطق اكتشافات، بوبر.

٣٩ ـ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي.

٤٠ ـ طب در قرآن، دياب و قرقوز

٤١ ـ كارنامه اسلام (رسالة الإسلام)، عبد الحسين زرين كوب.

٤٢ ـ مجلة كلام تخصصي، العدد: ١ (ربيع عام ١٩٩٢ م)، الشيخ جعفر السبحاني.

٤٣ ـ لقاء سماحة السيد القائد بالسيدات الباحثات في الشأن القرآني، بتاريخ: ٢٨ / ٧ / ١٣٨٨ للهجرة الشمسية، انظر: الموقع الإلكتروني: www.LEADER.IR

٤٤ ـ مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي.

٤٥ ـ معارف قرآن، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي.

٤٦ ـ منهج الصادقين، فتح الله الكاشاني.

٤٧ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن، حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني.

٤٨ ـ مصباح اللغة، أحمد بن محمد الفيومي.

٤٩ ـ مباني فلسفه، علي أكبر ولايتي.

٥٠ ـ مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي.

٥١ ـ مقدمه علم حقوق، ناصر كاتوزيان.

٥٢ ـ مديريت از منظر قرآن وسنت، صمصام الدين قوامي.

٥٣ ـ نظام تربيتي اسلام، حاجي ده آبادي.

٥٤ ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجار، فخر الدين الرازي.

٥٥ ـ علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم.

٥٦ ـ علم ودين، إيان باربر

٥٧ ـ علوم اسلامي ونقش آن در تحول علمي جهان (العلوم الإسلامية ودورها في التقدم العلمي في العالم)، آلدوميه لي.

٥٨ ـ فتوح البلدان، احمد بن يحيى البلاذري.

٥٩ ـ في ظلال القرآن، سيد قطب.

٦٠ ـ فيزيك نوين (الفيزياء الحديثة) أوبلاكر، أريك.

٦١ ـ قرآن وآخرين پيامبر، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٦٢ ـ مجلة (قرآن وعلم) التخصصية، مركز تحقيقات قرآن كريم المهدي، العدد: ٥ و٧.

٦٣ ـ رسائل، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا .

٦٤ ـ مجلة (الرسالة) العدد (٤٠٧) و(٤٠٨)عام ١٩٤١ للميلاد

٦٥ ـ شرح المواقف، عضد الدين الإيجي

٦٦ ـ شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي.

٦٧ ـ تفسير الكبير (مفاتيح الغيب) فخر الدين الرازي.

٦٨ ـ تفسير المنار، رشيد رضا.
٦٩ ـ تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي حويزي.
٧٠ ـ التوراة (العهد القديم)، المزامير، المزمور رقم: ١٩، الفقرة: ٥ ـ ٦.
٧١ ـ التمهيد، الشيخ محمد هادي معرفت.
٧٢ ـ التفسير بالرأي، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٧٣ ـ التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي.
٧٤ ـ التفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد عمر أبو حجر.
٧٥ ـ تفسير أطيب البيان، عبد الحسين طيب.
٧٦ ـ تاريخ وعلوم قرآن، أبوالفضل مير محمدي.
٧٧ ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي.
٧٨ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر.
٧٩ ـ تاريخ علوم، بيير روسو.
٨٠ ـ تفسير وتفاسير جديد، بهاء الدين خرمشاهي.
٨١ ـ تفسير علمي قرآن، ناصر رفيعي محمدي.
٨٢ ـ تكامل در قرآن، الشيخ علي مشكيني.
٨٣ ـ تاريخ التمدّن الإسلامي، جرجي زيدان.
٨٤ ـ تاريخ الزمان، استيفنها وكنغ.
٨٥ ـ تفسير صحيح آيات مشكله قرآن، الشيخ جعفر السبحاني.
٨٦ ـ ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني، ابن سليمان الخطابي البستي.
٨٧ ـ خوابگردها، آرتوركوستلر.

الفهرس

مقدمة المركز ٧
مقدمة المؤلف..... ٩

الفصل الأول
القرآن والعلوم التجريبية ١١

تمهيد : ١٣
١ ـ مفهوم العلم ١٣
٢ ـ تقسيم العلم على أساس المنهج ١٥
٣ ـ أهمية العلم والعلماء في القرآن ١٧
أ ـ العلم بالمعنى الخاص، أي (اللاهوت) ١٩
ب ـ العلم بالمعنى العام..... ١٩
٤ ـ العلاقة بين القرآن والعلوم التجريبية ٢١
أ ـ تأريخ الكتابة والتأليف في علاقة القرآن بالعلوم ٢١
ب ـ حدود العلاقة بين القرآن والعلوم التجريبية ٢٥
ج ـ الأهداف الأصلية والفرعية لآيات القرآن العلمية : ٣٣

الفصل الثاني
منهج التفسير العلمي للقرآن الكريم٣٧

المقدمة : ٣٩
١ ـ مفهوم المنهج والتفسير والعلم ٣٩

٢ ـ أسباب ظهور وتطور التفسير العلمي للقرآن: ٤٣
٣ ـ الاتجاهات في بيان أساس العلاقة بين القرآن والعلم: ٤٨
الاتجاه الأول: الاتجاه الموافق للتفسير العلمي: ٤٩
الاتجاه الثاني: الاتجاه المخالف للتفسير العلمي: ٥٨
الثالث: الاتجاه القائل بالتفصيل في التفسير العلمي: ٦٣
٤ ـ أنواع التفسير العلمي للقرآن ٧٣
أ ـ استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم ٧٣
ب ـ تطبيق وتحميل النظريات العلمية على القرآن الكريم ٧٦
ج ـ توظيف العلوم في فهم وشرح القرآن بشكل أفضل ٧٧
د ـ الاكتشافات العالمية في أسس العلوم الإنسانية ٧٨
٥ ـ أسس وقواعد الفهم العلمي للقرآن الكريم ٧٩
أ ـ عدم قطعية أكثر مسائل العلوم التجريبية ٧٩
ب ـ اشتمال القرآن على إشارات علمية تلزمنا بتوظيف العلوم التجريبية لفهمها ٨٤
ج ـ عدم كفاية ظواهر الآيات القرآنية لفهم جميع العلوم ٨٥
د ـ وجود علاقة ايجابية بين القرآن والعلم ٨٦
هـ ـ وحدة الهدف بين القرآن والعلم ٨٦
٦ ـ معايير الفهم العلمي من القرآن ٨٧
أ ـ المعايير العامة في التفسير العلمي للقرآن ٨٧
ب ـ المعايير الخاصة في التفسير العلمي للقرآن ٨٨
٧ ـ امتيازات التفسير العلمي للقرآن ٩١
٨ ـ آفات الفهم العلمي للقرآن الكريم ٩٤

الفصل الثالث
القرآن والعلوم الإنسانية ١٠٣

المقدمة : ١٠٥
١ ـ مفهوم العلوم الإنسانية ١٠٦
٢ ـ الجذور التاريخية لعلاقة القرآن بالعلوم الإنسانية ١٠٧
٣ ـ أثر القرآن في العلوم الإنسانية ١٠٩
أ ـ توسيع نطاق بعض العلوم الإنسانية : ١١٣
ب ـ توجيه دفّة قواعد العلوم الإنسانية وأهدافها ١٢٣
ج ـ إصلاح العلوم الإنسانية ١٢٧
٤ ـ أثر العلوم الإنسانية في القرآن ١٢٨
أ ـ تأثير العلوم الإنسانية في فهم القرآن ١٢٩
ب ـ الإعجاز العلمي للقرآن في العلوم الإنسانية ١٣٣
٥ ـ علم المنهج ١٣٦
أ ـ الاستفادة من قواعد وأساليب تفسير القرآن ١٣٦
ب ـ رعاية الشكل الصحيح للتفسير العلمي ١٣٧
ج ـ توظيف أسلوب القراءات التي تتوسّط الفروع العلمية ١٣٧
د ـ معايير التفسير الوسطي ١٣٨
هـ ـ معرفة الآفات ١٣٩

الفصل الرابع
التنظير العلمي في القرآن الكريم ١٤١

المقدمة : ١٤٣

١ ـ مفهوم التنظير العلمي ١٤٣
أ ـ النظرية ١٤٣
ب ـ العلم ١٤٨
٢ ـ الجذور التاريخية للتنظير العلمي في القرآن : ١٤٨
٣ ـ الآيات العلمية في القرآن ١٤٩
أ ـ عدد الآيات العلمية ١٤٩
ب ـ أقسام الآيات العلمية ١٥١
٤ ـ عناصر التنظير العلمي في القرآن الكريم ١٥٤
٥ ـ ضوابط التنظيرات العلمية في القرآن الكريم ١٥٦
٦ ـ دائرة التنظيرات العلمية في القرآن الكريم ١٥٨
أ ـ الأسس : ١٥٨
ب ـ الأساليب : ١٥٨
ج ـ الهدفية ١٦٠
د ـ صنع الأنظمة ١٦١
هـ ـ صناعة الموضوع ١٦١
٧ ـ نماذج من التنظيرات العلمية في القرآن الكريم ١٦٢
أ ـ في حقل العلوم الطبيعية ١٦٢
ب ـ في حقل العلوم الإنسانية ١٦٦

الفصل الخامس

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ١٧٣

المقدمة : ١٧٥

١ـ مفهوم الإعجاز والمعجزة ١٧٥
أ ـ المعنى اللغوي للمعجزة ١٧٦
ب ـ المعنى الاصطلاحي للمعجزة ١٧٩
٢ ـ الجذور التاريخية للاعجاز العلمي في القرآن ١٨٦
٣ ـ دائرة الإعجاز والمعجزة ١٨٨
أ ـ تناسب المعجزة مع الزمان ١٨٨
ب ـ أقسام المعجزة ١٩٠
ج ـ رقعة إعجاز القرآن ١٩١
٤ ـ موارد إعجاز القرآن الكريم ١٩٥
أ ـ الفصاحة والبلاغة: ١٩٦
ب ـ أسلوب القرآن ونظمه الخاص: ١٩٦
ج ـ الجمال والجاذبية الخاصة ١٩٧
د ـ صدور المفاهيم والتعاليم الإلهية السامية من قبل شخص أمّي ١٩٨
هـ ـ قوانين المحكم في القرآن: ١٩٨
و ـ الأدلة القرآنية السامية ١٩٩
ز ـ الإخبارات الغيبية بأحداث الماضي والمستقبل: ١٩٩
ح ـ أسرار الخلق في القرآن (الإعجاز العلمي): ٢٠٠
ط ـ استقامة البيان (عدم وجود الاختلاف في القرآن): ٢٠٠
ي ـ خلق الثورة الاجتماعية: ٢٠١
ك ـ الصرفة: ٢٠١
ل ـ جميع وجوه الإعجاز المتقدمة (باستثناء الصرفة): ٢٠٢

٥ ـ أسس وملاكات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ٢٠٣
٦ ـ تحديات مفهوم الإعجاز العلمي ٢٠٨
٧ ـ دراسة بعض موارد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ٢١٨
أ ـ قانون الجاذبية ٢١٩
ب ـ حركات الشمس ٢٢١
ج ـ قانون الزوجية ٢٢٦
د ـ تلقيح النباتات والسُحُب بواسطة الرياح ٢٢٨
هـ ـ ترتيب مراحل خلق الإنسان ٢٣٠
و ـ بداية الكون وكيفية ظهوره كتلة متراصّة غازية الشكل ٢٣٣
ز ـ حركة الأرض ٢٣٤
ح ـ ظهور الحياة من الماء ٢٣٦
ط ـ حرمة شرب الخمر وبيان أضراره ٢٣٧
ي ـ حرمة مباشرة الزوجة أثناء الطمث ٢٣٨
مصادر الكتاب ٢٤١
الفهرس ٢٤٥